محيي الدين محمد ابن العربي

شرح كتاب
الإسرا إلى المقام الأسرى

مع شرح ابن سودكين
ومعارج روحية أخرى لابن العربي

تحقيق وشرح
عبد الباقي مفتاح



محيي الدين محمد ابن العربي

شرح كتاب
الإسرا إلى المقام الأسرى

مع شرح ابن سودكين

ومعارج روحية أخرى لابن العربي

تحقيق وشرح
عبد الباقي مفتاح



مقدّمة ابن سودكين
لشرح كتاب
«الإسرا إلى المقام الأسْرَى»

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين بجميع حقائق الحمد ودقائقه، المنبعث عن «الحميد» وحده وخلائقه، فما أحقه –سبحانه– بالحمد كله وَأولاه، إذ لا يستحقه أحد سواه، ولذا سبّح كلّ شيء بحمده، وتميّز بحدّه؛ وكان الحمد المطلق بحمد الحمد[1]، المنزّه عن الحصر والحدّ.

وصلى الله على من أوتي لواء المحامد[2] خاتم كلّ نبيّ وحامد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلّم وكرّم.

---

(1) حول حمد الحمد ينظر في الباب 73 جواب الشيخ عن السؤال 99 من أسئلة الحكيم الترمذي، والفصل السادس من الباب 198 وهو في الذكر بالتحميد، والباب 467 وهو في معرفة حال قطب كان منزله: «الحمد لله»، والبابان: 120و121 في معرفة الشكر وتركه. وفي الباب 558: حضرة الحمد والاسم «الحميد». ويقول الشيخ في الباب 559: «حمد الحمد أصدق المحامد بلا شك وأوفاها». وفي كتابه «لواقح الأسرار» يقول ابن سودكين أنه سمع الشيخ يقول: «وسمعته –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– يقول لبعض الجماعة، وقد قال: «الحمد لله»، فقال له الشيخ: قيِّدْها. فقيل له: يا سيدنا، أليس الإطلاق أتمْ؟ فقال –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: لا يصح الإطلاق في الثناء؛ لا بدّ أن يتقيّد بالقصد، ولا يصح الإطلاق إلا في حمد الحمد، وهو قيام الحمد به، وذلك عين الحمد؛ ولولا ذلك ما صح لأحد أن يحمده أو يثني عليه، لولا وجود النِّسب فيه. وكذلك العلم وغيره. فافهم. والحمد لله رب العالمين».

(2) للتوسع في معرفة لواء المحامد، ينظر في الباب 73 جواب الشيخ عن السؤال 76 من أسئلة الحكيم الترمذي، وهو: ما لواء الحمد؟ فبدأ الجواب بقوله: «لواء الحمد هو حمد الحمد، وهو أتم المحامد وأسناها وأعلاها مرتبة».

أمّا بعد، فسلام الله ورحمته وبركاته عليكم يا إخواني في الله، الطالبين جلاله -سبحانه- ورضوانه، الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، وقد علم -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أنكم قبلة خطابي، وخلاصة أحبابي. وقد جاء عن النبي -ﷺ- أنه قال: (نِعْمَ العطيّة الفطنة، ونِعم الهديّة كلمة حكمة تسمعها فتطوي عليها، ثم تحملها إلى أخ لك مسلم تعلّمه إيّاها، تعدل عبادة سنة)[1] . وهذه يا إخواني هديّة سَنيّة، وتحفة إلهيّة، وحكمة لدُنيّة، أهداها الحق إلينا وإليكم، ومَنّ بها علينا وعليكم، فخذوا ما آتاكم الله بقوّة وكونوا من الشاكرين. وهي- وإن كانت هديّة لأهلها الذين هم أهلها: أهل التباذل في الله والتزاور، والمحققين بالتحابب في جلاله سبحانه [2]فإنها صدقة على الأجانب المقِلّين المفلسين من هذه الغنيمة، برزت إليهم من زكاة القرْبة، ليستعينوا بذلك على التهيئ للصحبة، والترقي إلى مقام أهل المحبّة الموجبة لعليّ الرّتبة. ولقد كدت أن أسمّي هذه الهديّة باسم هيّأته لها، حتى جاءني الأخ الصالح، المُجيد في القراءات، الشيخ أيوب بن[3] - ذكره الله بالصالحات-، وقصّ عليّ رؤيا رآها لي. قال: (رأيت كأني دخلت عليك، فوجدتك تؤلف كتابا، فسألتك عنه، فقلتَ: هذا «كتاب النجاة»، أنا مشغول بتأليفه للناس، أو قال: للطالبين). فلمّا سمعت ما قصّه عليّ وأنا في ذلك الاهتمام، رأيت ذلك إشارة إلى هذا المقصد الذي كان في خاطري من نشر هذه الفائدة الإلهية، وإهداء هذه الهديّة السنيّة، فسمّيته: «كتاب النجاه عن حُجُب الاشتباه، في شرح مشكل الفوائد، من كتابيْ الإسراء والمشاهد» الذي أنشأهما والدي حقا، بشهادة كشفه في الحضرات

---

(1) أخرجه ابن المبارك في الزهد1386، والقضاعي في مسند الشهاب، والطبراني عن ابن عباس كما في تخريج الإحياء1/ 74

(2) يشير إلى الحديث القدسي: «حقّت محبتي للمتحابين فيّ، وحقت محبتي للمتواصلين فيّ، وحقت محبتي للمتناصحين فيّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيّ، وحقت محبتي للمتباذلين فيّ. المتحابون فيّ على منابر من نور، يغبطهم بمكانهم النبيّون، والصدّيقون، والشهداء» [رواه أحمد، وابن حبان، والحاكم، والترمذي، والقضاعي، عن عبادة بن الصامت، وإسناده صحيح»

(3) فراغ في الأصل. ومن المحتمل أن يكون: أيوب بن بدر بن منصور بن بدران المقرئ أبو الكرم الأنصاري المصري الدمشقي المعروف بالجرائدي. كان فقيها مقرئا صوفيا، توفي سنة 635 هـ. يُنظر «المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي» لابن تغري بردي3/ 225.

الملكوتيات، وإمامي صدقا، في المعارف الإلهيات والآداب الرّبانيات: الإمام العالم، الرّاسخ الفرد المحقق: أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي -رضي الله عنه وأرضاه-.

وكان الحقّ قد مَنّ عليّ بشرحهما من دون الناس أجمعين، وتجلّى بإيضاحهما إليّ في المظهر الكمالي الاسم «المبين»[1]؛ وذلك بعدما توجّه المظهر الكمالي، والنور الختامي، توجّها عامّا، نشر فيه عدله، وأظهر فضله، في حضرة كلّية، ورتبة شمسية، استدعت مقابلة بدريّة، إذ الفيض الوارد من حضرة الواهب، سواء كان بواسطة أو بغير واسطة، إنما يستدعي محلاّ يمحو الآثار، والموارد والأفكار، وفي ترتيب حكمة الله تعالى لإمداد الشمس وقبول القمر، يوجد أدب التلميذ مع الشيخ لمن اعتبر. فإذا تحققت هذه المقابلة بين الممدّ والمستمدّ، ارتفعت الموانع، إذ ليس في حضرة الجود منع ولا مانع. وكلّ من قال: «خصّصني المفيد»، فقد قيّده وهجاه، وهو يظنّ أنه مدحه وحلاّه، لأنه أخرجه بذلك عن الإطلاق، وجعله عنصريّ التوجّه في أضيق وثاق. ولعله إنما قصد بذكر التخصيص إظهار رتبة نفسه، بين أبناء جنسه، والله -تعالى- على كل شيء شهيد.

وإنما توجّهُ الأكابر توجّها كلّيا، وفيضُهم فيضا وَهبيّا، فمتى صحّت المقابلة، فإنّ المفيض يجلي على القابل في الحضرة الحقّية أنواره، ويظهر آثاره، ويقص عليه أخباره. وهذا لا يوجد على التمام والكمال، إلا لمن كان أمّيّ الفطرة، باق على إطلاقه الذي فطره الله عليه أوّل مرّة[2] ومثل هذا المحلّ، هو الذي تأمن المعاني فيه من التحريف، وتسلم المثاني في نطقه وتخيّله من التصحيف، وحينئذ يظهر فيض المفيد في أكمل مراتبه، فيكون لجميع الفِطَر في ذلك الفيض مَشاربا يخصّها، إذ كانت حضرة القبول

---

(1) في الفصل 27 من الباب 198 الذي فصّل الشيخ فيه الأسماء الإلهية المتوجّهة على إيجاد مراتب الوجود الثمانية والعشرين وتناسبها مع الحروف والمنازل الفلكية، قال إنّ الاسم «المبين» هو المتوجه على إيجاد سماء الدنيا وقمرها وحرف الدال. فكأنّ الشارح ابن سودكين يشير إلى تشبيه علاقته بالشيخ كعلاقة القمر بالشمس، منه يستمدّ بيان معاني هذا الشرح، كاستمداد البدر من نور الشمس.

(2) حول هذه الأمّيّة الفطرية ينظر في الفتوحات الباب 289 المتعلق بسورة التين، وهو في معرفة منزل العلم الأمي الذي ما تقدّمه علم من الحضرة الموسوية. .

حضرة محيطة على وجوه الاستعدادات، إحاطة الشكل الكُري بالأشكال. ومن هاهنا يظهر لمن تفطّن بأحكام الحقائق، وفهم ما حصل من الأكملية لمحلّ من أوتي جوامع الكلِم[1].

ولمّا وَجَد المظهر الكمالي عند توجّهه لفيض المعارف الإلهية، وحلّ الرّموز الإجمالية، محلا وَجَد فيه هذا الشرط، واستحكمتْ المقابلة الحقيقية بينهما والرّبط، اقتضى فيضُه الذاتي، وَجودُه الكلِّي، أن يسبق بفضله إليه، ويتوجّه بجوده عليه. لكون الجود الإلهي لا يقبل التخصيص العَرَضي، والميل المَرَضي، الذي يُنتجه المزاج العنصري، فعند ذلك أقامني الله -تعالى- بين يديه في خط الاعتدال، ومَنّ عليّ بمقابلته في هذه الحضرة على التمام والكمال، فأفاض الله عليّ بهذه المقابلة السنيّة أنوار التجليات الشمسية، وحفظ عليّ صحّة السير في المطالع القمرية[2]، على وزن معلوم، وقِسْم مقسوم.

---

(1) يشير إلى حديث رسُولُ اللَّهِ - ﷺ-: «فُضِّلْتُ عَلَى النَّبِيِّينَ بِسِتٍ: أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ، فَجُعِلَتْ فِي يَدِي، وَأُرْسِلْتُ إلى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ» رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.

(2) المطالع القمرية ومنازلها ترمز عند الشيخ إلى منازل السلوك عروجا ورجوعا. فعند حديثه عن ليلة القدر في الباب 71 يقول:

«واعلم أن الشهر هنا بالاعتبار الحقيقي هو العبد الكامل إذا مشى القمر الذي جعله الله نورا، فأعطاه اسما من أسمائه ليكون هو تعالى المراد لا جرم القمر. فالقمر من حيث جرمه مظهر من مظاهر الحق في اسمه «النور». فينشئ في منازل عبده المحصورة في ثمانية وعشرين، فإذا انتهى سمي شهرا على الحقيقة، لأنه قد استوفى السير واستأنف سيرا آخر، هكذا من طريق المعنى دائما أبدا. فإنّ فِعل الحق في الكائنات لا يتناهى، فله الدوام بإبقاء الله تعالى. كما أنّ العبد يمشي في منزل الأسماء الإلهية وهي تسعة وتسعون، التاسع والتسعون منها الوسيلة وليست إلا لمحمد -ﷺ- والثمانية والتسعون لنا كالثمانية والعشرين من منازل القمر، ويسميه بعض الناس: الإنسان المفرد. والعشرون خُمس المائة لأنها في الأصل مائة اسم، لكن الواحد أخفاه للوترية، فإنّ الله وتر يحب الوتر، فالذي أخفاه وتر، والذي أظهره وتر أيضا. وإنما قلنا منبّهين على منازل القمر ثمانية وعشرين منزلة لأنها قامت من ضرب أربعة في سبعة. ونشأة الإنسان قامت من أربعة أخلاط مضروبة في سبع صفات من حياة وعلم وإرادة وقدرة وكلام وسمع وبصر. فكان من ضرب المجموع بعضه في بعضه الإنسان. ولم يكن ظهوره إلا بالله من اسمه «النور»، =

= لأن النور له إظهار الأشياء وهو الظاهر بنفسه، فحكمه في الأشياء حكم ذاتي. كذلك الشهر ما ظهر إلا بسير القمر من حيث كونه نورا في المنازل. قال تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ ﴾. «فإذا انتهى فيها سيره فهو الشهر المحقق، وما عداه ممّا سمي شهرا فهو بحسب ما يصطلح عليه، فلا منافرة. ولله تعالى في كل منزلة من العبد ينزلها اسم «النور» حُكم خاص قد ذكرناه في هذا الكتاب في نعت السالك الداخل والسالك الخارج أيضا. والفاصل بين السلوكين ليلة الإبدار، وهي ليلة النصف من ثمانية وعشرين: ليلة الرابع عشر من الشهر المحقق، وليلة السرار منه. والنور فيه كامل أبدا؛ فانّ له وجهين، والتجلي له لازم لا ينفك عنه: فإمّا في الوجه وإمّا في الوجهين بزيادة ونقص في كل وجهة، فله الكمال من ذاته لا بد منه، وله الزيادة والنقص من كونه له وجهان، فكلما زاد من وجه نقص من وجه آخر، وهو لحكمة قدّرها العزيز العليم».

وفي الباب 19 يتكلم الشيخ عن منازل السلوك المطابقة لمنازل القمر بطونا وظهورا، أو دخولا وخروجا، فيقول: إنّ عدد درج المعالي كلها للأنبياء والأولياء والمؤمنين والرسل على السواء، لا يزيد سُلم درجة واحدة. فالدرجة الأولى الإسلام وهو الانقياد، وآخر الدرج الفناء في الخروج والبقاء في الدخول. وبينهما ما بقي وهو: الإيمان، والإحسان، والعلم والتقديس، والتنزيه، والغنى، والفقر، والذلة، والعزة، والتلوين، والتمكين في التلوين، والفناء إن كنت خارجا، والبقاء إن كنت داخلا إليه. وفي كل درج في خروجك عنه ينقص من باطنك بقدر ما يزيد في ظاهرك من علوم التجلي، إلى أن تنتهي إلى آخر درج. فإن كنت خارجا ووصلت إلى آخر درج ظهر بذاته في ظاهرك على قدرك، وكنت له مظهرا في خلقه، ولم يبق في باطنك منه شيء أصلا، وزالت عنك تجليات الباطن جملة واحدة. فإذا دعاك إلى الدخول إليه فهي أول درج يتجلى لك في باطنك بقدر ما ينقص في ظاهرك، إلى أن تنتهي إلى آخر درج فيظهر على باطنك بقدر ما ينقص في ظاهرك. وسبب ذلك أنْ لا يزال العبد والربّ معا في كمال وجود كل واحد لنفسه. فلا يزال العبد عبدا والربّ ربّا مع هذه الزيادة والنقص. فهذا هو سبب زيادة علوم التجليات ونقصها في الظاهر والباطن. وسبب ذلك التركيب. ولهذا كان جميع ما خلقه الله وأوجده في عينه مُرَكبا له ظاهر وله باطن. والذي نسمعه من البسائط إنما هي أمور معقولة لا وجود لها في أعيانها. فكل موجود سوى الله تعالى مُرَكب. هكذا أعطانا الكشف الصحيح الذي لا مرية فيه، وهو الموجب لاستصحاب الافتقار له، فإنه وصف ذاتي له. فإن فهمت فقد أوضحنا لك المنهاج، ونصبنا لك المعراج، فاسلك واعرُج تبصر وتشاهد ما بيّناه لك...».

وقد تكلم في الباب 330 عن العلاقة الرمزية بين القمر والإنسان الكامل، وهو باب منزل سورة القمر فيُراجع هناك، واختصره في فقرة من الباب 559 تحت عنوان: «السرار بشفع الإبدار». =

فلمّا أفردها الحق -سبحانه- بروايتي، وأوقفها في صحّة السند على أمانتي، أفيضت حينئذ نسبة الجود من المحلّ الذي فاضت عليه، أن يحسن كما أحسن الله إليه. فتعيّن تأدية الأمانة إلى أهلها، وإنفاق الكنوز النورانية في الله -تعالى- وبذلها. وقد نبّه الله تعالى على شرف الإنفاق من المحبوب إلى القلوب فقال لخير القرون: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 92].

ولمّا رأيت شيخنا وإمامنا -قدّس الله روحه- قد تكلم في هذين الكتابين المقدّم ذكرُهما على ألسنة الأسماء الإلهية، والنِّسب الرّبانية، والحقائق الكلية، والرّقائق الرّوحانية، من حضرة قدسية، يغشى ضياؤها نظر النظار، وألمع بمعانيها من آفاق عليّة، لا يصل إلى أوجها جناح الأفكار، وأشار فيها بإشارات سنيّة يكاد سنا برقها يذهب بالأبصار، وأجمل فيها الخطاب بجوامع كلِمه، وحقق أصول المعارف في رؤوس المسائل لرسوخ قدمه، رأيت أمرا عظيم القدر والخطر، لا يعرف سرّه كثير من البشر، وعلمت أنّ الذي قصده شيخنا وإمامنا فيهما من إشاراته ورمزه وإجماله، يحتاج إلى مناسب لمقامه، لتسري إليه روحانية كلامه. وهذا أمر عزيز الوجود، وإن لم يكن مفقود. ولو قُدِّر أن يظفر الظافر في النادر بمقصد مّا من مقاصده، لما تمّ له ذلك في بقيّة مصادره وموارده، لأنه لا يحيط بحقائق كلام العارف ويترجم، إلا من أشرف على ما أشرف عليه المتقدِّم، إذ لا يصح أنْ يعلمك ويدريك، إلا من أشرق فيه جزء ممّا أشرق فيك.

ولهذا لا يقدر أحد من الخلق أن يستوفي معرفة دقائق الكتاب العزيز، وأنْ يحيط علما بجميع الوجوه التي يتضمّنها الخطاب المحكم الوجيز. وكذلك لا يُشرف أحد من الأولياء على سرّ المأخذ الذي استمدّت منه الأنبياء، ولو صح ذلك لتساوت الأقدام، وذلك ممّا لا يصحّ حصوله ولا يُرَام.

ولمّا تحققتُ ما ذكرته، وتبرْهن عندي ما فصّلته، من أنّ أحرار معارف إمامِنا لا تُملك، وأنّ ذروة مقامه الختامي لا يُرْقى إليه ولا يُسلك، علمتُ أنّ مراده من كتابيْه هذين

= كما أن منازلة الباب 400 راجعة لسورة القمر وعنوانه: «منازلة من ظهر لي بطنت عنه، ومن وقف عند حدِّي اطلعت عليه». والفقرة المناسبة له في الباب 559 عنوانها»: ما يجمع الظهر والبطن والحد والمطلع». وفي كتاب التراجم خصص الشيخ لهذا المعنى من سورة القمر باب ترجمة الباطن.

عزيز المسالك على السالك، فرَغبتُ إلى الله حينئذ، وابتغيتُ إليه الوسيلة، وتوجّهتُ إليه -سبحانه- بالافتقار لا بالحيلة، في أنْ يؤهِّلني لمسألة إمامي وقدوتي في شرحهما، وإيضاح ما أشكل من أمرهما، ليكون في ذلك مزيد وضوح للسالكين، وهديّة من الله إليهم ونجاة للأكثرين، من ضرر تكلفهم، وصَدقة من الله عليهم، لأني رأيت كثيرا من المترسِّمين بظواهر العلم، لمّا وقفوا على إشارات شيخنا في هذين الكتابين، وما يجري مجرَاهما من كتبه وكتب المحققين، حملهم القصور على أن وقعوا في الضّرر، وحكموا على كلامهم بمفهومهم منه، من غير أن تنحصر أقسام النظر. فما لاح في باطنهم إلا ما هو قبيح في نظرهم، مشوّه في مخبرهم. فتلك الوجوه القبيحة وجوه فهمهم السقيم، لا وجه مقصده السليم؛ وذلك التشوّه والاختلال في نظرهم السيئ، لا في نظره المستقيم. فهم بحالتهم هذه شهود على محلِّهم بعدم الكمال، وأنْ ليس في قواهم وجها يُرضي ناظره بحال من الأحوال. فهم لوجوه نظرهم يعيبون من حيث لا يشعرون، وعلى قبيح سيرتهم يُشنِّعون وهم لا يعلمون. ولو كان محلّهم محلا طاهرا سليما، عاملوا ما لم يحيطوا به خبرا بالتسليم، وقالوا هذا كلام يحتمل وجوها كثيرة من التأويل، ولم يقم من الشريعة على إنكار ما قصده صاحبه من أحد وجوه محتملات الكلام نص ولا تأويل. فلم يبق إلا تسليم كلّ فنّ لمنتحليه، و(مِن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)[1].

فمثل هؤلاء من علماء الرّسوم هم السادة الكرام، الذين سقط عنهم الملام، ومضوا بسلام، وشهد حسن تصرّفهم لعلمهم بالضياء والتمام. خصوصا وقد ثبت عن الألِبّاء والمنصفين أنّ العارف الحكيم إذا تكلم بلسان مخصوص، وفّى ذلك اللسان حقه، ولم يخلط به غيره. وبإتقان ذلك يتفاوت العارفون في تحرير الألسنة وتخليصها من الحشو والتخليط، حتى أنّ المحقق إذا ألّف فنّا بعينه وبوّبه واشترط، تعيّن عليه التحفظ ممّا لا يقتضيه شرطه، وإلاّ توجّه عليه الدَّخل والغلط، وحلّ بمناقضته ما كان ربط، وكفى الألبّاء النقّاد نقده، ولم يحتاجوا أنْ يتعدّوا ذلك إلى ما بعده.

فالمحقق إذا تكلم بلسان النقل كان سمعا محضا يتمسك بالأخبار، ولا يخرج عن مقتضى الآثار. وإذا تكلم بلسان العقل استعمل القوّة الفكريّة، وحرّر الدلالة العقلية، واستعان على قطع الخصم بما لا يعتقده من الأجوبة الجدليّة، وإلى غير ذلك من الصناعة

(1) حديث نبوي خرّجه الترمذي وابن ماجه ومالك في الموطأ.

المنطقية[1]. وإذا تكلم بلسان الحقائق، فإنه حينئذ لا يُعرّج على مذهب بعينه، بل يدور مع الحق كيف دار، ولا يراعي في ذلك خِلاّ ولا جار، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر؛ فيكون لسان المحقق للحقائق، كلسان الميزان يميل مع الحق حيث ما كان.

وكذا إذا تكلم العارف بلسان أهل الأنوار المقرّبين والأبرار، فإنه حينئذ يأخذ بعنان العبارة إلى ميدان الإشارة، ويراعي ما تداوله أهل الأسرار الإلهية من الاصطلاح في تعبيرهم عن ذلك العلم الخاص الذي في ضميرهم، ليكون ذلك كالاستتار على ما لمع في صدورهم.

والقوم أهل أدب وتحقيق، يتعاملون بما تقتضيه منهم أحكام الطريق. فلمّا رَأوا أنّ الحق قد أسدى إليهم هداياه، ومنّته الخاصة باطنة في سرَائرهم، ولم يُظهر -سبحانه- أثرها للأغيار على ظواهرهم، اقتضى لهم الأدب الإلهي مرَاعات ميزان الحكمة بأن يستروا علمهم الخاص عن سواهم بأستار الصيانة، ليتحققوا في ذلك الأدب والأمانة. ولم يكن لهم بُدّ - مع ذلك- من نشر هذا العلم لأهله المرَادين بالقرُب الإلهية، فاستعملوا لهم ما عُرف بينهم من الاصطلاح، وخاطبوا بذلك أهل النجابة والفطنة والفلاح، فشوّقوا الهمم، وأقاموا على كل منزلة عَلَم، وأذنوا في الطالبين بالحجّ الأكبر إلى ربّ العالمين، فتحرّكت دواعي الاشتياق من كل مشتاق، وسار إلى حوز قصب السبق أهل السِّباق، وأصغت مطايا أرواحهم بأسماعها الواعية، وألبابها الصافية، إلى تشويق المرشدين، واستجابوا إلى دعاة الله، فكانوا من المهتدين، وانقسموا أصنافا وألوانا، ووصلوا إلى كعبة محبوبهم رجالا ورُكبانا:

---

(1) في كتابه «لواقح الأسرار» الذي جمع فيه ابن سودكين بعض أقوال الشيخ قال في هذا المعنى: «وسمعته -رضي الله تعالى عنه- يقول، وقد قُرِئ عليه فصل من كتاب «الفتوحات المكية» فجاء فيه قول الشيخ: إنّ للحسّ أغاليط. فقال الشيخ ما معناه: إن ثَمَّ أمور يحملنا على قولها ما الناس عليه غالبًا، وليس الأمر كذلك في الحقيقة. ومن ثَمَّ هذه الكلمة التي قلنا فيها ما قاله بعضهم من غلط الحسّ. وعندنا أنّ الحسّ لا يصحّ أن يغلط أصلا. فربما وقف على هذا من لا معرفة له بحقائق الأمور، فيقول إن هذا مذهب الشيخ. ولا يلزم من كوني أورِدُ المسألة للغزالي بقول الأشعري، أنّي أعتقد اعتقاد الأشعري، أو بالضدّ، إذا اقتضى الأمرُ دحض حجة هذا بحجة هذا. فأما معتقدي أنا فأمر آخر، ومسألة أخرى على حسب دليلي وما يعطيه نظري. ولنا في تصانيفنا مُوَيْضِعَات من هذه، يجب أن يُتفطنَ لها. قال الجامع لهذه المعارف: وبيّن الشيخ- أيّده الله تعالى- بعضها في أماكنها».

فهم في الوصول إليها فِرَق　　كما قاله فيهم إمام سبق

فاستجلوا أنوار إشارات أكابرهم بما ناسبها في بواطنهم من النور، وتولّى الله صبّ أسرار المعارف الخاصة في تلك الصدور، فلمّا وقف على ذلك الاصطلاح سواهم، لم تحمله قوَاهم. وليس العجب من إنكار الأغيار من كل وجه، فإنه -سبحانه- لذلك خلقهم، وعن وجه التحقيق صرَفهم، لتكنّزهم في أرض أجسامهم العنصرية التي هي أسفل سافلين، وسجن المؤمنين، وجنّة الغافلين. وإنما العجب من إنكار من ترسّم بمرَاسيم الطريق، وادّعى أنه سلك مسلك الصِّدّيق. فلقد سمعت غير واحد منهم ممّن تشبّه وتشيّخ، وادّعى الحضانة وما فرّخ، وهو ينكر إشارات العارفين، ويقول: «ما هذه المعاثر والمهالك في طريق المسلمين؟»؛ فعن حالته أخبر، وعن مقامه عبّر، لتَرَدِّيه في آبار تكلّفه، وتعثّره في أذيال تخلّفه. وما علم المسكين، أنه ما لأَجْلِ الأغبياء والمتشبّهين، تترك الأكابر تنبيه هِمم السالكين، كما أنه -تعالى- لم يترك خلقَ النار، لكوْنها ربّما احترق بها ثياب الأبرار، ولا عطّل -سبحانه- إيجاد البحار، لأجل ما يغرق فيها من الصغار والكبار. بل أعظم من ذلك كله، أنه -سبحانه- ما ترك إنزال كتابه، وما فيه من التشابه، على من اهتدى به من المهتدين، لأجل من ضلّ به من الضالين. فوَجْه الخطاب إنما كان لأهل الدرَاية والهداية، الذين نفعهم الله بذلك ورفعهم. وأمّا أهل الضلالة: فـ ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: 23].

وسمعت آخر ممّن تميّز بمشاركة مّا لعلم الطريق، ونسب إليّ شيئا من مذاق أهل التحقيق، وهو يقول: «ترى ما الذي قصد الشيخ بتأليف هذه الكتب التي لا يكاد ينتفع بها أحد؟»، فزاد تعجّبي من هذا الثاني، وما ظهر عنه من النفَس الجاني. ولو تفطن لِما قال، لَعَلِمَ أنّ كلمته أظهرتْ لكلّ لبيب مرْتبته، وذلك أنها شهدت عليه بعدم إحكام البداية، إذ إحكامها شرط في صحة الإدراك لكلام أهل النهاية. فشهد كلامه عليه بقصور الاستعداد، لِما يحصل من العارفين للقابل عنهم من الإمداد، لأنّ شرط المريد اليقظ المنوّر، إذا كان صاحب فتح، أن يفهم مقصود العبارة في اصطلاح طريقه من جميع المعبّرين، ويدرك بنور باطنه لطيف الإشارة على اختلاف ضرُوبها من جميع المشيرين، وذلك لصحّة المناسبة بين نور المريد ونور المفيد. ومتى قصر محلّ السالك عن هذه الرّتبة، فشرطه الثاني أنْ يجد في محلّه سكون أهل التصديق، وهذا عندهم هو الصِدِّيق. ومتى عرى الشخص عن هذين الوصفين، فقد شهد على نفسه بالقصور، وفارق أهل الفتح والنور.

وما علم هذا القاصر وأمثاله، أنّ العارفين بالله هم المحققون بالأدب والنهاية، وأنهم ما تكلموا إلا عن بصيرة ودراية. فمنهم من أُمِر بذلك صريحا في المنام، ومنهم من فهم ذلك من ضروب الكشف والإلهام. ومنهم من تحقق أنه ممّن أخذ الله عليه الميثاق، في بيان ما علمه من العلم المقرّب إلى الله لعباد الله. ومنهم من ظهر له أنّ ذلك من أرفع وجوه المعاونة في الله على البرّ والتقوى، والتواصي بالحق والصبر عليه فيما يسمع من كلام الجهّال، الذي هو أعمل من النِّبال. إلى غير ذلك من الوجوه اللطيفة، والمقاصد الشريفة.

سمعت شيخنا وإمامنا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يقول:

(رأيت ربّ العزة في المنام، قبل أن يظهر عني شيء من الكلام، وهو يقول: «يا عبدي انصح عبادي». قال: فتكلمت حينئذ، وألّفتُ في حقائق النصح أمورا كلّية يعمّ نفعها، ويأخذ كلّ قابل قسطه منها، ثم أظهرتها ولم أظهر اسمي عليها، وقلت إنما المقصود منها انتفاع الناس بالنصيحة، سواء عُرِف المتكلم أو لم يُعرَف. قال: فلمّا انتشر ذلك نُسِب الكلام للغزالي -رَحِمَهُ اللَّهُ-، وصار يُلعَن من بعض الناس بسببها، فلمّا بلغني ذلك قلت: الآن تعيّن إظهار اسمي عليها لأكون وقاية لرجل مسلم يُظلم بسببي؛ فأظهرت اسمي عليها بعد ذلك، فاستقبلني الناس بسهام أغراضهم، وظنّوا فيَّ الظنون. قال: فرأيت الحق -سبحانه- بعد ذلك في المنام، فقلت: إلهي وسيّدي، أمرتني أن أنصح عبادك فامتثلت ونصحت، ورجوت نفعهم بذلك، وقد رأيت الضرر سبق إلى كثير منهم؛ فسمعته -سبحانه- يقول: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنعام: 66/ 67]. قال: فاسترسلتُ على الأصل الذي أمِرْت به، وعلمت أنّ الله -تعالى- ينفع بذلك من يشاء، ويصرف عن الانتفاع من يشاء؛ هذا في حُكم العموم غالبا، وأمّا الخصوص فإنّ الله أسمعهم النصح، وأعانهم على الترقي به وتمام الفتح).

وممّا يُحقِّق ذلك ويؤكِّده، وينصره عند المناسب ويؤيّده، ما ذقته في نفسي، وسمعته وتحقّقته عن أبناء جنسي. سمعتُ شيخنا وإمامنا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يقول: لمّا قُرِئ كتابنا: «كتاب الإسراء» على عمر[1]؛ وسمع من أوّله إلى السماء الرّابعة قال: «إلي هاهنا

(1) من المحتمل أن يكون هذا الرجل عمر بن معان المراغي الذي ذكره عدة مرّات ابن سودكين في =

انتهى كشفي ورؤيتي، ولم أتعدّى السماء الثالثة في عروجي الرّوحاني ورحلتي».
قال -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-: (وكان الشيخ عبد العزيز المهدوي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-[1] كثيرا ما يشكر عندي

= كتابه «لواقح الأسرار»، وأنه كان يحضر مجالس الشيخ الأكبر في حلب ويطرح عليه أسئلة، في سنة 613هـ. وفي رمضان من سنة 615هـ.

(1) الشيخ عبد العزيز المهدوي- توفي سنة 621هـ- وكان من أكابر خلفاء الشيخ أبي مدين في تونس. وسافر الشيخ الأكبر إليه سنة 590هـ. بعد وفاة أبي مدين سنة 589هـ. ومكث عنده نحو تسعة أشهر خلال سنة 598هـ. لمّا غادر البلاد المغاربية نهائيا متوجّها إلى الحج. وإليه يتوجه في خطبة الفتوحات، واصفا له بـ: العاقل الأديب، الولي الحبيب». كما أثنى عليه بأجمل الأخلاق في كتابه (روح القدس في محاسبة النفس) ويخاطبه قائلا:
(وقد فزت يا أخي -جعلني الله وإياك من الفائزين -في زمانك هذا بخلال لم أقدر أن أراها من غيرك، منها معرفتك بمرتبة العلم وأهله، وعدم تعريجك على الكرامات والأحوال؛ ومنها انقيادك للحق وتواضعك له ونزولك إليه عند من وجدته سواء كان ممن تلحظه العيون أم لا يؤبه له، ولم تلحظ منزلتك الدنيوية من تعظيم الناس لك وتقبيلهم يدك وإتيان السلاطين إلى بابك، وهذا غاية الإنصاف، ثبّتك الله وإيّانا؛ ومنها قولك فيما لا تعلم: لا أعلم، وفيما تعلم: أحبّ أن أسمعه من غيري. فقد حزت والله يا ولي هذه الخصال التي تتطاير دونها رقاب الرجال، والمقام الذي لا تغيّره الأحوال، ولا تزيده حسنا ووضاءة رواتب الأعمال. ثم بحثك الذي لم أره من غيرك في معرفة الأنام والزمان، واعتقادك أنه هو من فروض الأعيان من أعجب ما سمعَتْهُ الآذان، وتسامرت به الخلان، وسارت به الركبان. ثم ما وهبك الله من الصولة والقوّة على الفقهاء بدلائل المكارم والفتوّة الجارية مع براهين النبوّة). وكتب في مناقبه كتابا عنوانه: (فضائل الشيخ عبد العزيز المهدوي) وذكر بعض أحواله وكراماته في مقدّمة كتاب (مشاهد الأسرار القدسية).
ويعرّفه ابن قنفذ في كتابه «أنس الفقير- ص: 97-98» بقوله ما خلاصته: (الشيخ الإمام العارف بحر الأنوار معدن الأسرار أبو محمد عبد العزيز بن أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. دخل خلوته بقصر المنستير واصل أربعين يوما. فقال إمام جامع المهدية: إن مات عبد العزيز فلا يصلى عليه، لأنه قتل نفسه، يعني بالجوع. فبلغ ذلك عبد العزيز فقال: وهو يموت وعبد العزيز يصلي عليه، فكان كما قال. وسيق له بعد هذه المدة حسو، فما استطاع أن يسيغه وقيل له: كيف أنت ؟ فقال: حييتُ حياة لا أموت بعدها أبدا، ارتحل إلى بجاية برسم لقاء الشيخ أبي مدين ليكمل تربيته في ستة من الأخيار. وقال الشيخ أبو مدين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «عبد العزيز سَبُع النفوس». وله الكتابه الحسنة والشعر الرائق، وكان بينه وبين الشيخ أبي مدين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مكاتبات ومراسلات).
وقال عنه النبال في كتابه «الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي- ص: 219»: (وتلامذة =

شخصا يقال له عبد الله؛ وذكر الشيخ عبد العزيز إنه لم تقع عينه على مثله. قال: فتشوّقت إلى رؤيته؛ فبعد مدّة يسّر الله الاجتماع به، وحصل بيننا أنسه، وطلب مني أن يسمع كتاب الإسراء؛ فأحضر الكتاب وقُرئ علينا بحضوره، إلى أن وصل إلى حضرة الكرسي وما فيها، فلمّا فرغوا منها قال عبد الله: «ما بقي بعد حضرة الكرسيّ حضرة تُكشف ذوقا». فلمّا قرأ عليه ما وراء حضرة الكرسي من الحضرات قال: «والله ما اعتقدت أنّ وراء ما انتهت إليه همّتي حضرة أخرى لتتعلق همّتي بكشفها». ثم علّق بنيل ما بقي عليه من كمال الإسراء الروحاني همّته، وحرّكت دواعي التنبيه والتذكرة عزيمته ويقظته.

فلمثل هؤلاء السالكين -يا إخواني- توجّهتْ أنفاس العارفين، ومن أجْلهم حرّك الله دواعي الأكابر بالنصح والإرشاد إلى طريق عِلّيين، والتحلي بالآداب المقرّبة من ربّ العالمين. وهؤلاء السادة هم الأدِلاّء على معرفة منازل الرّحلة الروحانية، ومعراج اللطيفة الإنسانية، عند تحققها بالوراثة النبويّة، وتنبيه المحلّ على معرفة مراتب الأعيان السعيدة العلويّة. وفائدة العبد بالاطلاع على مراتب الأعيان الشريفة هو أن ينظر إلى ما شرفت به عند الحق من القرب، وما هي الأوصاف والأخلاق التي منحها الله بها وآتاها معالي الرّتب، فيتصف العبد بتلك الأوصاف، ويتحلّى بذلك الأدب. هذا ما يعطيه الكشف في عالم الصّفاء.

وإذا تميّزتْ للعبد مراتب العالم الأكبر، وعرف مضاهاتها[1] في نسخة وجوده تنزّه

= المهدوي كثيرون. منهم أبو سعيد الباجي، وهو الذي تولى غسله بعد وفاته وصلى عليه ولحده في قبره بمرسى جراح. وقبر المهدوي مشهور بالمرسي، وبجواره قبور الكثيرين من أصحابه، وكان قبره بدون قبة إلى أن شيّد حسين بن علي الحسيني قبّة على ضريحه). ثم ذكر له صلاة رائعة على النبي -ﷺ-.

(1) في آخر الباب السادس من الفتوحات لخص الشيخ هذه المضاهاة بين العالم الأكبر والإنسان فقال:

إن العوالم أربعة: العالم الأعلى هو عالم البقاء، ثم عالم الاستحالة وهو عالم الفناء، ثم عالم التعمير وهو عالم البقاء والفناء، ثم عالم النسب. وهذه العوالم في موطنين: في العالم الأكبر وهو ما خرج عن الإنسان، وفي العالم الأصغر وهو الإنسان.

فأما العالم الأعلى: الحقيقة المحمدية وفلكها الحياة، نظيرها من الإنسان اللطيفة والروح القدسي. ومنه العرش المحيط ونظيره من الإنسان الجسم. ومن ذلك الكرسي ونظيره من الإنسان =

= النفس. ومن ذلك البيت المعمور ونظيره من الإنسان القلب. ومن ذلك الملائكة ونظيرها من الإنسان الأرواح التي فيه والقوى. ومن ذلك زحل وفلكه نظيرها من الإنسان القوة العلمية والنفس -بفتح الفاء-. ومن ذلك المشتري وفلكه نظيرهما القوة الذاكرة ومؤخر الدماغ. ومن ذلك الأحمر وفلكه نظيرهما القوة العاقلة واليافوخ. ومن ذلك الشمس وفلكها نظيرهما القوة المفكرة ووسط الدماغ. ثم الزهرة وفلكها نظيرهما القوة الوهمية والروح الحيواني. ثم الكاتب وفلكها نظيرهما القوة الخيالية ومقدم الدماغ. ثم القمر وفلكه نظيرهما القوة الحسية والجوارح التي تحس.

وأما عالم الاستحالة: فمن ذلك كرة الأثير وروحها الحرارة واليبوسة، وهي كرة النار، ونظيرها الصفراء وروحها القوة الهاضمة. ومن ذلك الهواء وروحه الحرارة والرطوبة، ونظيره الدم وروحه القوة الجاذبة. ومن ذلك الماء وروحه البرودة والرطوبة، نظيره البلغم وروحه القوة الدافعة. ومن ذلك التراب وروحه البرودة واليبوسة، نظيره السوداء وروحها القوة الماسكة.

وأما الأرض فسبع طباق: أرض سوداء وأرض غبراء وأرض حمراء وأرض صفراء وأرض بيضاء وأرض زرقاء وأرض خضراء، نظير هذه السبعة من الإنسان في جسمه: الجلد والشحم واللحم والعروق والعصب والعضلات والعظام.

وأما عالم التعمير: فمنهم الروحانيون نظيرهم القوى التي في الإنسان. ومنهم عالم الحيوان نظيره ما يحس من الإنسان. ومنهم عالم النبات نظيره ما ينمو من الإنسان. ومن ذلك عالم الجماد نظيره ما لا يحس من الإنسان.

وأما عالم النسب: (وهي المقولات العشرة المشهورة عند الحكماء) فمنهم العرض نظيره الأسود والأبيض والألوان والأكوان. ثم الكيف نظيره الأحوال مثل الصحيح والسقيم. ثم الكم نظيره الساق أطول من الذراع. ثم الأين نظيره العنق مكان للرأس والساق مكان للفخذ. ثم الزمان نظيره حركت رأسي وقت تحريك يدي. ثم الإضافة نظيرها هذا أبي فأنا ابنه. ثم الوضع نظيره لغتي ولحني. ثم أن يفعل نظيره أكلت. ثم أن ينفعل نظيره شبعت. ومنهم اختلاف الصور في الأمهات كالفيل والحمار والأسد والصرصر، نظير هذا القوة الإنسانية التي تقبل الصور المعنوية من مذموم ومحمود مثل: هذا فطن فهو فيل، هذا بليد فهو حمار، هذا شجاع فهو أسد، هذا جبان فهو صرصر.

وفي الفصل 16 من الباب 198 يذكر الشيخ مظاهر هذه المقولات في الحضرة الإلهية فيقول: العالم كله عمل الله، فعمله على شاكلته، فما في العالم شيء لا يكون في الله. والعالم محصور في عشر لكمال صورته إذ كان موجودا على صورة موجده: فجوهو العالم لذات الموجد. وعرض العالم لصفاته. وزمانه لأزله. ومكانه لاستوائه. وكمه لأسمائه. وكيفه لرضاه وغضبه. ووضعه =

العبد حينئذ في سعة الله وحِكمته وَجوده. ومتى أسرى بالعبد في عوالمه هذا الإسراء، وحصل في خزائنه جميع قرب الملأ الأعلى، صار حينئذ عبدًا كلِّيا، أمّة قانتا حنيفا، اصطفاه لنفسه وشرّفه تشريفا، يصلّي العالم كلّه -إذا شاء- بصَلاته، ولا يخرج شيئا من كلِّيّات[1] القرب عن صِلاته فمتى أراد أن يقابل حقيقة من حقائق العالم ويستجليها، نظر في ذاته الرّقيقة الروحانية التي تضاهيها، فعنده مفاتيح الجود، وفي مرآة ذاته يحصل

= لكلامه. وإضافته لربوبيته. وأن يفعل لإيجاده. وأن ينفعل لإجابته من سأله. وما من شيء ظهر في تفاصيل العالم إلا وفي الحضرة الإلهية صورة تشاكل ماظهر أي يتقيد بها ولولا هي ما ظهر. ألا ترى الفلك الأطلس كيف ظهر من الحيرة في الحق، لأن المقادير فيه لا تتعين للتماثل في الأجزاء، كالأسماء والصفات للحق لا تتعدد. ووضع الفلك المكوكب بالمنازل على شكل الدلالات على ما وقعت فيه الحيرة، فاستدل بالمنازل على ما في الأطلس من بروج، فهو على شكل الدلالة، وجعل تنوع الأحكام بنزول السيارة في المنازل والبروج بمنزلة الصور الإلهية التي يظهر فيها الحق. فبما للأطلس فيها من الحكم تجهل ويقال ليس لله صورة بالدلالة العقلية. وبما للمنازل فيها من الدلالات تعلم ويقال هذا هو الحق.

(1) في الباب الخامس من الفتوحات المتعلق بأسرار البسملة والفاتحة، ذكر الشيخ هذا «العبد الكلّي» مرّتين، وأعاد ذكره في الباب 281 المتعلق بسورة العصر، وهو «في معرفة منزل الضمّ وإقامة الواحد مقام الجماعة من الحضرة المحمدية». وفيه يقول: وبعد أن أبنت لك مرتبة الكمال، فلنبيّن لك من هذا المنزل قيام الواحد مقام الجماعة، وهو عين الإنسان الكامل، فإنه أكمل من عين مجموع العالم، إذ كان نسخة من العالم حرفا بحرف، ويزيد أنه على حقيقة لا تقبل التضاؤل حين قبلها أرفع الأرواح الملكية إسرافيل. فإنه يتضاءل في كل يوم سبعين مرة حتى يكون كالوضع، أو كما قال. والتضاؤل لا يكون إلا عن رفعة سبقت، ولا رفعة للعبد الكلي في عبوديته، فإنه مسلوب الأوصاف. فلو أنتج لذلك الروح المتضايل حال هذا العبد الكلي في عبوديته لما تكرّر عليه التضاؤل، فافهم ما أشرت به إليك. وقد نبّهتك بهذا الخبر أنّ هذا المَلك من أعلم الخلق بالله، وتكرار تضاؤله لتكرار التجلي، والحق لا يتجلى في صورة مرّتين، فيرى في كل تجل ما يؤدّيه إلى ذلك التضاؤل. هذا هو العلم الصحيح الذي تعطيه معرفة الله. ومصطلح «الإنسان الكلّي» نجده في نصوص أخرى للشيخ منها قوله في الباب 361 المتعلق بسورة المؤمنون: «الإنسان الكلّ الكبير، الذي هو ظل الله في خلقه مِن خلقه. فعن ذلك هو خليفة. ولذلك هم خلفاء عن مستخلَف واحد، فهم ظلاله، للأنوار الإلهية التي تقابل الإنسان الأصليّ».

الشهود[1] وفي مثل ذلك قلت:

إذا ورثتْ ذاتي من الملأ الأعلى	مرَاتب أعيان بها حازت القربى
هنالك أدْعَى بالخليفة مطلقا	إذا بايعت أسراره مني القلبا
ويتحد المعنى بسرّ موحِّد	له نَسب يلقى بها الشرق والغربا
وهذا هو العبد الذي قيل إنه	هو المفرَد الكلِّي إذا ملأ الرّحبا
يربّى لمجموع الوجود رقائقا	وما دعا منها الذي شاءه لبّى
ولِم لا تلبّي من يُربّ وجودها	ومن صار إذ ربّى عوالمها ربّا
فذاتي مرآة الوجود جميعه	لكون وجودي قد حوى القشر واللبّا
وما قدر الله امرؤ حق قدره	إذا جحد العبد النيابة والإنبا
وما مُدِح الإنسان قط بمثلها	فحقق مرَادي تستزيد به عُجْبا

فانظروا -رحمكم الله- إلى بعض نتائج هذا الإسراء الروحاني، والسلوك الرّباني، في حضرة السفر إلى الله: هو أوّل درجات الأسفار الرّبانية. إذ السفر له ثلاث مراتب: سفر إليه، وسفر منه، وسفر فيه وهو أعلاها[2].

---

(1) في آخر الباب 16 من الفتوحات تكلم الشيخ عن الرقائق الروحانية الإنسانية المضاهية لحقائق العالم، عند كلامه عن أحد الخلفاء الستة لإمام الحكماء وقطب الأنفاس المسمّى «مداوي الكلوم»، ويعني به النبيّ إدريس -عَلَيْهِٱلسَّلَامُ- فقال عن خليفته الخامس أنّ اسمه «الكاسب»: وكانت له قدم راسخة في علم المناسبات بين العالمين، والمناسبة الإلهية التي وُجد لها العالم على هذه الصورة التي هو عليها. كان هذا الإمام إذا أراد إظهار أثر مّا في الوجود نظر في نفسه إلى المؤثر فيه من العالم العلوي نظرة مخصوصة على وزن معلوم، فيظهر ذلك الأثر من غير مباشرة ولا حيلة طبيعية. وكان يقول إنّ الله أودع العلم كله في الأفلاك، وجعل الإنسان مجموع رقائق العالم كله. فمن الإنسان إلى كل شيء في العالم رقيقة ممتدّة، من تلك الرقيقة يكون من ذلك الشيء في الإنسان ما أودع الله عند ذلك الشيء من الأمور التي أمّنه الله عليها ليؤدّيها إلى هذا الإنسان. وبتلك الرقيقة يحرّك الإنسان العارف ذلك الشيء لِما يريده. فما من شيء في العالم إلا وله أثر في الإنسان، وللإنسان أثر فيه. فكان لهذا كشْف هذه الرقائق ومعرفتها، وهي مثل أشعة النور. عاش هذا الإمام ثمانين سنة.

(2) للتوسع في معرفة صورة السالك والمسافر وأحواله والسفر والطريق وأسرارها تنظر في =

ولذلك سألت شيخنا وإمامنا -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- في بدايتي لخدمته، قبل أن يتضح شيء من الحقائق التي اتضحت ببركته، فقلت: «يا سيدي، أرى كتاب الإسراء مقيّدا بعالم الخيال، وهي حضرة أصحاب الأحوال[1] فقال -أيده الله-: (إنما وردت عليّ معاني مجرّدة عن المواد، وكذلك أكثر فتحي، لأني سألت الله أن يجعل فتحي كذلك، لكون المعاني المجرّدة لا تقبل الغلط ولا التأويل، وإنما هي بمنزلة النصوص. وإنما الحق -سبحانه- أعطاني قوة على تنزيل المعاني في الصور، وتقييدها في أوْلى الصور بها، بحيث لو تجسد ذلك المعنى في حضرة التجسد لما وجد صورة هي أحق به من الصورة التي نكسوها له. قال: ورمزت في هذا الكتاب بعض تلك المعاني المجرّدة بعبارتي، ليكون ذلك بمنزلة الرّؤيا التي لا يفكها إلا المُعبّر العالم بأصولها، وإن كان الغير يشاركه في سماع الرؤيا، لكن لا يعرف تأويلها إلا هو ومن جرى مجراه. فقولي: «سماء وأرض» لم أرد به هذه السماوات المحسوسة، وإنما أردتُ به السموّ والارتفاع إلى العلو، وضدّه الأرض. ولذلك قلت في صدر الكتاب: «سماوات معنى لا مغْنى». وقد قلت فيه: إني ذكرت ترتيب الرحلة وتسمية بعض المقامات، إلى مقام «لا يُقال»، ولا يصح ظهوره بالعلم ولا بالحال).

فانظروا -رحمكم الله- إلى بعض مقاصد الأكابر بما يتكلمون به من الأسرار الإلهية، كلّ ذلك رحمة من الله لعباده القابلين لهداياه، وتحفة ليتحقق الأولياء بميراث تامّ من مواريث الأنبياء -عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ-. ولقد سلكوا هذا المسلك وفي الوقت بقايا يقبلون عنهم، ويستمدّون منهم، فكيف إذا انضاف إلى ذلك علم المعارف بما يعطيه آخر الزمان من عدم ظهور المحققين إن لم يكن وجودهم، وكثرة أهل الدّعوى والمتشبّهين، وحكم الفترة على همم السالكين، فتبعثهم الرحمة الإلهية والجود على تنبيه همم المتأخرين على النهوض من حضيض الفترة، إلى المقامات العليّة والرّتب السنيّة؛ لا يجدون في وقتهم عارفا سواهم، ولا يَصِلون إليها بمجرّد قواهم. فيكون العارف عند كشفه لمثل هذا، كأنه فرض عين في حقه، وذلك من رحمة الله -تعالى- بخلقه، لينبّه الله -تعالى-

= الفتوحات على التتالي الأبواب: 189/ 190/ 191.

(1) للتوسع في معرفة الحال وأسراره ورجاله ينظر في الفتوحات الباب 192، ولمعرفة المقام وأسراره الباب 193.

بأنفاسه المحلّ القاصر في آخر الزمان، على طلب الكمال؛ ويريّش الله بهم جناح الهمم بعد الكلال؛ خصوصا وقد ثبت في باب الحقائق، أنّ صاحب الجناح الشوقي، إنما يطير إلى منتهى ما عرف، وإلى أي مرتبة انتهى به العرفان سقط طائر الهمّة به ووقف. كما جرى لأصحاب التيه، الذي لم يبرحوا فيه، فلو وجدوا إلى الهدى معرفة، لفارقوا تلك الصفة. فإذا وجد مثل هؤلاء من يدلّ حيرتهم، وينعش همّتهم، ويريّش جناح عزيمتهم، طاروا مرتفعين في جو المشتاقين[1]، وسروا إلى مواطن معارف هممهم بشفاعة الشافعين.

ولمّا أعلمني الله -تعالى- من ذلك كلّه ما أعلمني، وهداني إلى سؤال شيخي وإمامي في شرح بعض معارفه ووفّقني، وأطلع اللهُ -سبحانه- لشيخنا على حقيقة قصدِي، وكشف له عمّا أودعه عندي، أجاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- في ذلك مسألتي، وقبل في شرح كتابي «الإسراء والمشاهد» شفاعتي، وأفرد لي مجلسا خاصّا في بيت من بيوت حرمه، وفتح عليّ خزائن جوده وكرمه، فشرح المشكل، ورفع المسدل، وفصّل المجمل، ونزّل رقائق الخطاب إلى حضرة البيان، وأبرَزَها في حلل اللطف والحنان، وتنفّس عن يمينه بنفَس الرحمن[2]، فانبجس النور، وأضاء الديجور، وأنس النفور، وأقرّ عن نفسه أنه ظنّ أن لن يحور، وقرع النادم على سابق إنكاره سنّ الندم، لمّا أصبح وبدا منه عَلَم. فمن تاب إلى الله -تعالى- من هجومه على إنكار ما لم يحط به خُبرا واعتذر، وندم على ما فرط منه لمّا بان له الحق وظهر، تداركه الوعد الكريم الذي شهد به صحيح الخبر، من أنّ الله -تعالى- أخذ بيد الكريم كلما عثر. فاستجلوها رحمكم الله يا إخواني الآن، في حُلل البيان:

عروسا تجلّت في المعاني فريدة	فطوبى لمستجل يكون لها عِرْسا
تجلّت بوصف البدر حين تنزّلت	فقرّوا بها عينا وطيبوا بها نفسا
وذلك من ألطافها وحنوّها	ليوريكم منها تنزّلها أنسا
وإلاّ فمجْلاها الأحَقّ بوصفها	أشعّته قهرية تكسف الشمسا

(1) للتوسع في معرفة الشوق والاشتياق واسرارهما ينظر في الفتوحات الباب 180، ولمعرفة الهمّة وأسرارها الباب 229.

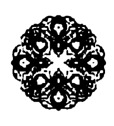
(2) للتوسع في حقائق «نفَس الرحمن» ورجاله ينظر في الفتوحات الباب الشاسع 198، والبابان: 49/ 51.

إذا حامـت الأبصـار حـول حمائها لتسـرق منها نظرة طُمسـت طمسـا
بنـار تجلّيهـا رُؤوس تـناثــرت لسـطوتها مـا أن تحـسّ لهـا حِسـا
وكـم همّـة رامـت تسـاكن وصفهـا فأسـكنت الأطمـاع رائدهـا رمسـا
خـذوا نفحـة جاءتكـم حاتميّـــة مطهّـرة أنفاسـها تُذهِـب الرّجسـا

وكنت عزمت على أن أقتصر على ذكر المشكل من الكتابين خاصة الذي يتعلق به الشرح، ثم رأيت أنه ربما حصل ذلك عند من لم يظفر بالأصل فتنتقص عليه هذه الهديّة، حيث لم يظفر بكمال الأمنيّة، فكتبت كتاب الإسراء جميعه على فصّه، وكلما جاءت كلمة من مشكله الذي يستدعي الشرح، ذكرت شرح ذلك تحته في سطور أقصر من سطور الفص، ليتميّز الشرح من المشروح.

وأمّا «كتاب المشاهد» فاقتصرت منه على ذكر المشاهد التي هي قطب معارف الكتاب، وما عداها فإنما هو مقدّمة وتمهيد وفوائد في مناقب الشيخ عبد العزيز المهدوي -قدّس الله روحه- وهو ظاهر جليّ لا يحتاج إلى شرح، ولا يتضمّن حقائقا كما تضمّنته المشاهد، فلذلك تركت إيراده لئلا يطول به الخطاب، إذ القصد مخاطبة أولي الألباب. وفصلت بين الكتابين بخطبة خاصة لكتاب المشاهد[1]، حتى يستقل كل من الكتابين بمفرده لمن قصد تحصيل أحدهما دون الآخر، وجميع ما أوردُه من الشرح فيهما هو إملاء من الشيخ عليّ، ونص منه إليّ، وما خرج عن ذلك فإني أورده حاشية أعيّنها، ومزيد فائدة أبيّنها، وذلك لتحقيق الأمانة، وبالله الاستعانة. وهذا حين أبتدئ، وبالله أهتدي.

انتهت مقدّمة ابن سودكين.



(1) لقد كتبنا شرحا لكتاب المشاهد مع المقدّمة والتمهيد اللذين كتبهما الشيخ مع مناقب الشيخ المهدوي، ووجوه القلب الثمانية وما يناسبها من الحضرات، بعنوان «الشرح القرآني لكتاب مشاهد الأسرار القدسية للشيخ الأكبر محيي الدّين ابن العربي» وطُبع في دار الكتب العلمية بلبنان سنة 2010، وأعيد طبعه في دار عالم الكتب الحديث بالأردن سنة 2016.

كتاب الإسراء مع شرحه

مقدّمة المؤلف الشيخ الأكبر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي سلخ[1] نهاره من ليله المظلم، وأطلع فيهما شمسه النيّرة وبدره المعتم، ونصبهما دليلين على الموضح والمبهم، حمدا أزليّا بلسان القِدم، يُرْبي على إدراك نهاية أقصى غاية جلال جمال كمال صريف القلم في ألواح صدور الكلِم[2] المرقومة بمداد «نون»[3] الجود والكرم المنزّه من وقت فتق رتق سمائها[4] بجميع الإدراكات عن العدم، «الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى»[5] والموقف الأقدم.

---

(1) سلخ: استلّ، كما في الآية 37 من سورة يس: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾.

(2) لمعرفة الجلال والجمال والكمال ينظر في الفتوحات على التتالي الأبواب: 241/ 242/ 243. وصريف القلم هو صريره أي صوته خلال الكتابة. والكَلِم: جمع كلمة، والمقصود بها هنا الأنبياء والكمّل من الأولياء، كما هو ظاهر في عناوين الأبواب السبعة والعشرين من كتابه «فصوص الحكم». وعموما «الكلمة» عند الشيخ تعني كلّ موجود بكلمة التكوين الإلهي: «كن». والكُمّل هم من الكلمات التامّات.

(3) «النون» هنا عبارة عن العلم الإجمالي، أي الدواة التي يتضمّن مدادها إجمالا صور الحروف المشكّلة لكلمات العالم أي الموجودات، أي أنّ «النون» هي حضرة علم الإجمال الذي يفصّله القلم الأعلى في اللوح المحفوظ؛ وظهر القلم واللوح وما تلاهما من العوالم من الجود الإلهي بالوجود على الأعيان الثابتة في علمه تعالى الأزلي.

(4) الفتق: الشقّ، وعكسه الرّتق: أي الالتحام، كما في الآية 30 من سورة الأنبياء: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَا ﴾.

(5) الآية 1 من سورة الإسراء.

والشكر[1] له على مقتضى ما مضى من حمده وتقدّم، شكرا باللام لا بالباء فانه ينصرم والصلاة والسلام على أوّل مبدَع كان ولا موجود ظهر هنالك ولا نجم، فسمّاه: «مِثْلا» وقد أوجده فردا لا يتقسّم، في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[2] [الشورى: 11].

وهو العالِم الفرد العَلَم، وأقامه ناظرا في مرآة الذات فما اتصل بها ولا انفصم. فلمّا بدت له صورة المِثْل آمن بها وسلّم، وملّكه مقاليد مملكته واستسلم؛ فإذا الخطاب: (أنت الموجود الأكرم، والحَرَم الأعظم، والرّكن والملتزم[3]، والمقام والحَجر المستلم، والسرّ

---

(1) الشكر باللام هو قول: «الحمد لله» أي أنه تعالى هو المحمود والحامد لنفسه، إذ لا يمكن لمخلوق أن يحصي الثناء عليه تعالى كما أثنى هو على نفسه. أمّا الشكر بالباء فهو يعني أنّ العبد هو الحامد لربّه بقدر علمه بربّه، وعلمه مهما كان وسعه محدود لا مقارنة بينه وبين حمده تعالى لنفسه بنفسه، وهو حمد الحمد.

(2) الشورى: 11 - كثيرا ما تكلم الشيخ عن هذه الآية في الفتوحات، وخصص لها الباب 499 في معرفة حال قطب كان منزله «ليس كمثله شيء»، وقتا على زيادة الكاف، ووقتا على كونها صفة لفرض المِثل وهو مذهبنا والحمد لله». يعني أنه باعتبار الكاف غير زائدة في ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ يمكن فهمها: (ليس مثل مثله شيء) لقول رسول الله -ﷺ-: (إنّ الله خلق آدم على صورته). فالإنسان الكامل المخلوق على صورة الرحمان هو المثل الأعلى. وسماه الشيخ في كتاب المشاهد: «حَجَر المِثل» لأن كلمة «حجر» -بفتح الحاء والجيم- تشير إلى «حِجْر» -بكسر الحاء وجزم الجيم- أي المنع والتحديد، أي التكليف والعجز والفقر أي صفات العبودية المتمثلة خصوصا في الحَجر الجامد. فالإنسان الكامل مع تحققه بكمال صورته الإلهية لا ينحجب عن عبوديته وإمكانه، فهو البرزخ الجامع لطرفي الوجوب والإمكان أو الإطلاق والتقييد، وما يتفرع منهما من أضداد. وأوّل مبدَع هو الحقيقة المحمّديّة، وهو -ﷺ- المخاطب في الفقرة التالية.

(3) أشار بالحرم إلى المقام المحمدي الذي لا يمكن انتهاكه، وأشار بالركن والمقام إلى الركن اليماني ومقام إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- والحجر المستلم هو الحجر الأسود يمين الله تعالى في أرضه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 10]. وأشار بالملتزم -وهو الموضع الذي بين ركن الحجر الأسود وباب الكعبة ويُستجاب الدعاء عنده- إلى أنّ أعظم وسيلة للقبول عند الله تعالى الإتيان من بابه -ﷺ- كما عبّر عن ذلك البوصيري -رَحِمَهُ اللَّهُ- في بردته:

«ولا استلمت غنى الدّارين من يده   إلا استلمت الندى من خير مستلم» =

الذي في زمزم: هو لِما شُرب له فافهم، والمشار إليه بواسطة التركيب: «المؤمن مرآة أخيه»[1] فلينظر ما بدا له فيها وليتكتم؛ وعلى آله الطاهرين وصحبه وسلّم.

أمّا بعْد

فإنّي لمّا قصدتُ معاشر الصوفية، أهل المعارج العقليّة، والمقامات الرّوحانية، والأسرار الإلهية، والمراتب العليّة القدسيّة، في هذا الكتاب المنمّق الأبواب، المترجَم بـ«كتاب الإسرا إلى المقام الأسْرَى» و«اختصار ترتيب الرّحلة من العالم الكوني إلى الموقف الإلِّي»[2]، وبيّنتُ فيه كيف ينكشف اللباب، بتجريد الأثواب[3]، لأولي البصائر والألباب[4]، والأمر العجاب، بالإسراء إلى رفع الحجاب، وأسماء بعض المقامات إلى مقام: «ما لا يُقال»، ولا يمكن ظهوره بالعِلم ولا بالحال.

وهذا معراج أرواح الوارثين سُنن النبيّين والمرسلين[5] معراج أرواح لا أشباح،

= وحديث: «ماء زمزم لما شُرب له»: ذكره ابن أبي شيبة وأحمد في مسنده، وابن ماجه والبيهقي في السنن عن جابر، والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمرو.

(1) لهذا الحديث رواية أخرى هي: «المؤمن مرآة المؤمن». والشيخ يشير هنا إلى أنّ الاسم «المؤمن» من أسماء الله الحسنى، وهو أيضا اسم للعبد المتحقق بالإيمان التام، فكأنّ هذا الحديث يؤكد الحديث الثابت: «خلق الله آدم على صورته». ورواية «المؤمن مرآة أخيه» رواها الطبراني في الأوسط وحسّنها السيوطي في الجامع الصغير. وورد في «كشف الخفاء للعجلوني»: 2687، وقال رواه أبو داود عن أبي رفعة، والعسكري من طرق عن أبي هريرة، وأخرجه الطبراني والبزار والقضاعي عن أنس.

(2) الإسرا هو السير ليلا، والمقام الأسرى هو المقام الأشرف الأعلى، والموقف الإلّي هو موقف الملإ الأعلى في حضرة الله تعالى، لأنّ كلمة «إلّ» و«إيل» من أسماء الله تعالى خصوصا إذا نُسبت إليه الأرواح والملائكة مثل «جبرائيل وميكائيل وإسرافيل».

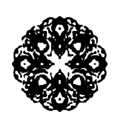
(3) أي التخلّص من كلّ الحُجُب التي تحول بين العبد ومعرفة الله تعالى وقربه ورضوانه.

(4) أي الجامعين بين بصيرة القلب وسلامة العقل، لأنّ الألباب جمع لبّ وهو العقل السليم، كما أنّ لبّ الشيء هو حقيقته وخيار خلاصته.

(5) يشير إلى الحديث: «العلماء ورثة الأنبياء»، أي العلماء بالله تعالى. فقد روى أبو داود والترمذي =

وإسراء أسرار لا أسوار، ورؤية جَنان لا عِيان، وسلوك معرفة ذوق وتحقيق، لا سلوك مسافة وطريق، إلى سماوات مَعْنى، لا مَغْنى[1].

ووصفتُ الأمر بمنثور ومنظوم، وأودعته بين مرموز ومفهوم، مسجّع الألفاظ، ليسهل على الحُفاظ، وبيّنتُ الطريق، وأوضحتُ التحقيق، ولوّحتُ بسرّ الصِدِّيق[2] ورتّبتُ المناجاة[3]، بإحصاء بعض اللغات. وهذا حين أبتدي، وبالله أهتدي.



= وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وغيرهم أن النبي -ﷺ- قال في ضمن حديث طويل: «إن العلماء ورثة الأنبياء، وإنّ الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، إنَّما ورَّثوا العلم، فمن أخذَه أخذ بحظٍّ وافر».

(1) أي أنّ كلّ ما سيذكره الشيخ في هذا الكتاب هي مشاهد روحية ومعاني ذوقية عرفانية، لا ينبغي تصوّرها كصور وأشخاص ومخاطبات حسّية في عالم الأجسام.

(2) يشير إلى حديث: «ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في صدره»، قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (1 / 30 و105 – طبعة الحلبي): «رواه الترمذي الحكيم في «النوادر» -أي «نوادر الأصول»- من قول بكر بن عبد الله المزني، ولم أجده مرفوعا. وفي رواية أخري: «... بسرّ وقر في قلبه». وقيل إنه من كلام بعض السلف. وعند الشيخ الأكبر هذا السرّ المخصوص بالصدّيق الأكبر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- هو من مقام القربة الذي هو أعلى مقامات الولاية فوق مقام الصدّيقية وتحت نبوّة التشريع.

(3) أي في القسم الأخير من هذا الكتاب خصص الشيخ فصولا للمناجاة في حضرة «أوحى»، وسمّاها مناجاة الإذن، ومناجاة التشريف والتنزيه والتعريف والتنبيه، ومناجاة التقديس، ومناجاة المنّة، ومناجاة التعليم، ومناجاة مبادئ السور، ومناجاة جوامع الكلم، ومناجاة السمسمة، ومناجاة الدرّة البيضاء. ويعني بإحصاء بعض اللغات التعبير عن بعض حقائق تتعلق بأحوال وأقوال وقصص بعض الرّسل، هم آدم وموسى وعيسى وإبراهيم ويوسف وسيدنا محمد- عليهم الصلاة والسلام- .

باب سفر القلب[1]

قال السالك: خرجت من بلاد الأندلس، أريد بيت المقدس:

قوله -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «الأندلس» مشتق من «الدّلس»[2]، وهو التغيير. و«القدس»: التطهير:

وقد اتخذت الاستسلام جوادا[3]، والمجاهدة مهادا والتوكل زادا. وسرتُ على سواء الطريق، أبحث عن أهل الوُجود والتحقيق، رجاء أن أبرز في صدر ذلك الفريق.

قال السالك: فلقيت بالجدول المَعين، وينبوع أرين:

---

(1) يؤكد الشيخ بهذا العنوان على أنّ كلّ ما سيذكره في هذا الكتاب عبارة عن أحوال روحية ومعاني باطنية ومشاهد ملكوتية، ليست من عالم الأجسام الحسّية. وهذا ما عبّر عنه الشيخ في الباب 367 من الفتوحات المتعلق بسورة الإسراء، الذي وصف فيه معراج النبي -ﷺ- ومعراج الشيخ الروحاني المفصّل في هذا الكتاب فقال: «وله -ﷺ- أربعة وثلاثون مرة الذي أسرى به، منها إسراء واحد بجسمه والباقي بروحه رؤيا رآها. وأمّا الأولياء فلهم إسراءات روحانية برزخية، يشاهدون فيها معاني متجسدة في صور محسوسة للخيال، يعطون العلم بما تتضمّنه تلك الصور من المعاني؛ ولهم الإسراء في الأرض وفي الهواء، غير أنهم ليست لهم قدم محسوسة في السماء. وبهذا زاد على الجماعة رسول الله -ﷺ- بإسراء الجسم واختراق السماوات والأفلاك حسّا، وقطع مسافات حقيقية محسوسة. وذلك كله لورثته معنًى لا حسّا، من السماوات فما فوقها. فلنذكر من إسراء أهل الله ما أشهدني الله خاصة من ذلك، فإنّ إسراءاتهم تختلف، لأنها معان متجسِّدة، بخلاف الإسراء المحسوس. فمعارج الأولياء معارج أرواح، ورؤية قلوب وصور برزخيات، ومعان متجسِّدات. فممّا شهدته من ذلك، وقد ذكرناه في كتابنا المسمّى بالإسراء وترتيب الرّحلة. .

(2) من بين معاني كلمة «الدّلس»: الظلمة، والتزييف، وإخفاء العيوب. وهذه كلها من التغيير الذي يحصل للفطرة الأصلية الطاهرة المؤمنة. فالمريد السالك يخرج من ظلمة الغفلة، وتزييف الفكر، وإخفاء عيوب النفس طالبا التطهّر من ذلك كلّه لتبديل السيّئات بالحسنات.

(3) أي أنّ مطيّته في سلوكه التسليم لأحكام الله تعالى، ومجاهدة النفس بالعمل بشريعته تعالى حتى تصبح راحته في عين مجاهدته، لأنّ المهاد هو الفراش الذي هو محلّ الرّاحة.

«قبة أرين» مكان وضع على خط اعتدال الليل والنهار أبدا على التساوي فيه. قوله: «ينبوع أرين» أي العلم الذي يظهر على مثل هذه المرتبة، معتدل القامة لا انحراف فيه.

فتى[1] روحاني الذات، ربّانيّ الصفات، إلّيّ الالتفات

---

(1) هذا الفتى يُذكّر بالفتى الذي لقيه الشيخ خلال طوافه بالكعبة، ومنه أخذ العلوم التي فصّلها في الفتوحات، وخصص له الباب الأول منه الذي عنوانه: «في معرفة الروح الذي أخذت من تفصيل نشأته ما سطّرته في هذا الكتاب، وما كان بيني وبينه من الأسرار. وفي تعليقنا على هذا العنوان في كتاب «شروح على أبواب الفتوحات» كتبنا ما خلاصته في ما يلي: -من هو هذا الروح؟ الجواب -حسب نصوص الشيخ الأخرى- هو أنه عبارة عن حقيقة واحدة لها مظاهر متعدّدة تبعا لمراتب الوجود، وروح هذه الحقيقة هي قول الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: 114].
فالمرتبة الأولى الظاهرة أنّ هذا الروح هو روح الكعبة المكرّمة حيث قال في الخطبة: (إذ كان الأغلب فيما أودعت هذه الرسالة ما فتح الله به عليّ عند طوافي ببيته المكرّم، أو قعودي مراقبا له بحرمه الشريف المعظم).
والمظهر الثاني، هي أنّ الكعبة نفسها تعتبر كمسقط لكعبات السماوات السبعة التي مركزها كعبة السماء القلبية الشمسية القطبية، وصاحبها القطب الدائم لعالم الدنيا إدريس مداوي الكلوم-عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-. ففي هذا الاعتبار الثاني يكون الروح الذي أخذ الشيخ منه هذا الكتاب هو الروح الإدريسي مظهر الحقيقة المحمدية في عالم الدنيا، وقد صرّح بهذا في آخر الباب 14 فقال: «وأما القطب الواحد فهو روح محمد -ﷺ- وهو الممد لجميع الأنبياء والرسل -سلام الله عليهم أجمعين- والأقطاب من حين النشء الإنساني إلى يوم القيامة. قيل له -ﷺ-: متى كنت نبيّا؟ فقال -ﷺ-: وآدم بين الماء والطين». وكان اسمه «مداوي الكلوم»، فإنه بجراحات الهوى خبير والرأي والدنيا والشيطان والنفس، بكل لسان نبوي أو رسالي أو لسان الولاية (...) وقد أخذنا نحن عنه علوما جمة بمآخذ مختلفة.
المظهر الثالث لهذا الروح هو الروح المحمدي نفسه المذكور في هذا النص الأخير، وهو الذي تجلى بصفة التعليم في أول المراتب الكونية أي القلم الأعلى الإمام المبين ولوحه المحفوظ.
وفي العديد من نصوصه أخبر الشيخ عنه أنّه-ﷺ- هو ممدّه بكلّ خير خصّه الله تعالى به، فمن ذلك قوله خلال وصفه لمعراجه في الباب 367 المتعلق بسورة الإسراء: (ثم عاينت متكآت رفارف العارفين، فغشيتني الأنوار حتى صرت كلي نورا، وخلع عليّ خلعة ما رأيت مثلها. فقلت: إلهي الآيات شتات، فأنزل عليّ عندها هذا القول: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ =

قوله: «روحاني الذات» أي غير بشر، فهو إمّا ملك، أو روحاني، أو مظهر إلهي. وقوله: «إلّـيّ الالتفات» أي التفاته لا عن جهة. و«الإلّ» اسـم من أسـماء الله –تعالى–. و«الإلّ»

= ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾. فأعطاني في هذه الآية كلّ الآيات وقرّب عليّ الأمر، وجعلها لي مفتاح كل علم. فعلمت أنّي مجموع من ذكر لي وكانت لي بذلك البشرى بأني محمدي المقام من ورثة جمعية محمد-ﷺ-(...) فعندما حصل لي ذلك، قلت حسبي حسبي، قد ملأ أركاني، فما وسعني مكاني وأزال به عنّي إمكاني. فحصلت في هذا الإسراء معاني الأسماء كلها، فرأيتها ترجع إلى مسمّى واحد، وعين واحدة، فكان ذلك المسمّى مشهودي، وتلك العين وجودي. فما كانت رحلتي إلا فيّ، ودلالتي إلا عليّ. ومن هنا، علمت أني عبد محض ما فيّ من الربوبية شيء أصلا).

وحيث إنّ خُلق الروح المحمدي، أي روح الإنسان الكامل هو القرآن، فالمظهر الرابع للروح الذي أخذ الشيخ من تفصيل نشأته ما سطره في هذا الكتاب، هو القرآن روح الإنسان الكامل، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: 52]، وهذا ما أفصح عنه الشيخ حيث يقول: – يقول في الباب 366 المتعلق بسورة الكهف:– فجميع ما نتكلم فيه في مجالسي وتصانيفي إنما هو من حضرة القرآن وخزائنه. أعطيت مفتاح الفهم فيه والإمداد منه، وهذا كله حتى لا نخرج عنه، فإنّه أرفع ما يُمنح. ولا يعرف قدرهُ إلا من ذاقه، وشهد منزلته حالا من نفسه، وكلمه به الحق في سره. فإنّ الحق إذا كان هو المكلم عبده في سره بارتفاع الوسائط، فإنّ الفهم يستصحب كلامه منك، فيكون عين الكلام منه عين الفهم منك لا يتأخر عنه، فإن تأخر عنه، فليس هو كلام الله. ومن لم يجد هذا فليس عنده علم بكلام الله عباده». .

بقي المظهر الخامس الأخير، فحيث أنّ القرآن كلام الله تعالى، وكلامه صفته التي لا تفارق الذات الموصوفة، فالروح الذي أخذ الشيخ عنه هو عبارة عن التجلي الذاتي في مظهر الاسم « الله الحي القيوم الفتاح العليم». وقد عبّر عن هذا في الباب 270 المتعلق بسورة الناس خلال كلامه عن الإمام الأدنى أي الوزير الأول لقطب زمانه، فقال: «ولقد أنعم علي هذا ببشارة بشرني بها وكنت لا أعرفها في حالي وكانت حالي فأوقفني عليها ونهاني عن الانتماء إلى من لقيت من الشيوخ وقال لي لا تنتم إلا لله فليس لأحد ممن لقيته عليك يد مما أنت فيه بل الله تولاك بعنايته فاذكر فضل من لقيت إن شئت ولا تنتسب إليهم وانتسب إلى ربك وكان حال هذا الإمام مثل حالي سواء لم يكن لأحد ممن لقيه عليه يد في طريق الله إلا لله هكذا نقل لي الثقة عندي عنه وأخبرني الإمام بذلك عن نفسه عند اجتماعي به في مشهد برزخي اجتمعت به فيه لله الحمد والمنة على ذلك». فهذه المظاهر كلها هي في جمعيتها حقيقة الشيخ الأكبر الفتى الروحاني الذات، الربّاني الصفات.

مخصوص بروحانيات الملائكة؛ ومنه اشتق: «جبرائيل» و«ميكائيل» -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ-. و«الإلهي» مخصوص بالبشر.

فقلت (له): ما وراءك يا عصام؟[1] قال: وجود ليس له انصرام. قلت: أين وضح الرّاكب؟[2] قال من رأس عين الحاجب

أراد أمرا مقيّدا لإضافته إلى الحاجب، من كونها جعلت لها حاجبا وان كانت مطلقة في نفسها.

قلت له: ما الذي دعاك إلى الخروج؟ قال: الذي دعاك إلى طلب الولوج

أي الحق سبحانه الذي طلب البشر أن يروا وجهه في الرّوحانيات[3]، وطلبت الروحانيات أن يروا وجهه في البشر.

فقلت له: إني طالب فقيد، قال: وانا داع إلى الوجود

قوله: «طالب فقِيد»: الفقد لا يكون إلا عن أمر متقدّم، يشير به إلى ميثاق «ألست

(1) سؤال عصام كلمة يُستفهم بها عن مجهول، لكنها هنا تشير إلى اعتصام السالك بهذا الفتى الربّاني الصفات. وكان يُقصد بها في الأصل عصام بن شهير الجرمي، حاجب الملك النعمان بن المنذر، وإلى اسمه أشار في قوله التالي «من رأس عين الحاجب». والوجود الذي ليس له انصرام، عبارة عن الوجود الحق المطلق الذي لا نهاية لتجلياته وكمالاته.

(2) الرّاكب هو القاصد موقعا معيّنا محدّدا، والحق تعالى مع عبده أين ما كان في قعوده قبل ركوبه وخلال ركوبه ومع مقصوده، فكيف يقصد الرّاكب من هو أقرب إليه من حبل الوريد؟ فطلبه هذا عين حجابه، وفي هذا المعنى يقول الشيخ في الباب الثاني من الفتوحات:

يا طالبا لوجود الحق يدركه ارجع لذاتك فيك الحق فالتزم.

(3) الرّوحانيات سماوية، والبشر في الأرض، والحق تعالى يقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: 84]. وفي الحديث النبوي: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّكُمْ دَلَّيْتُمْ أَحَدَكُمْ بِحَبْلٍ إِلَى الْأَرْضِ السَّابِعَةِ لَهَبَطَ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ. ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ») -رواه البيهقي والترمذي وغيرهما. وفي حديث آخر: (إنّ الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار. وإنّ الملأ الأعلى يطلبونه. كما تطلبونه أنتم) -رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، وفي حديث آخر: «إنّ الله في السماء كما هو في الأرض، وإنّ الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم) - له شواهد عند ابن جرير وابن أبي حاتم وأخرج نحوه بغير هذا اللفظ ابن المنذر.

بربكم». ويجب أن يتحقق به ليدرك ما كان ثَمّ من الحضور. وقول الآخر «داع إلى الوجود»: بمنزلة المعلم لهذا المتعلم، فأحدهما قال: أنا طالب من يربّيني، والآخر قال: جئت أطلب من أربّيه وأعلّمه.

فقلت له: فأين تريد؟ قال: حيث لا أريد

قوله: «حيث لا أريد»: وهو إرادة الحق -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-[1]. ثم قال هذا الداعي إلى الوجود:

لكني أرسِلتُ إلى المشرقين، إلى مطلع القمرين

«المشرقين»: عبارة عن صفتين متناقضتين، ليجمع بينهما بصفة الاشتراك. وقوله «مطلع القمرين»: أي مطلع الشمس والقمر[2]. وهو معرفة النفس والروح

إلى موضع القدمين، آمرا من لقيتُ بخلع النعلين

قوله: «موضع القدمين»: أي موضع انقسام الكلمة الإلهية، وهو الكرسي. فمعنى الكرسي هو العلم الذي من شأنه أن يقسم الكلمة إلى محتملات وجوهها. فتارة يقسمها قسمة منحصرة إذا أعطت الانحصار، كمسألة دائرة بين النفي والإثبات، كما تقول: لا يخلو هذا الذي فرضته إمّا أن يكون كذا أو لا كذا. والمنتشرة هي التي لا تتقيّد ولا تنحصر. وقوله «آمرا من لقيت بخلع النعلين»[3]: أي زوال شفعيته برؤية الحق -جل وعلا-.

---

(1) أي أنّ المريد هو الذي لا يريد إلا ما أراده الله تعالى ممّا يرضاه لعباده الصالحين.

(2) ممّا يُناسب هذا المعنى من باب الإشارة لا التفسير قوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ۝ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۝﴾ [القيامة: 9/ 12].

(3) الجمع بين موضع القدمين، وخلع النعلين، هو الجمع بين كلّ ضدّين، لأنّ موضع قدمي الثنائيات الوجودية عند الكرسي، معاكس لخلع شفعية النعلين في مشهد الأحدية ومشهد القيومية الماحيين لكلّ اثنينية، وهو ما عبّر الشيخ عنه في الباب الثاني من الفتوحات خلال كلامه عن إشارات فاتحة سورة البقرة: «الم» فقال: (وقد أشبعنا القول في هذا الفصل عند ما تكلمنا على قوله تعالى: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ من كتاب «الجمع والتفصيل»، أي: اخلع اللام والميم تبق الألف المنزهة عن الصفات). وفي هذا السياق يقول الشيخ في الباب 219 من الفتوحات- وهو في معرفة البسط وأسراره- في وصفه للعارفين: «فهم مقبوضون في حال بسطهم، ولا يصح لعارف قط أن يكون مقبوضا في غير بسط، ولا مبسوطا في غير قبض. وما سوى العارف إذا كان في حال قبض =

قلت له: هذه أرواح المعاني، وأنا ما أبصرت إلا الأواني، فعسى حقيقة القرآن والسبع المثاني

قوله: «هذه أرواح المعاني»: أي معاني مجرّدة. وقوله «وأنا ما أبصرت إلا الأواني»: يعني معرّاة ممّا في ضمنها من العلوم، لأن الآنية في اللغة تسمّى بآنية ما دامت خالية عمّا وُضعت له. فرُبّ إناء بالنظر إلى زيد وهو كأس بالنظر إلى عمرو. فمن رأى أمرا وأخذ منه مشروبا صحيحا كان في حقه كأسا، ومن لم يحصل له منه مشروب كان في حقه إناء لفرَاغه. وقوله «فعسى حقيقة القرآن»: أي حقيقة الجمع بين الأواني والمعاني. قوله «والسبع المثاني»: أي هي التي جمعت بين الحق والعبد. فطلب أصل مقام الجمع في عين التفرقة، والتفرقة في عين الجمع[1].

= لا يكون له حال بسط، وإذا كان في حال بسط لا يكون له حال قبض. فالعارف لا يُعرَف إلا بجمعه بين الضدّين، فإنه حق كله، كما قال أبو سعيد الخرّاز وقد قيل له: بم عرفت الله؟ فقال: بجمعه بين الضدّين، لأنه شاهد جمعهما في نفسه، وقد علم أنه على صورته، وسَمِعَه يقول: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: 3] وبهذه الآية احتج في ذلك. ثم نظر إلى العالم فرآه إنسانا كبيرا في الجرم، ورآه قد جمع بين الضدين، فإنه رأى فيه الحركة والسكون، والاجتماع والافتراق، ورأى فيه الأضداد، وهو أيضا على صورة العالم كما هو على صورة الحق. فانظر ما أعجب هذه اللفظة من أبي سعيد. ولهذا المقام كان يشير ذو النون المصري في مسائله من إيراد الكبير على الصغير، وإدخال الواسع في الضيق من غير أن يوسع الضيق أو يضيق الواسع. وقد ذكرنا هذه المسألة في معرفة الخيال من باب المعرفة من هذا الكتاب مستوفاة. فبسط العلماء بالله من البسط المنسوب إلى الحق، بل هو عين البسط المنسوب إلى الحق، لأنهم إليه رجعوا، فلم يكن البسط إلا له، فهم أهل محو وإن أثبتوا. وهذا القدر كاف في تحقيق البسط من العلم الإلهي». ومن إشارات الشيخ الأخرى حول النعلين قوله في الباب 27 ما خلاصته: «وأمّا نعلا موسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- فروينا أنهما كانتا من جلد حمار ميت، فجمعت ثلاثة أشياء: الشيء الواحد الجلد، وهو ظاهر الأمر، أي لا تقف مع الظاهر في كل الأحوال؛ الثاني البلادة فإنها منسوبة إلى الحمار، والثالث كونه ميّتا غير مذكّى، والموت الجهل. وإذا كنت ميتا لا تعقل ما تقول ولا ما يقال لك، والمناجي لا بد أن يكون بصفة من يعقل ما يقول ويقال له، فيكون حيّ القلب فطنا بمواقع الكلام، غوّاصا على المعاني التي يقصدها من يناجيه بها».

(1) من أسماء فاتحة الكتاب: السبع المثاني. فآياتها الأولى إلى «الدين» خالصة للربّ تعالى، والآيات =

قال: أنت غمامة على شمسك، فاعرف حقيقة نفسك

أي: المعنى فيك، وما تراه[1]. فكأنه يقول: أنت ظاهرك خَلْق، وباطنك حقّ، فإنه لا يفهم كلامي إلا من رقا مقامي. أي: لا يعرف أحد حقيقته سواه من كل وجه، إنما تفهم من كلامه ما أرادك أن تفهمه منه لأنه يفهم كلامه، ولذلك قال:

«ولا يرقاه سواي». فكيف تريد أن تعلم حقيقة أسمائي؟ لكن يُعرج بك إلى سمائي، ثم انشدني وحيّرني:

أنـا الـقـرآن والـسـبـع الـمثـاني   وروح الـروح لا روح الأوانـي

قال الرّاوي لهذا الشرح، الممنون عليه بتلقي هذا الفتح: إنه مَنّ الله تعالى بالظفر بشرح هذا البيت الأول الذي هو بمنزلة المتشابه من وجهين: أحدهما للمترسّمين رجاء ان يلهمهم الله رُشدهم، وهو الذي يجري مجرى الصدقة عليهم كما تقدم في صدرالكتاب؛ والوجه الآخر هو الذي يقتضيه شرح المحققين من أهل الطريق، وهو هديّة الله تعالى إليهم. فأمّا الشرح الرّسمي المتسلط بالقوّة الفكريّة، والصنعة الجدليّة، على كشف أسرار أهل الحقائق الإلهية، القابلين للفيض الإلهي الرّباني بفرَاغ المَحلّ مطلقا من المواد الفكرية، وانتصابه فقيرا مجرّدا متحققا بالعبودية، فيقال له: إذا كان أهل طريقة الكلام -وهي الطريقة الباعثة لهم على الجدل والخصام- فيخاطب هذا بلغته، ويكلم بلسان أهل ملّته، بعد أنْ يعلم أولا أنّ المتكلم لم ينسب هذا القول إلى نفسه، إنما ينسبه للذي عبّر عنه أنه روحاني الذات، فإنْ سلَّمت إليه، فلا تجعل المؤاخذة عليه، لأنه حكى لك نتيجة كشفه، فإنْ أحببت أن نوضح لك وجها يسيغه التأويل عند أهل الجدل، فيقال: يا هذا، لمّا سلّمت أن الحروف المكتوبة في المصحف تسمى قرآنا، وهي عندك ليست عين كلام الله تعالى، بل هي أدلة عليه، فلا فرق بين دلالتها على الله ودلالتي أنا

= الثلاثة الأخيرة خالصة للعبد الطالب من ربّه الهداية، والمشترك بين النصفين وسطها: «إيّاك نعبد وإياك نستعين».

(1) قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: 20/ 21]، وقال: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: 53]؛ وفي الخبر النبوي: «من عرف نفسه عرف ربّه» - وقد اختلف أهل الحديث في ثبوت سنده، لكنه عند الشيخ الأكبر حديث صحيح كشفا.

على الله، فقد اجتمعنا في مشترك الدلالة، وما سمّيتُ نفسي إلا بمحدَث، وهو المحدَث الذي تسميه أنت قرآنا. فإنْ قلت: إنّ هذا لا تجوز التسمية به، قلنا: عقلا أو شرعا؟ فإن قلتَ: عقلا، فليس مذهبك ولا مذهبنا، فإنّ وضع الأسامي بالمنع والجواز ليس للعقل. وإنْ قلتَ: شرعا، فانقلْ، ولا تجده، فبأي وجه تمنع؟ فإنْ قلت: إنه يوهم، قلنا: إنما نتكلم مع عاقل، لا مع صاحب وهم.

أمّا إذا كان الشرح مع أهل السعة والمحققين والمعتبرين، كانوا واثقين بنور إدراكهم. وأكثر الفتح عند هؤلاء أن يُكشف للعبد عن نسخة القرآن في عالم الإنسان. فقوله على هذا الاعتبار: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ١﴾ [القدر: 1]، و﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: 3] فهي في التفسير الظاهر ليلة القدر، وفي اعتبار هؤلاء: في نفس المؤمن إذا صفت وزكت، ولهذا قال: ﴿يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ٤﴾ [الدخان: 4]. وقلبه في الاعتبار: السماء الدنيا التي نزل إليها القرآن مجموعا، فعاد فرقانا بحسب المخاطَبين. فالإنسان الكامل -كالأنبياء ومن تحقق بإرثهم- هو القرآن العزيز على الحقيقة، نزل من حضرة نفسه إلى حضرة موجده، وهي الليلة المباركة لكونها غيبًا. والسماء الدنيا: حجاب العزة الأحمى الأدنى إليه. ثم جُعل هنالك فرقانا، فنزل نجومًا بحسب الحقائق الإلهية، فإنها تعطي أحكامها مختلفة، فيتفرّق لذلك. فلا يزال ينزل على قلبه من ربّه نجوما، حتى يجتمع هناك، ويترك الحجاب وراءه، فيزول عن الأين والكون، ويغيب عن الغيب. فالقرآن المنزل حقّ، كما سماه الله حقّا، ولكل حق حقيقة، وحقيقة القرآن الإنسان، كما سُئلت عائشة عن خُلق النبي -ﷺ- فقالت: (كان خلقه القرآن). قال العلماء: تريد قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾ [القلم: 4][1].

ولمّا قال شيخنا: «أنا القرآن»، لم يخص بذلك نفسه، وإنما كان مترجما عن حقيقة الإنسان الكامل، فتحقق ترشد. فهذا معنى قوله: «أنا القرآن».

---

(1) قوله «نزل من حضرة نفسه إلى حضرة موجده» إنْ كان يعني به القرآن، فمعناه أنّ معانيه الثابتة في حضرة الحق تعالى أزلا نزلت إلى حضرة الوجود الكوني سورا وآيات وكلمات تتلوها الألسن المحدثة. وإن كان يعني به الإنسان الكامل، فقد نزل من حضرة ثبوته في علم الله تعالى الأزلي إلى وجوده العيني بأمره تعالى «كن». وهذا الشرح الذي أورده ابن سودكين منقول حرفيا من فصل باب «سفر القرآن العزيز» من كتاب الشيخ «الإسفار عن نتائج الأسفار». وفي ذلك الباب يُنظر تفصيل لهذا السفر القرآني المتناسب مع سفر الإنسان الكلّي الكامل.

وأمّا قوله: «السبع المثاني»، أي أنّ الله تعالى أو ما أعطاه الشاهد أنّ لنا سبع صفات، وأنّ للحق سبحانه سبع صفات عندنا وعندك. فقد ظهر وجود هذه السبع في موطنين: في الحق وفينا، فكأنها ثنيت، فلهذا صح أن أقول: «أنا السبع المثاني»، لا أني الفاتحة المكتوبة في المصحف. فهذا جواب المتكلف الذي يتكلف في غير طريقه واصطلاحه.

وأمّا ما يقتضيه طريق المحققين في شرح ذلك: فقوله: «أنا القرآن» هو المجموع، وكأنّ الإنسان المتكلم بهذا الكلام: مجموع العالم والحضرة الإلهية، فما فرط الحق في سورته من شيء. ولمّا كان القرآن قد قال فيه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38]، وقال في الإنسان الكامل: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: 12]، فناسبه من هذه الكمالية. فلذلك قال: «أنا القرآن». وأمّا قوله: «والسبع المثاني»، فإنّ السبعة الأسماء التي هي أصول الأسماء الإلهية كلها وأمهاتها، فإنها لا تكون في حق الحق مثنى، لأنه ما ثمّ إله آخر يوصف بها. ولمّا كانت هذه السبع الصفات في الإنسان الذي هو زيد، تكون في عمرو أيضا، وفي غيره على الحقيقة التي تكون في الآخر، فلذلك قبلت سورة المثنوية، فإنا على الحقيقة: «السبع المثاني».

قوله: «وروح الروح»: روح الجسم هو الروح، وروح الروح ما يقع به حياة الروح وبقاؤه، وهو تعلقه في الذي يسمّى من كون هذا التعلق بي عالِما، فروحه علمه، فالعلم: «روح الروح». وقوله «لا روح الأواني»: أي لا الروح، وهي روح الجسم خاصة من غير نظر إلى نسبة الشرف الذي هو العلم. فإن قلت: فشرَفه إنما كان بالعلم، قلنا: العلم لا تصح له هذه الحقيقة إلا بتعلقه بالمعلوم، ومحال أن يعلم ربه، فلم يبق إلا أنْ يتعلق علمه بحقيقة جامعة لجميع المعلومات، وهو: «أنا»، فإنه لا يصح هذا الكمال لغير الإنسان الكامل. فلهذا جعلت تعلق علمه بي: «روح الروح». فافهم، وقل: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: 114].

فـؤادي عـند معلومي مـقـيـم	يـشـاهــده وعــــندكم لساني
فـلا تنظر بـطـرْفـك نـحـو جسمي	وَعُــد عـن الـتـنـعـم بـالمغـاني
وَغُـص في بحـرذات الـذات تبصر	عـجـائـب مـا تـبــدّت للعـيـان

قوله: «في بحر ذات الذات»: هذه الإضافة إضافة التناسب. فالذوات عن الذات، والصفات عن الصفات، مقابلة. فقوله «غُص»: أي حقق نظرك في ذاتك من كونها ذاتا. وقوله «تبصر عجائب ما تبدّت للعيان»: أي لم ترها في عالم السلوك، ولا يصح ظهورها،

لأنها مصاحبة لـ«هو» الذي هو غيبك، فتدركها على الجملة أنها ثَمّ في هويّتك:

وأسرار ترَاءت مبهَمات مستّرة بأرواح المعاني

قوله: «أسرار ترَاءت»: أي رأى بعضها بعضا. قوله «مستّرة بأرواح المعاني»: وهي ثلاث حُجُب والأسرار ورَاء ذلك. فالحجاب الأول: الحرف، والثاني: معنى الحرف، والثالث: روح المعنى، وهي من خلف ذلك الروح. فصار الروح الثالث لها بمنزلة الحرف لك، وهي لروح المعنى كالمعنى للحرف.

فمن فهم الإشارة فليصنها وإلا سوف يُقتل بالسنان[1]

أي يصون السر الإلهي الذي يشير إليه هذا التفسير. وقوله «يقتل بالسِّنان»: تحرّز من القتل المعنوي، مثل قوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠﴾ [الذاريات: 10]، فذلك القتل هو القتل المعنوي، أي إنما يسلط على جسمه وروحه في عالم الحياة الدائمة البقاء:

كحلاج المحبّة إذ تبدّت له شمس الحقيقة بالتداني

فقال: «أنا هو الحق الذي لا يغيّر ذاته مرّ الزّمان»

فأخبِرْني أيها الصديق: أين تريد أرشدك على الطريق؟ ومِن أين أقبلت؟ وإلى أين

(1) السنان هو نصل الرّمح. وعبارة «أنا الحق» وردت في كتاب «الطواسين» المنسوب للحلاج. وللشيخ كتاب عنوانه: «السراج الوهاج في شرح كلام الحلاج». وفي باب «تجلي العلّة» من كتابه «التجليات» أجرى الشيخ حوارا روحانيا برزخيا مع الحلاج حول التوحيد وعن سبب قتله. وقد ذكر بعض أقواله وأحواله في الفتوحات، ويرى أنه من أهل الله أصحاب الأحوال الصادقة الذين قهرتهم الأحوال فلم يكونوا من أهل التمكين والقول الحكيم المتين. فيقول عنه في الباب 559: (قال الحلاج- وإن لم يكن من أهل الاحتجاج-: «بسم الله» منك بمنزلة «كن» منه، فخذ التكوين عنه». وفي فقرة أخرى من الباب 559 مناسبة للباب 20 من الفتوحات، يقرّ بحاله العيسوي، لكن في نفس الوقت يشير إلى عدم تمكنه التام من الإرث المحمّدي، فيقول: مَن كان علته عيسى فلا يُوسَى، فإنه الخالق المحيي، والمخلوق الذي يحيى. عَرْض العالم في طبيعته، وطوله في روحه وشريعته. وهذا النور من «الصيهور والديهور» المنسوب إلى الحسين بن منصور، لم أر متحدا رتق وفتق، وبربّه نطق، وأقسم بِالشَّفَقِ، وَاللَّيْلِ وَما وَسَقَ، وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ، وركب طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ، مثله. فإنه نور في غسق. منزلة الحق لديه منزلة موسى من التابوت، ولذلك كان يقول باللاهوت والناسوت. وأين هو ممّن يقول العين واحدة، ويحيل الصفة الزائدة؟ وأين فاران من الطور؟ وأين النار من النور؟ العرض محدود، والطول ظل ممدود، والفرض والنفل شاهد ومشهود).

أمّلت؟ قلت: خرجت فارًا من ذلول.

قوله: «ذلول»: أي عالم الجسم الذي هو عالم الطبيعة.

أريد مدينة الرسول -ﷺ- في طلب المقام الأزهر، والكبريت الأحمر[1].

قوله: «مدينة الرسول»: أي المقام المحمدي.

فقال: يا طالب مثلي، أما سمعت قولي؟

قوله: «يا طالب مثلي»: أي نحن أيضا نطلب ما تطلبونه. وقد جاء في الحديث: (إنّ الملأ الأعلى يطلبونه -سبحانه- كما تطلبونه أنتم)[2]

يا طالبا لطريق السر يقصده ارجع ورَاءك فيك السر والسنن[3]

قوله: «ارجع وراءك»: أي إنك تركت الحق في أوّل قدم، كما قيل لأبي يزيد -قدّس الله سره-[4].

بينك وبين مطلوبك أيّها السرّ اللطيف ثلاثة حجب.

إنما سمّاها حُجبا لأنها تعيّنات، والحق لا يدخل تحت التعيّن، وأنه مطلق الوجود. فقوله عن تلك الحجب:

من لطيف وكثيف. الحجاب الواحد مكلل بالياقوت الأحمر هو الأوّل عند أهل التحقيق. والآخر مكلل بالياقوت الأصفر هو الثالث الذي اعتمد عليه أهل التفريق.

---

(1) الكبريت الأحمر في الكيمياء المادّية القديمة مادّة نادرة تستعمل في صنعة الإكسير الذي يقلب بعض المعادن إلى ذهب. أمّا في الكيمياء الروحانية، فهو عبارة عن مقام العارف المتحقق بالاسم الأعظم الذي بنظرته يقلب دركات النفس الخسيسة إلى درجات روحية عرفانية عالية.

(2) سبق ذكر من خرّج هذا الحديث.

(3) السّنن: القصد، أو الطريقة. وفي الفتوحات ورد هذا البيت بصيغة:

يا طالبا لوجود الحق يدركه ارجع لذاتك فيك الحق فالتزم

(4) هو أبو يزيد البسطامي. يقول الشيخ في آخر الباب 184: «وإنّ قدومك عليه لم يكن إلا لجهلك به حيث لم تره في أوّل قدم، كما اتفق لأبي يزيد لمّا خرج في طلب الحق من بسطام في أول أمره، فلقيه بعض الرّجال فقال له: ما تطلب يا أبا يزيد؟ قال: الله، قال له: الذي تطلبه تركته ببسطام. فتنبّه أبو يزيد كيف يطلبه، وهو تعالى يقول: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾».

والآخر مكلل بالياقوت الأكهب[1] وهو الثاني الذي اعتمد عليه أهل البرازخ في الطريق. فالأحمر: للذات، والأكهب: للصفات، والأصفر للأفعال وهو حجاب الانفصال.

قوله في الثالث: «وهو حجاب الانفصال»: أي حجاب الأفعال، به انفصلت الذات القادرة بتحقيق إضافة الفعل لها على الحقيقة، والذات الأخرى لا فعل لها. فالذات المحققة: ذات، ووصف، وفعل. والعبد: ذات، وصفات، ولا أفعال. فالحق يخلق، والعبد لا يخلق، فبذلك وقع الانفصال.

ثم قال لي: من كان رفيقك في السفر؟ قلت: الصحيح النظر، الطيّب الخبر.

قوله: «الصحيح النظر»: أي الفكر المصيب، وهو العقل المعصوم

قال: هو الرفيق الأعلى، فهل أوقفك في الموقف الأجلى؟ قلت: لست أعلم هذه الأصول، لكنني ابتغيتُ الوصول، فجعلتُ همّتي إمامي، والطور أمامي[2]، فسمعت: (لا يراني إلا من سمع كلامي، ولا يسمعه سوائي).

قوله: «لا يراني إلا من سمع كلامي»: أي من تقدّم له سماع كلامي، إذ فائدة الكلام أن يعطيك ما يرفع الحُجب بينك وبينه. ويريد هاهنا من قوله «سمع كلامي»: أي عمل عليه، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الأنفال: 21]. قوله: «ولا يسمعه سوائي»: أي لا يعلم حقيقته من جميع الوجوه سواه سبحانه، لأنها كلمة تتضمّن ما لا يتناهى، لأنه وحداني الكلام. وعلى قدر ما يُفهم من كلامه على قدر ما ترى منه. وقد قلنا إنّ الإحاطة بكلامه محال، فإذا لا يراه على الحقيقة سواه. وأمّا أنت فإنما ترى منه بقدر ما سمعت من كلامه، ولا تسمع إلا من حيث أنت. فأنت مشهود

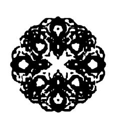
(1) الأكهب: المغبرّ المشرب سوادا. أي أنّ السالك يتحقق أولا بتوحيد الأفعال من قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: 3]، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات: 96]، ثم يتحقق بتوحيد الصفات من قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: 3]، ثم يتحقق بتوحيد الذات من قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: 88]، وقوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 115].

(2) أي جبل الطور حيث كلّم الله تعالى موسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- فطلب الرُّؤية. فالسالك في هذا المقام يطلب ميراثا موسويا.

نفسك[1].

فخررت صعقا، وتدكدك جسمي فرَقا، وبقيت طريحا بالوادي، وذهب النعلان وبقي زادي، فلمّا لم أر كونا، آنست عينا.

قوله: «فخررت صعقا»: يريد حالة موسوية، من قوله -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: (العلماء ورثة الأنبياء)[2]. قوله «وبقي زادي»: أي حياتي إذ هو صعق لا موت. قوله: «فلما لم أر كونا آنست عينا»: أي أبصرت، وانتقلت من «علم اليقين» إلى «عين اليقين[3].



(1) للتوسع في فهم «أنت مشهود نفسك» يُنظر في الفتوحات الباب 401 وهو في منازلة «الميّت والحيّ ليس لهما إلى رؤيتي سبيل، والباب 414 في معرفة منازلة «لا ترى إلا بحجاب»، والباب 426 وهو في معرفة منازلة السرّ الذي منه قال النبيّ -ﷺ- عن رؤية ربّه: «نور أنّى أراه»، والباب 442 وهو في معرفة منازلة «من رآني وعرف أنه رآني فما رآني». وحول صعق موسى-عَلَيْهِ السَّلَامُ- وما حصل له فيها ينظر حوار الشيخ معه في السماء السادسة في الباب 367 من الفتوحات.

(2) سبق ذكر من خرّج هذا الحديث. ويريد بذهاب النعلين محو شهود السالك للشفعية الوهمية التي تتوهم أنّ إنّيّة العبد قائمة بنفسها أو لها وجود مستقل عن قيّوميّة الوجود الحق تعالى. ومن بين معاني «وبقي زادي»: بقاء همّة السالك طالبة المزيد من القرب والعلم به تعالى الذي لانهاية له.

(3) سفر القلب له علاقة مباشرة بعين اليقين، حيث إنّ أوّل خطوة في سفر القلب عبارة عن انفتاح عين بصيرته. وقد خصص الشيخ في الفتوحات الباب 416 لمعرفة منازلة عين القلب. وهي منازلة سورة الإسراء وفق الترتيب الخفي لأبواب المنازلات مع سور قرآنية. وقد وضّحنا هذا الترتيب في كتبنا السابقة. ولمعرفة مقام اليقين وتركه وأسراره يُنظر في الفتوحات البابان 122/ 123؛ ولمعرفة علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ينظر الباب 269. وله رسالة مستقلة حول اليقين ومراتبه. وفي تعريفه للمصطلحات في الباب 73 يقول: «فإن قلت: وما الوارد؟ قلنا: ما يرد على القلب من الخواطر المحمودة من غير تعمّل، وكلّ ما يرد على القلب من كلّ اسم إلهي، وهو الذي يعطي أحيانا حقّ اليقين. فإن قلت: وما حق اليقين؟ قلنا: ما حصل من العلم بالعلّة، ولكن بعد عين اليقين. فإن قلت: وما عين اليقين؟ قلت: ما أعطته المشاهدة والكشف ابتداء، وبعد علم اليقين. فإن قلت: وما علم اليقين؟ قلنا: ما أعطاه الدليل الذي لا يحتمل الشبه الواردة من الخاطر».

باب عين اليقين

قال السالك: فنادتني تلك العين: أيها الفتى، إلى أين؟ قلت: إلى الأمير؛ قال: عليك بخدمة الكاتب والوزير.

قوله: «فنادتني تلك العين»: أي قامت لي صورة، أي نداء من حضرة أخرى، وهو مظهر من المظاهر الإلهية. قوله «إلى الأمير»: أي الاسم الحاكم على جميع الأسماء، وهو «اللّه» -تعالى-. وقوله «عليك بالكاتب والوزير»: الكاتب هو «العالِم»، والوزير إن شئت «القادر»، أو «الحي»[4].

هما يدخلانك على مرادك، وترى حقيقة اعتقادك

قوله: «على مرادك»: أي الأمير الذي ذكرت أنه مرادك. وقوله «ترى حقيقة اعتقادك»: أي بأيّ شيء جئت فإنّ ذلك الشيء يتجلى لك، حتى يكون اعتقادك الفراغ الكلي، وعدم التقيّد باعتقاد مّا دون غيره، فيكون هو الذي يلقى إلقاء مخلصا من الخيال[5]. **قلت لها:**

(4) أي أنّ السلوك إلى معرفة الله تعالى المعرفة الذوقية الخاصة يكون بذكر الاسم الأعظم المفرد الجامع اسم الجلالة «الله». وقد أكّد الشيخ في العديد من نصوصه على أنه أعلى الأذكار والسلوك به هو أقرب وأشرف المسالك. يقول الشيخ في «رسالة الأنوار»: (إذا أردت الدخول إلى حضرة الحق والأخذ منه بترك الوسائط، والأنس به، إنه لا يصح لك ذلك وفي قلبك ربّانية لغيره، فإنك لمن حَكم عليك سلطانه، هذا لا شك فيه. فلا بدّ لك من العزلة عن الناس، وإيثار الخلوة عن الملأ، فإنه على قدر بُعدك من الخلق يكون قربك من الحق ظاهرا وباطنا... واشتغل بذكر الله بأيّ نوع شئته من الأذكار، وأعلاها الاسم وهو قولك: الله الله الله، لا تزيد عليه شيئا).

(5) أي أنّ ذِكر الاسم يزجّ بالذاكر إلى حضرة المسمّى. وإذا دخل المختلي الخلوة وفكره منحصر في تخيّل اعتقاد معيّن في الجناب الإلهي كما هو حال كثير من أهل علم الكلام، فإنه لا يظهر له سوى ما اعتقده. ولهذا يقول الشيخ في «رسالة الأنوار»: (فليكن عقدك عند دخولك إلى خلوتك -إن شاء الله-: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾. فكلّ ما يتجلى لك من الصور في خلوتك ويقول لك: «أنا الله» فقل: «سبحان الله أنت بالله»، واحفظ صورة ما رأيت واله عنها واشتغل بالذكر دائما. هذا عقد واحد. والعقد الثاني أن لا تطلب منه في خلوتك سواه، ولا تعلق الهمّة بغيره، ولو عرض عليك كل ما في الكون فخذه بأدب ولا تقف عنده، وصمّم على طلبك، فإنه يبتليك. ومهما وقفت =

وأين محلّ الكاتب والوزير؟[1] قالت: عين نزولك عن السرير وتجريدك عن الأيْـنـيـّة[2]، ونزْعك رداء الأمنيّة، وخلعك الأمانة الإلّيـّة، ووقوفك في الفَرق والبيْنونيّة، فإنّك لا ترى الواحد إلا بالواحد، وهنالك يتحد الغائب والشاهد. غيبته حجابك عنه، والوزير[3] يمدّك به منه هو خليفته في أرضه وسمائه، عالم بأسرار صفاته وأسمائه، أسجد له الملائكة أجمعين، ونزّهه عن سجود اللعين، فعدم مَن أبى وحسد[4]، وبقي الخليفة الأحد، فهو المَلك والخليفة، ومجتمع الصفات الشريفة، فإنْ وصلت إليه، ونزلت عليه، أكرم مثوَاك، وحفظك وتوَلاك، وأدخلك على مولاك.

= مع ذلك فاتك، وإذا حصلته لم يفتك شيء... فإنّ باب الملكوت والمعارف من المحال أن يُفتح وفي القلب شهوة لهذا الملكوت. وأمّا باب العلم بالله من حيث المشاهدة فلا يفتح وفي القلب لمحة للعالم بأسره الملك والملكوت).

(1) سبق بيان أنّ الكاتب والوزير عبارة عن الاسم «العليم» و«الحي» أو «القادر». أي أنّ التحقق بهذه الأسماء هي التي تنزله من سريره الوهمي، أي تزيل عن السالك الرئاسة وطلبها سواء الظاهرة أو الباطنة، فيكون عبدا خالصا لله تعالى مؤهلا للدخول إلى حضرة الأمير الذي هو عبارة عن الاسم المفرد الجامع.

(2) التجرّد عن الأينيّة عبارة عن الانعتاق من كلّ حصر بالوقوف عند المقامات والأحوال. وللتعمق في هذا الموضع ينظر في الفتوحات الباب 389 وهو في معرفة منازلة «إلّي كونك، وإلّك كوني»، وينظر أيضا الباب 194 وهو في معرفة المكان وأسراره. ونزع رداء الأمنية عبارة عن تخلي السالك عن كل إرادة لا يريدها الحق تعالى ويرضاها، يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني –رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ– في أبيات له:

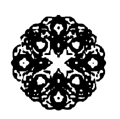
«أَصْـبَـحْـتُ لاَ أَمَـلاً ولاَ أُمْـنِـيَّـةً أَرْجُـو وَلاَ مَـوْعُـودَةً أَتَـرَقَّـبُ»

وخلع الأمانة الإلّيّة عبارة عن عدم التشوف إلى الإمارة الروحية والرئاسة الباطنية المخصوصة بمن أهّلهم الحق تعالى لمقام الخلافة. والوقوف في الفرق والبينونية أي ملازمة العبودية والعبودة. ولمعرفتهما ينظر في الفتوحات البابان: 130/ 131.

(3) الوزير– كما سبق ذكره– عبارة عن الاسم «العليم»، الذي تجلى به الحق تعالى على العلماء بالله، ومنه استمدّ أول خليفة آدم–عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ– علم الأسماء كلها.

(4) قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة: 34].

كل هذا هو مآخذ المُبَيِّن يُبيّن له محلّ الكاتب والوزير، بنزوله عن ربّانيته. وقوله «هو خليفة في أرضه وسمائه» مع قوله «هو الملك والخليفة ومجتمع الصفات الشريفة»: أي أنّ الأمر وحداني، وإنما هي نسب تختلف، فالتفضيل بالنسب، والعين واحدة. وذلك أنك لا ترى من الحق سواك، فكل ما تنسبه إليه تنسبه إلى ما ترى. فكذلك جميع ما تنسبه إليه -سبحانه- من كاتب ووزير وغيره، فإليك تنسبه. والله أعلم.



باب صفة الروح الكلي

قال إسماعيل -أخذ الله بيده -سألت شيخي وإمامي -أيّده الله- عن الروح الكلي: هل هو الذي أراده أبو الحكم ابن برجان[1] -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في قوله: «العبد الكلي»؟ فقال شيخنا -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-: «العبد الكلي» عندنا هو صاحب المقام الذي أدلك عليه أبدا، وهو أنْ يكون العبد عبدا من جميع الوجوه، لا يكون فيه جزء فرْد يقتضي الربوبية، فإنه بذلك يخرج عمّا خُلق له من العبودية إذ لم يكن حاضرا مع عبوديته وقت فعله، حتى لو قال: «أسقيت فلانا شربة ماء» فإنه يخرج بذلك عن العبودية إذا لم يكن حاضرا مع عبوديته وقت فعله.

وقوله: «إنه منبعث في ذلك عن أمر شرْعي»[2]: والرّوح الكلي تارة يطلق على «القلم الأعلى»، وإن شئت قلت «العقل»، وهو الذي يقول فيه الحكماء: «الأوّل». وتارة يطلقه على «اللوح»، وهو «النفس الكلية» عند الحكماء، وهي دون مرتبة «العقل الأوّل».

---

(1) هو عبد السلام بن أبي عبد الرحمن بن أبي الرجال، المعروف بأبي الحكم ابن برجان (ت: 537هـ)، وله تفسير للقرآن عنوانه: «تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرّف الآيات والنبأ العظيم»، وفي تفسيره للفاتحة تكلم عن «العبد الكلّي». ومن كتبه الأخرى: (شرح أسماء الله الحسنى، أو لسان الحق المبثوث في الأمر والخلق)، وكتاب (عين اليقين)، ذكره ابن خلدون في فتواه، وكتاب (الإلهام والإشارات)، ذكره ابن الزبير (ت: 708) في (صلة الصلة). وقد كان مقيما بإشبيلية في بدايات القرن السادس، وكان له أتباع كثيرون، حتى أنّ الشعراني نقل في طبقاته أنّه لمّا أراد القيام بثورة على المرابطين بايعه 130 قرية. وفي عهد المرابطين، وُشي به عند السلطان علي بن يوسف بن تاشفين، فاستدعاه لعاصمته مراكش، فسجن ثم قتل عام 536. وذكر التادلي في كتابه (التشوف إلى رجال التصوف) أنّ الفقيه الصوفي أبا الحسن علي بن حرزهم دعا سكان مراكش لتشييع جنازته. وابن حرزهم هذا كان من أكبر المدافعين عن التصوف وأهله في المغرب في عهد المرابطين وقد أخذ الطريق عن عمّه صالح بن حرزهم، الذي أخذ عن الإمام أبي حامد الغزالي في المشرق.

(2) هذه الجملة لا توجد في كلام الشيخ السابق، ولم يشرحها ابن سودكين.

وفيها قوّتان: علاّمة وفعّالة. فبالقوة العلاّمة تقبل العلوم وتعطيها، وبالفعّالة تعطي الصور في جوهر الهيولى. فالنفس تصوّر في جوهر الهيولى كلّ ما قبل الصورة. فليس في العالم صورة إلا وهي تحت حيطة النفس، ولا جسم إلا تحت حيطة الهيولى، حتى لو رامت النفس أن توجِد جسما لا في هيولي لما قدرت. وإلى «النفس الكلية» تحشر النفوس عند المفارقة، وهذا يختص بالنفوس السعيدة. وأمّا نفوس الأشقياء فلا تفتح لها أبواب السماء، بل تكون تحت مقعر فلك القمر تدور فيه. وأرواح السعداء تكون عند «سدرة المنتهى». والله أعلم. فأوّل صورة قبلت الهيولى[1]: الجسم، وأوّل شكل: الشكل الكروي. وانفتحت بعد ذلك الأشكال، وتعمّرت العوالم.

---

(1) الهيولى عند الحكماء هي التي يسمّيها الشيخ: «الهباء» وتسمّى أيضا: «السبجة السوداء». وللتوسع في معرفة هذه المراتب: القلم الأعلى واللوح المحفوظ والطبيعة والهباء والجسم الكلّ والشكل الكلّ، تنظر في الفتوحات من الفصل 11 إلى الفصل 16 من الباب 198، وكتابه: «كتاب الشجرة والطيور الأربعة أو رسالة الاتحاد الكوني في حضرة الإشهاد العيني»، وينظر القسم الأول من كتابنا: (الحقائق الوجودية الكبرى في رؤية ابن العربي). وهنا سؤال: لماذا تكلم الشيخ في بداية هذا السلوك عن الروح الكلّي، أي القلم الأعلى أو العقل الأول، الذي مرتبته في أعلى مراتب الوجود، بينما السالك ما زال في التأهب للعروج إلى مدارجه الابتدائية؟ الجواب- والله أعلم- أنّ من شروط السلوك سلامة العقل وتحققه بالتكاليف الشرْعية، وهو قبس من العقل الكلّي الأوّل. يقول الشيخ عنهما في الباب السابع من الفتوحات عند كلامه عن خلق الإنسان: (وأنه آخر المُوَلَّدات، فهو نظير العقل الأول، وبه ارتبط، لأنّ الوجود دائرة، فكان ابتداء الدائرة وجود العقل الأول الذي ورد في الخبر أنه «أوّل ما خلق الله العقل»، فهو أوّل الأجناس. وانتهى الخلق إلى الجنس الإنساني، فكملت الدائرة، واتصل الإنسان بالعقل كما يتصل آخر الدائرة بأوّلها، فكانت دائرة، وما بين طرفي الدائرة جميع ما خلق الله من أجناس العالم بين العقل الأول الذي هو القلم أيضا وبين الإنسان الذي هو الموجود الآخر). والشيخ عبد الكريم الجيلي في الباب 53 من كتابه «الإنسان الكامل» يميّز بين العقل الأول والعقل الكلي وعقل المعاش، فيقول ما خلاصته: (والفرق بين العقل الأوّل، والعقل الكلّي، وعقل المعاش: أنّ العقل الأوّل هو نور علم إلهي ظهر في أوّل تنزلاته التعيينية الخلقية، وإنْ شئت قلت أوّل تفصيل الإجمال الإلهي، ولهذا قال -عليه الصلاة والسلام-: «إنّ أوّل ما خلق الله العقل»، فهو أقرب الحقائق الخلقية إلى الحقائق الإلهية. ثم إنّ العقل الكلّي هو القسطاس المستقيم، فهو ميزان العدل في قبّة الروح المُفصَّل. وبالجملة، فالعقل الكلّي هو العاقلة: أي المدركة النورية التي ظهرت بها صور العلوم المودعة في العقل الأوّل، لا كما يقول من ليس له معرفة بهذه الأمور أنّ العقل الكلّي عبارة عن شمول =

قال السالك:

قلت لها: انعتيه لي لأعرفه إذا رأيته، وأخرّ له ساجدا إذا أتيته[1]. قالت: ليس ببسيط ولا مُرَكّب، ولا يقصد طريقا لا يتـنـكّب[2]منزّه عن التحيّز والانقسام.

قوله: «ليس ببسيط ولا بمركّب»: أي ليس بفرد ولا مؤلف. وقوله «لا يقصد طريقا ولا يتنكب»: أي ليس له أين، فلا أين له. فإن قلتَ: فلا يخلو عن هذا، قلنا: لكونه غير متحيّز، فإنّ الشرط المصحح للاتصال والانفصال إنما هو التحيّز، كما نقول في الحَجر إنه لا عالم ولا جاهل، إذ من شرط الاتصاف بالعلم والجهل الحياة، فانتفى المشروط

= أفراد جنس العقل من كلّ ذي عاقلة، وهذا منقوض لأنّ العقل لا تعدّد له، إذ هو جوهر فرد، وهو في المثل كالعنصر للأرواح الإنسانية والملكية والجنية، لا للأرواح البهيمية. ثم إنّ العقل المعاش هو النور الموزون بالقانون الفكري، فهو لا يدرك إلاّ بآلة الفكر. ثم إدراكه بوجه من وجوه العقل الكلّي فقط، لا طريق له إلى العقل الأوّل، لأنّ العقل الأوّل منزّه عن القيد بالقياس وعن الحصر بالقسطاس، بل هو محل صدور الوحي القدسي إلى مركز الرُّوع النَّفسي. والعقل الكلّي هو الميزان العدل للأمر الفصل، وهو منزّه عن الحصر بقانون دون غيره، بل وزنه للأشياء على كلّ معيار. وليس لعقل المعاش إلا معيار واحد وهو الفكر، وليست له إلاّ كفة واحدة وهي العادة، وليس له إلاّ طرف واحد وهو المعلوم، وليس له إلاّ شوكة واحدة وهي الطبيعة؛ بخلاف العقل الكلّي، فإن له كفتين: إحداهما الحكمة، والثانية القدرة. وله طرفان: أحدهما الاقتضاءات الإلهية، والثاني: القوابل الطبيعية. وله شوكتان: إحداهما الإرادة الإلهية، والثانية: المقتضيات الخلقية. وله معاييرُ شَتَّى؛ ومِنْ جملةِ معاييره أن لا معيار. ولهذا كان العقل الكلّي هو القسطاس المستقيم، لأنّه لا يحيف ولا يظلم، ولا يفوته شيء، بخلاف عقل المعاش فإنه قد يحيف ويفوته أشياء كثيرة لأنه على كفة واحدة وطرف واحد. فنسبة العقل الأوّل مثلاً نسبة الشمس، ونسبة العقل الكلّي نسبة الماء الذي وقع فيه نور الشمس، ونسبة عقل المعاش نسبة شعاع ذلك الماء إذا وقع على جدار. فالناظر مثلاً في الماء يأخذ هيئة الشمس على صحّة، ويأخذ نوره على جليّة، كما لو رأى الشمس لا يكاد يظهر الفرق بينهما، إلاّ أنّ الناظر إلى الشمس يرفع رأسه إلى العلوّ، والناظر إلى الماء ينكُس رأسه إلى السّفل، فكذلك العقل الكلّي فإنه الآخذ علمه عن العقل الأوّل، فإنه يرفع بنور قلبه إلى العلم الإلهي. والآخذ علمه عن العقل الكلّي ينكس بنور قلبه إلى محلّ الكتاب، فيأخذ منه العلوم المتعلقة بالأكوان، وهو الحدّ الذي أودعه الله تعالى في اللوح المحفوظ؛ بخلاف العقل الأوّل فإنه يتلقى عن الحقّ بنفسه).

(1) يعني بالسجود الخضوع والاستسلام.

(2) أي لا يميل ولا ينحرف.

بالانتقاء الشرط. وكما عرى الشيء عن الضدّين لعروّه عن الشرط المصحّح لوجود أحدهما فيه على التعاقب، كذلك يجوز أنْ يكون ثَم شرط يصح به اجتماع الضدين، كما رآه ذو النون المصري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- وغيره ممّا أورده في مسائله الست.

مقدّس عن الحلول في الأجسام، حامل الأمانة الإلّية، ومجتمع الصفات العليّة، موادّه إلى الأجسام الموضوعة بين يديه، كمواد مستخلفه إليه.

قوله: «موادّه إلى الأجسام كموادّ مستخلفه إليه»: أي كما أنّ الحق- سبحانه- لا يتصف بالدخول في العالم ولا بالخروج عنه، ولا بالاتصال به ولا بالخروج عنه، كذلك الروح مع البدن بهذه النسبة، لعدم التحيّز كله.

ليس بداخل بالذات ولا بخارج بالصفات، وهو وصف معروف، والصفة لا تفارق الموصوف، محدَث صدر من قديم غنيّ، ثم وهبه كل سرّ خفيّ، ومعنى جليل حفيّ[1] ليس له فَيْء، ولا كمثله شيء، هو مرآة منوّرة، ترى حقيقتك بها مصوّرة.

قوله: «محدث صدر من قديم»: أي محدث العين، صدر من قديم الوجود.

فإذا رأيت صورتك تجلت لك فاعلَمْها، فتلك بغيتك قد وصلت إليها فالزَمْها. بقدر معرفتك بنفسك هي معرفتك بالله تعالى.

فلم أزل أصحب الرّفاق، وأجوب الآفاق، وأعمل الرّكاب، وأقطع اليباب، وامتطي اليعملات، وتسري ببساطي الذاريات، وأركب البحار، وأخرق الحُجب والأستار، في طلب هذه الصورة الشريفة، المدعوّة بالخليفة. فما تجلت لي صورة منذ فارقت العين، حتى رأيتك فرأيتُ نفسي دون ميْن[2]، فحيّرَني من أنت؟ من حيث أنت؟

قوله: «فلم أزل أصحب الرفاق» إلى آخر الفصل: هو ما يتعرّض إليه في السلوك من الخواطر والمنازل والمنازلات والمقامات والأحوال. قوله: «فما تجلت لي صورة»: أي صورة في النفس الكلية، وهي غاية مرتبتها. «حتى رأيتك»: يعني الروح الكلية، وهي المرآة الكلية.

(1) حفيّ: كريم.

(2) اليباب: الأرض الخراب، اليعملات: الإبل النجيبة المطبوعة على العمل، الذاريات: الرياح، ميْن: كذب.

باب الحقيقة

قال السالك:

فأنشد وقد أرشدا[1]:

يا سائلي من أنا علما وتصويرا ... أنا الكتاب الذي سمّاه مسطورا

قوله: «علما وتصويرا»: العلم من حيث تركيبي، والتصوير من حيث إفرَادي. قوله «أنا الكتاب الذي سماها مسطورا»: إنما سُمي الكتاب مسطورا أي مسلَّطا عليكم لتعملون به ومنه قوله تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾ [الغاشية: 22] أي بمسلط، لأنه إنما جاء ليُعمل به، ومتى عُصي انتقم ممّن عصاه. ولمّا كانت الأرواح مسلطة على الأجسام لتدبّرها سمّى نفسه «كتابا مسطورا»، كأنه أشار إلى قوله: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢﴾[2].

رَقْمٌ تضمّنه رقّ فتبصره ... في صفحة الطور مطويّا ومنشورا

قوله: «رقم تضمّنه»: ههنا أراد السطور، أي عين الكتابة. وإنما سماه «رقما» لأنّ الرّقم يكون بوجهين. قوله «تضمّنه رق»: يعني الوجود الذي كتبت فيه حروف العالم. وقوله «في صفحة الطور مطويّا ومنشورا»: الطور عبارة عن الجسم، فالمنشور ما ظهر لك منه، والمطوي ما غاب عنك منه.

بنى الاله له في السقف تكرُمَة ... بيتا رفيعا بسرّ السرّ معمورا

«البيت»: محلّ القوى من الإنسان الذي هو الدماغ، لأنّ فيه جميع القوى المعنوية والحسية. قوله «بسرّ السرّ»: أي ما خفي من المعاني عنه ممّا يعلمه في الزمان الآخر.

أجرى له الله صوْنا من لطائفه ... بحرا يطوف ببيت الله مسجورا

قوله: «البحر»: يريد به بحر الحياة، ولذلك قال: «صوْنا» لأنه لولا هذا البحر ما عقل

---

(1) أي: الفتى لروحاني الربّاني الصفات.

(2) في هذه الأبيات إشارة إلى الآيات الست الأولى من سورة الطور: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦﴾.

شيئا، ولا حصل له علم ولا غيره، إذ شرط العلم الحياة.

فالرّقم عِلْم بأقلام الإرادة في رق تضمّن معنى النار والنورا

«الرقّ»: ها هنا عبارة عن وجوده. و«الرقم»: ما كتب فيه من العلوم الظاهرة والباطنة. بهذا الشرط فلا يكون رقما إلا هكذا. فالوجه الذي يلي الحق نورا حسنا، والوجه الذي يلي الكون فيه حَسَن وقبيح، وهو قوله «تضمّن معنى النار والنورا» فالنار عالمه الطبيعي لوجود هيكله، والنور عالم روحانيته.

والنفس بيت وسرّ الصدق ساكنه به يكون كمال الجود مشهورا

أي بالصدق يكون كمال الجود مشهورا، لأنّ بالصدق ما يُردّ شيئا من جميع ما يَرد عليه، بل يقبل الجميع.

أنا الرّداء، أنا السرّ الذي ظهرت بي ظلمة الكون إذ صيّرتها نورا

يريد بـ«الرّداء»: المظهر الإلهي، والحق مرتدي به، وهو قوله لأبي يزيد -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «من رآك فقد رآني»، فهو ظاهر الرّداء[1]. وقوله «أنا السر الذي ظهرت»: أي من أجلي

(1) عرّف الشيخ كلمة «الرّداء» في جوابه عن السؤال 106 من أسئلة الحكيم الترمذي في الباب 73 من الفتوحات، وهو: ما الرداء؟ الجواب: العبد الكامل المخلوق على الصورة، الجامع للحقائق الإمكانية والإلهية، وهو المظهر الأكمل الذي لا أكمل منه، الذي قال فيه أبو حامد: «ما في الإمكان أبدع من هذا العالم»، لكمال وجود الحقائق كلها فيه، وهو العبد الذي ينبغي أن يسمّى خليفة ونائبا، وله الأثر الكامل في جميع الممكنات، وله المشيئة التامة، وهو أكمل المظاهر.
واختلف العلماء: هل يصح أن يكون منه في الوجود شخصان فصاعدا أو لا يكون إلا شخص؟ فإن كان شخص واحد فمن هو ذلك الشخص؟ ومن أي قسم هو من أقسام الموجودات؟ هل من البشر أو من الجن أو من الملائكة؟ وإنما سماه «رداء» لأنه مشتق من الرَّدى المقصور وهو الهلاك، لأنه مستهلك في الحق استهلاكا كليا، بحيث أن لا يظهر له وجود عين، مع ظهور الانفعالات الإلهية عنه، فلا يجد في نفسه حقيقة ينسب بها شيئا من تلك الانفعالات إليه، فيكون حقا كله، وهو قوله -ﷺ-: «واجعلني نورا»، أي يظهر في كل شيء ولا أظهر بشيء. وقد يستهلك الحق فيه فلا ينسب بوجوده شيء إلى الحق، وهو الوجه الذي اعتمد عليه من أثبت الحق المخلوق به، كأبي الحكم بن برجان وسهل بن عبد الله التستري وغيرهما، وإليه أشرنا بقولنا:

أنا الرداء أنا السر الذي ظهرت بي ظلمة الكون إذ صيّرتها نورا

فالمرتدي هو الهالك بهذا الرداء. فانظر من هو المرتدي، فاحكم عليه بأنه مستهلك فيه، فتجد =

ظهرت الموجودات بعد أن كانت في ظلمة العدم، فصارت في نور الوجود.

انظر وجـودي من ذات الإلـه تجد حـقـا يـقـينـا ومـنـي بـاطـلا زورا

قوله: «انظر وجودي»: أي من جانب الحق أنا واجب الوجود لاقتضاء العلم، أو الذات. ومن جانبي أنا ممكن الوجود. فالعدم لي من ذاتي، والوجود لي من قِبَل خالقي.

قال السالك:

ثم قال لي: أنا الخليفة أيها الطالب، وأنا الوزير والكاتب.

قوله: «أنا الخليفة والوزير والكاتب»: أي اتحدتْ العين، لأنه عين واحدة بمراتب مختلفة، متميّزة بعضها عن بعض، تلك المرَاتب أعيان موجودة قائمة في العالم الكبير، ولا فائدة في معرفتها عند العلماء بالله إنْ لم يكن وجودي محصّلا للمراتب التي بها حصل لتلك الأعيان القربة إلى الله. فلهذا اتحد المعنى في حق الإنسان الكلي فقال: «أنا خليفة من وجه كذا، وكاتب من وجه كذا، ووزير من وجه كذا». وأمّا العلم بالله فلا يُنظر فيه كما قيل في مراتب العالم إنْ وصفها يكون صفة لي، بل نفس العلم بما يتعلق بجناب الله -تعالى- هو نفس القربة إليه، فكيف إنْ انضاف إليه عمل به إن اقتضى العلم عملا، مثل التخلق بالأسماء، فتحقق. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

خليفة الذات في تدبير الأفعال من كرسي الصفات. أنا المِثْل وأنت المثال.

يشير إلى الحقيقة. ثم أخذ يبيّن الوجوه والنِّسب التي صار بها خليفة وكاتبا ووزيرا. وهذا كله يرجع إلى أصل إلهيّ[1]، وهو قولهم: «ما في الوجود إلا الله تعالى».

= حقيقة ما ذكرناه. فكل مرتد محجوب بردائه عن إدراك الأبصار، قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، لأن الرداء يحجب الأبصار عنه ولا يحجبه عنها، فهو يدركها ولا تدركه. فالأبصار تدرك الرداء والرداء هو الذي استهلك المرتدي فيه بظهوره: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

(1) أي أنّ حضرة الحق تعالى لها ثلاثة تجليات كلّية: الذات، والصفات، والأفعال. فالأمر الإلهي تتلقاه حضرة الحقيقة المحمدية التي مظهرها الأول القلم الأعلى أو العقل الأول، ويتنزل عبر مراتب الوجود متلوّنا في كلّ مرتبة حسب ما تقتضيه. وفي حضرة الكرسي محلّ شفعية القدمين تظهر تجليات الصفات المختلفة آثارها في الأفعال الكونية. والحضرة الجامعة لهذه المراتب هو العبد المحمّديّ الخليفة الكامل المتحقق بخلقه على الصورة الكمالية في عين عبوديته، وهو المعبّر عنه بـ«المِثل»، ومجلاه في السالك هو المعبّر عنه بالمثال» والله أعلم.

وأنا الثوْب الذي مال[1] (و) كاتب من حيث أن أكتب في صحائف قراطيس العقول سرّ كل منقول ومعقول، (و) وزير من حيث أنْ أحمل ثقل الأجسام للعرض على العليّ العلام. فذاتي واحدة، وصفاتي متعدّدة. فاسجد لي إنْ أردتَ الأسماء. واعلم أنّ الاسم يدلّ على المسمّى.

قوله: «اسجد لي إن أردت الأسماء»: أي اطلب ذلك مني، كأنّ مرتبة الوزارة تقول لحضرة الكتابة: خذ مني، والعين واحدة. قوله «واعلم أنّ الاسم يدلّ على المسمّى»: أي إذا عرفت الاسم عرفت من وُسِم به، وإلا لا فائدة بمعرفته.

والكلّ فيك، فاقنع بما يكفيك، وأمسك عمّا لا يعنيك.

أي لا تسأل عمّا يختص بي. وفيه من تعليم الأدب والسؤال بحكم الموطن.

ثمّ قام عجلا، وأنشد مرتجلا:

هيهات ما الوارد والصادر ... إلا لأمر شاءه القادر

الصدور لا يكون إلا بعد ورُود. فيقول: هيهات ما الوارد الذي يرد لطلب ما يكون به حياته، لأنّ الموارد إنما هي للمياه، والصادر الرّاجع بعد وروده وتحصيله ما ورد من أجله. قوله «لأمر شاءه القادر»: وهو أن تأخذ ما ورد من أجله، وتعطي ما صدر به، أي يفيض الكمال على غيره.

يا ناظر الحكمة من خارج ... إنسانك الحكمة يا ناظر

يخاطب العين، يقول: الحكمة فيك وهي إنسانك. وهذا مثل قول القائل:

قد يرحل المرء لمطلوبه ... والسبب المطلوب في الرّاحل

وسمعت الشيخ يقول هذا البيت لأحمد بن مسعود البيري من مدينة البيرة من مدينة الأندلس المعروفة عند العامة بغرناطة.

إنّ الهيولى سوسُها واحد ... صرّفها الفَلك الدائر

«الهيولى»: الجوهر القابل للصور. و«سوسها»: أصلها. وقوله «صرّفها الفلك الدائر»: إنما عنى بتصرّفها الفلك، وإن كان من جملة الصور التي فيها، لأنّ وجودها

(1) الثوب هو الرّداء السابق ذكره، وميله عباره عن توجّهه لتدبير شؤون الخلافة وتكاليف العبودية.

إنما هو من أجل الصور. فما وُجدت من أجله فكأنه أوْجدها، وتصرّفت من أجله فكأنه صرّفها.

فناطق من ذاته باطن ... وناطق من وصفه ظاهر

قبولها للصور من ذاتها ... والعين منها قبلة غابر

قوله: «قبولها للصور من ذاتها»: الضمير فيه يعود إلى الهيولى[1]. والصور ما يظهر من الصور. قوله «والعين منها قبلة غابر»: أي هي قبل الصورة لا توجد، وهي متقدّمة في العقل، متأخرة في الوجود.

وجودُها وقْفٌ على صُورها ... وجود معنى شاءه القادر

تصرّف الأنجُم من عالـ ... ـم الأفلاك ذا آت وذا سائر

النجوم كالخواطر الإلهية التي تكون فينا من تأثير العالم العلوي.

وشمسه في شرقه ترتقي ... وبدره في غربه غائر

يعني ليلة كمال البدر الذي هو مجلى الشمس، فهو ظاهر بالليل في مظهر البدر، وهو ظاهر بالنهار بذاته، لأنها علوم أنوار، وهو للشروق والنهار، وعلوم أسرار يضيفها إلى الليل والغروب.

صرّف في المركز أحكامه ... فعاقل أو أهوج حائر

أي صرّف في العالم العنصري أحكامه. فمن اشتغل بالله فهو العاقل، ومن اشتغل بغير الله فهو الأهوج الحائر.

والبحر قد فاض على شطه ... أمدّه القمر الزاهر

يريد بالبحر علم التجليات. وقوله «فاض على شطه»: لأنّ فيضه إنما كان من امتلاء البدر من أحد الوجهين. ولهذا يكون المدّ في آخر الشهر أكثر ما يكون في أوّله الذي

(1) سبق القول أنّ الهيولى هي مرتبة الهباء مجلى الصور الوجودية. والهباء الطبيعي يأتي في المرتبة الرابعة بعد القلم واللوح والطبيعة، وبعده مرتبة الجسم الكلّ ثمّ الشكل الكلّ. وهذه المراتب الأربعة بين اللوح والعرش هي مراتب اعتبارية في العقل لا وجود لها عيني مستقل. فلا وجود لمسمّى «طبيعة» إذا لم توجد حرارة أو برودة أو يبوسة أو رطوبة في جسم ذي صورة وشكل. ومثلها المراتب الثلاثة الأخرى.

يسمّى «الفيض». وأمّا المد الذي هو دون ذلك فعلى قدر ما ينمو القمر من نور الشمس ينمو البحر، لكونه من عنصره البرودة والرطوبة. فالحركة للحرارة المكتسبة من الشمس، وهي خفيّة.

والشمس في الأكوان فعّالة ... يُثني عليها الغُصْن الناضر

ومن حكمة الله -تعالى- وسنته أنه لو لم تطلع الشمس على النبات لما طلع قط. إنما الشمس تكسبه الحرارة التي يتحرّك بها. والشمس هاهنا: مواد الحق إلى قلب العبد. و«الغصن»: الإنسان، والذي يثمر ويورق هو ما يظهر على العبد من العلوم والمعارف.

والجوّ إنْ قام به صَيْلم ... جاد عليه سُحْبه الهامر

«الصَّيْلم» هو الصحو الذي يكون معه القحط. أي إنْ قام به صيلم جاد عليه السحاب فأذهبه، وهي العلوم المتعلقة باليقين. ولهذا ورد في السنة: ثلج برد اليقين: (ووجدت برد أنامله بين ثديي)[1]، فكنّى عنه بالبرد. ومعه يوجد السكون والسرور والطمأنينة.

فإنْ يكن رَبْوٌ فمن ذاته ... قد ارتوى الأوّل والآخر

يقول: لو لم يكن الرّابي قابلا للرّبْو لما أرْبى، أي لو لم يَمُنّ عليه الحق بالتهيء والاستعداد لما قَبل ما يرد عليه، وهو قوله: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ [النساء: 79].

فالغير في الأوصاف، والكون في الـ ... ـذات، فساد، خجَلٌ ظاهر

معنى «الكون والفساد»: فالتغيير يقع في الصفة، والكون يقع في العين، فيكون الإنسان يصفر بالوجل، ثم يحمر بالخجل، والعين واحدة، فهذا يسمى التغيير. وكذلك الفساد مثل التغيير: تكون التفاحة متصلة الأجزاء، فتكسر فيفسد ذلك الترتيب مع الجوهر الباقي. والكون هو أن تأخذ التفاحة بعينها فتأكلها، فتستحيل عينا أخرى تسمى

(1) هذا جزء من حديث طويل، وفيه قوله-ﷺ- «أَنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ فَتَوَضَّأْتُ فَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي فَنَعَسْتُ فِي صَلاَتِي فَاسْتَثْقَلْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: لاَ أَدْرِي رَبِّ، قَالَهَا ثَلاَثًا قَالَ: فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ، فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ» -أخرجه الترمذي في «سننه» (3235) من طريق مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ. وأخرج مثله أحمد في مسنده، والدارمي في سننه، والطبراني في الدعاء، وغيرهم.

دما أو بخارا تقوم بها حياة الجسوم. فقد استحال من كون إلى كون، وذلك تغيّر من صفة إلى صفة أخرى. والغذاء في الجنة يستحيل عرقا، روحا للجسم، وما فضل منه يخرج عرقا يصير أرواحا يكون بها الروح الحيواني في الجنة محفوظا على الجسم. والحكماء يمنعون أن تكون الجنة دار كون وفساد، ولهذا منعوا النعيم الحسي. وسبب ذلك عندهم أنّ الطبائع يَقوى بعضها على بعض فتنحرف. ونحن نقول: إنّ الله تعالى يحفظها على الاعتدال، فلا يجور شيء من الطبائع على شيء، فإنَ خط الاعتدال غير ميّال.

مِن لَيْس إيجاد جسوم بدت ... فيما يراه البصر القاصر

والعقل من أيْسَ إلى أيْسَ، ومن ... علم لعين حاكمٌ قاهر

«ليْس»: كلمة نفي، مدلولها أمر عدمي. و«أيْس» مدلولها أمر وجودي في الاصطلاح. فيريد أنّ الجسم موجود من عدم، والروح موجود لا من عدم، لأنه قال فيه: ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: 29]: من الروح الكلي[1]، إلى وجود الجسم. والعقل هو «الحاكم القادر»: فهو خبر المبتدأ.

إنْ زُلزلت أرضي، وإنْ كُوِّرت ... شمسي، مَن الناظم والناثر؟

قوله: «إن زلزلت أرضي»: أي إذا مضى جسمي وذهبت روحي، فالنظم: وجود التركيب، والنثر: وجود التحليل. أي إنْ ذهب العلم، وذهبت المادة التي ظهر فيها هذا العلم، فمن بقي يعلم العلم؟

فانظر إلى الحكمة مجهولة ... غطى عليها شفعنا الساتر

وأظهر الحكمة منشورة ... للعالم الثابت والدائر

يريد بـ«الشفع» ما قرّره الشارع من اجتهاد الفقهاء، لا الشرع المخصوص من النوازل التي حكم فيها.

صلى عليه الله من واحد ... نور على أرواحنا باهر

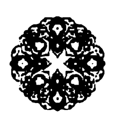
ما اتسق البدر وشمس الضحى ... وانتظم الأوّل والآخر

---

(1) كأنه يعني أنّ الروح الإنساني موجود من نفخ الروح الكلّي، فهي في أصل وجودها تامّة الخلقة عارفة بربّها، أمّا الجسم فلا تكتمل بنيته إلا بعد أطوار كثيرة بدءا من عناصر مبثوثة في الكون، إلى جنين في بطن أمّه، ثم ولادته لا يعلم شيئا، إلى أن يبلغ سنّ التكليف.

قال السالك:

فلما أكمل إنشاده، وضرب بعصى إعجازه أعـواده، خررت بين يديه ساجدا، واعـتكفـت في حضرته عابدا، وقلت: أنت البغية والمُـنى، والسرّ المتمنّى[1].



(1) هنا سؤال مماثل للسؤال السابق عن سبب وضع الشيخ الكلام عن الروح الكلّي قبل الإسراء، أي كيف يجعل الشيخ باب الحقيقة هذا قبل الأهبة للإسراء، والغاية منه في النهاية هو التحقق بالحقيقة؟ والجواب هو أنّ الحقيقة ليست منحصرة في مقام أو مرتبة خاصّة، بل هي عين السالك بداية ووسطا ونهاية، إذ الحق تعالى مع خلقه أينما كانوا. والمطلوب هو التحقق بالمعرفة والفوز بالسعادة القصوى. وفي هذا المعنى يقول الشيخ في بداية الباب -367 المتعلق بسورة الإسراء- من الفتوحات الذي وصف فيه أحد معارجه بعد وصفه لمعراج رسول الله -ﷺ-:- قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11] فوصف نفسه بأمر لا ينبغي أن يكون ذلك الوصف إلا له تعالى، وهو قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4] فهو تعالى معنا أينما كنا في حال نزوله إلى السماء الدنيا في الثلث الباقي من الليل، في حال كونه استوى على العرش، في حال كونه في العماء، في حال كونه في الأرض وفي السماء، في حال كونه أقرب إلى الإنسان من حَبْلِ الْوَرِيدِ منه. وهذه نعوت لا يمكن أن يوصف بها إلا هو. فما نقل الله عبدا من مكان إلى مكان ليراه، بل ليريه من آياته التي غابت عنه. قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسـراء: 1]. وكذلك إذا نقل الله العبد في أحواله ليريه أيضا من آياته، فنقله في أحواله (...) وكذلك نقل عبده من مكان إلى مكان ليريه ما خص الله به ذلك المكان من الآيات الدالة عليه تعالى من حيث وصف خاص، لا يُعلم من الله تعالى إلا بتلك... وحديث الإسراء يقول: ما أسريت به إلا لرؤية الآيات لا إليّ، فإنه لا يحويني مكان، ونسبة الأمكنة إليّ نسبة واحدة. فأنا الذي وسعني قلب عبدي المؤمن، فكيف أسري به إليّ وأنا عنده ومعه أينما كان.

باب العقل والأهبة للإسراء

قال السالك:

ثم احتجبتْ عني ذاته، وبقيت معي صفاته.

قوله: «احتجبت ذاته»: أي احتجب عني من كوني ذاتا[1]، وبقيت الصفات التي تطلب الإسراء.

فبينا أنا نائم[2]، وسرّ وجودي متهجّد قائم، جاءني رسول التوفيق، ليهديني سواء الطريق، ومعه براق الإخلاص، عليه لُبَد الفوز ولجام الخلاص، فكشف سقف محلّي، وأخذ في نقضي وحَلِّي.

قوله: «أخذ في نقضي وحلِّي»: يريد الإسرَاءات مطلقا، وهو عالم التحليل ما دمتَ ساريا، لأنك تخلِّي في كل عالم ما يناسبه، اذ المناسب يمسك مناسبه. فإذا عاد من إسرائه أخذ يجمع ما كان أودع فهو إذا أخذ في التركيب بعد التحليل[3]، إلى أن يصل إلى الأرض وهو مكمَل الترتيب.

---

(1) هذا القول يدلّ على التطابق في هذه المشاهد بين السالك ومخاطبه الفتى الروحاني الذي هو مظهر للروح الكلّي.

(2) يعني أنه غائب عن عالم الحسّ، وروحه مستيقظة في عالم الأرواح والمعاني والتوجه إلى الحق تعالى.

(3) في العديد من نصوصه المتعلقة بالمعراج يتكلم الشيخ عن «التحليل» خلال العروج، و«إعادة التركيب» خلال الرجوع. فمن ذلك قوله في القصيدة الطويلة التي أتى بها في خطبة الفتوحات:

«وإذا أردتُ تعرّفا بوجوده قسّمتُ ما عندي على الغرماء»

أي أنه خلال معراجه يترك في كلّ مرتبة من ذاته ما يناسب تلك المرتبة، وعبّر عن هذا المعنى في الأبيات الفاتحة للباب 22 من الفتوحات فقال:

عجبا لأقوال النفوس السامية إن المنازل في المنازل سارية =

= كيف العروج من الحضيض إلى العُلى إلا بقهر الحضرة المتعالية
فصناعة التحليل في معراجها نحو اللطائف والأمور السامية
وصناعة التركيب عند رجوعها بسنا الوجود إلى ظلام الهاوية

وفي الباب 367 الذي وصف فيه الشيخ أحد معارجه يقول عن تحليل العناصر الأربعة الكثيفة المشكّلة للجسم والمنحصرة فيها فكرة الإنسان المحجوب، أي التراب والماء والهواء والنار: فإذا أراد الله تعالى أن يسري بأرواح من شاء من ورثة رسله وأوليائه لأجل أن يريهم من آياته فهو إسراء لزيادة علم وفتح عين فهم، فيختلف مسراهم فمنهم من أسرى به فيه فهذا الإسراء فيه حل تركيبهم فيوقفهم بهذا الإسراء على ما يناسبهم من كل عالم بأن يمر بهم على أصناف العالم المركب والبسيط فيترك مع كل عالم من ذاته ما يناسبه وصورة تركه معه أن يرسل الله بينه وبين ما ترك منه مع ذلك الصنف من العالم حجابا فلا يشهده ويبقى له شهود ما بقي حتى يبقى بالسر الإلهي الذي هو الوجه الخاص الذي من الله إليه فإذا بقي وحده رفع عنه حجاب الستر فيبقى معه تعالى كما بقي كل شيء منه مع مناسبه فيبقى العبد في هذا الإسراء هو لا هو فإذا بقي هو لا هو أسرى به من حيث هو لا من حيث لا هو، إسراء معنويا لطيفا فيه لأنه في الأصل على صورة العالم وصورته على صورته تعالى فكله على صورته من حيث هو تعالى فإن العالم على صورة الحق والإنسان على صورة العالم فالإنسان على صورة الحق (...). فلمّا أراد الله أن يسرى بي، ليريني من آياته في أسمائه من أسمائي، وهو حظ ميراثنا من الإسراء، أزالني عن مكاني، وعرج بي على براق إمكاني، فزجّ بي في أركاني، فلم أر أرضي تصحبني، فقيل لي: آخذه الوالد الأصلي الذي خلقه الله من تراب. فلمّا فارقت ركن الماء فقدت بعضي، فقيل لي: إنك مخلوق من ماءٍ مَهِينٍ، فإهانته ذلته فلصق بالتراب، فلهذا فارقته فنقص مني جزآن. فلمّا جئت ركن الهواء تغيّرتْ عليَّ الأهواء، وقال لي الهواء: ما كان فيك مني فلا يزول عني، فإنه لا ينبغي له أن يعدو قدره، ولا يمد رجله في غير بساطه، فإن لي عليك مطالبة بما غيّره مني تعفينك، فإنه لولاه ما كنت مسنونا، فإني طيّب بالذات، خبيث بصحبة من جاورني، فلما خبثني صحبته ومجاورته قيل فيه «حمأ مسنون»، فعاد خبثه عليه، فإنه هو المنعوت، وهو الذي غيّرني في مشام أهل الشم من أهل الروائح. فقلت له: ولماذا أتركه عندك؟ قال: حتى يزول عنه هذا الخبث الذي اكتسبه من عفونتك ومجاورة طينك ومائك، فتركته عنده. فلما وصلت إلى ركن النار قيل: قد جاء الفخار، فقيل: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم، قيل: ومن معه؟ قال: جبريل الجبر، فهو مضطر في رحلته ومفارقة بنيته، فقال لي: عنده في نشأته جزء مني لا أتركه معه إذ قد وصل إلى الحضرة التي يظهر فيها ملكي واقتداري ونفوذ تصرفي. =

وشق صدري بسكين السَّكِينة، وقيل لي: «تأهب لارتقاء الرّتبة المكينة».

وأخرج قلبي في منديل الأمن من التبديل، وألقي في طشت الرّضا بموارد القضاء، ورمى منه حظ الشيطان، وغسل بماء: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحجر: 42][1].

ثم حُشِي بحِكَم التوحيد والإيمان والتفريد؛[2] وجعل له خدم التسديد وأعوان التأييد. ثم خُتم عليه بخاتم الإصابة، وألحِقَ بغير عصابة.

ثم خيط صدري بمنصحة الأنس، ونصاح التقديس عن دنس النفس[3]

ثم زمّلني بثوب المحبّة، وامتطيت بُرَاق القربة، وأسري بي في حرم الأكوان، إلى قدس الجنان، فربطت البراق بحلقة بابه، ونزلت عن متنه وركعتُ في محرابه.

قوله: «ربط البراق[4] بحلقة بابه»: يشير إلى أنّ الرّاكب يحكم على مركوبه، ولا

= فنفذتُ إلى السماء الأولى وما بقي معي من نشأتي البدنية شيء أعوِّل عليه.

وإلى هذا التحليل أشار ابن الفارض -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في ميميته المشهورة التي مطلعها:

(شربنا على ذكر الحبيب مدامة ... سكرنا بها من قبل أن يُخلق الكرْم)

فقال في وصفها:

صفاء ولا ماء ولطف ولا هواء ... ونور ولا نار وروح ولا جسم

(1) القائم بهذه الأمور هو رسول التوفيق. وفي هذه الكلمات استعار الشيخ عبارات من المعراج النبوي، ليشير إلى حظّه من الميراث المحمّدي.

(2) في الباب 73 يعرّف الشيخ «التفريد» فيقول عنه: «التفريد هو وقوفك بالحق معك، ومن شرطه التجريد. والتجريد هو إماطة السّوى والكون عن القلب والسرّ.

(3) المنصحة هي الإبرة، والنصاح السلك الذي يُخاط به.

(4) في الباب 367 تكلم الشيخ عن ربط البراق بحلقة باب المسجد الأقصى فقال: «وأخذه جبريل -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-، والبراق للرسل مثل فرس النوبة الذي يخرجه المرسل إليه للرسول ليركبه تهمّما به في الظاهر، وفي الباطن أن لا يصل إليه إلا على ما يكون منه، لا على ما يكون لغيره، ليتنبّه بذلك، فهو تشريف وتنبيه لمن لا يدري مواقع الأمور... ونزل عن البراق وربطه بالحلقة التي تربطه بها الأنبياء -عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ- كل ذلك إثبات للأسباب. فإنه ما من رسول إلا وقد أسرى فجاء به راكبا على ذلك البراق. وإنما ربطه مع علمه بأنه مأمور، ولو أوقفه دون ربط بحلقة لوقف، ولكن حكم =

يحكم إلا بربّانية تقتضي الحُكم وقوله «نزلت عن متنه وركعت في محرابه»: أي تواضعت في عبوديتي التي هي محراب عبادتي الحقيقي.

ثم زُجّ بي من صفات الصفا في الهواء، فسقط عن منكبي رداء الهوى.

قوله: «صفات الصفا»: أي من الصفاء. وقوله: «في الهوى»: أي عالم البرزخ[1].

وأوتيت بالخمر واللّبَن، فشربت ميراث تمام اللِّبَن[2]

= العادة منعه من ذلك إبقاء لحكم العادة التي أجراها الله في مسمّى الدابّة. ألا تراه -ﷺ- كيف وصف البراق بأنه شمس، وهو من شأن الدواب التي تركب، وأنه قلب بحافره القدح الذي كان يتوضأ به صاحبه في القافلة الآتية إلى مكة، فوصف البراق بأنه يعثر، والعثور هو الذي أوجب قلب الآنية أعني القدح».

(1) مرتبة لطافة الهواء برزخ بين صفاء الماء ونور النار، أي أنّ تخلص النفس من سلطان الهوى ينتج من تصفيتها من كلّ دنَس، فتكون مهيّأة لولوج عالم الأنوار.

(2) اللِّبن: جمع لبنة وهي الحجر في الجدار، يشير إلى الحديث النبوي: «إنَّ مَثَلي ومثَلَ الأنبياء منْ قَبلي، كَمَثَلِ رجلٍ بنى بَيْتًا، فأَحْسَنَهُ وأجْمَلَهُ، إلا مَوْضعَ لَبِنَةٍ من زاوية، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفونَ بِهِ، ويَعْجَبونَ له، ويقُولونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هذه اللَّبِنَة؟!، قال: فأنا اللَّبِنَة، وأنا خاتمُ النَّبيِّينَ» -رواه الشيخان وغيرهما، واللفظ للبخاري. وفي هذا السياق ذكر الشيخ حظه من هذا الميراث المحمدي فقال في الباب 65 من الفتوحات: «فكان -ﷺ- خاتم النبيين. فكنت بمكة سنة تسع وتسعين وخمسمائة أرى فيما يرى النائم الكعبة مبنيّة بلبن فضة وذهب، لبنة فضة ولبنة ذهب، وقد كملت بالبناء وما بقي فيها شيء، وأنا أنظر إليها وإلى حسنها، فالتفتّ إلى الوجه الذي بين الرّكن اليماني والشامي، هو إلى الركن الشامي أقرب، فوجدت موضع لبنتين: لبنة فضة ولبنة ذهب ينقص من الحائط في الصفين، في الصف الأعلى ينقص لبنة ذهب، وفي الصف الذي يليه ينقص لبنة فضة. فرَأيت نفسي قد انطبعتْ في موضع تلك اللبنتين، فكنت أنا عين تينك اللبنتين، وكمل الحائط ولم يبق في الكعبة شيء ينقص، وأنا واقف أنظر وأعلم إني واقف، وأعلم أني عين تينك اللبنتين لا أشك في ذلك، وأنهما عين ذاتي. واستيقظت فشكرت الله تعالى، وقلت متأوّلا إني في الأتباع في صنفي كرسول الله -ﷺ- في الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-؛ وعسى أن أكون ممن ختم الله الولاية بي، وَما ذلِكَ عَلَى الله بِعَزِيزٍ. وذكرت حديث النبي -ﷺ- في ضربه المثل بالحائط وأنه كان تلك اللبنة. فقصصت رؤياي على بعض علماء هذا الشأن بمكة من أهل توزر، فأخبرني في تأويلها بما وقع لي، وما سمّيتُ له الرّائي مَن هو. فالله أسأل أن يتمّها عليّ بكرمه، فإنّ الاختصاص =

وتركت الخمر حذرًا أن أكشف السر بالسُّكر، فيضل من يقفو أثري ويعمى. ولو أتيت بالماء بدلهما لشربت الماء، فإنه خلاصة ميراث التمكين: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ١٠٧﴾. وأمّا لو كان المشروب عسلا، ما اتخذ أحد الشريعة قِبلا، لسرّ خفي في النحل، فيه هلاك القلوب بالمَحْل.

قوله: «أوتيت بالخمر واللبن» إلى قوله «ولو أوتيت الماء بدلهما لشربت الماء»: أي لأنّ الماء يُظهر ما فيه بسرعة لصفائه ولينه، واللبن يحتاج إلى تعب في مخضه لإخراج الزّبد. كذلك العلم يحتاج إلى النظر والعمل والإخلاص، ولذلك اختير للنبي -ﷺ- ليقع العمل معه والابتلاء والاختيار الذي هو بمنزلة المخض للبن. قوله «وأمّا لو كان المشروب عسلا ما اتخذ أحد الشريعة قبلا»: أي فيه سرّ الوحي، فكان يوحي إلى أمّته فيسبقونه بالشريعة، كما كان -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- يسبق جبريل -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- بالوحي حتى قيل له: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: 114][1].

قال السالك:

ثم أشرَفت من الهواء على الوادي المقدّس، فقال الرّسول[2]: «اخلع نعليْك ولا تيأس»، فخلعت، ثمّ ارتجلت فأسمعت:

«الوادي المقدّس»: يشير به إلى صفة موسوية. وقوله «اخلع نعليك ولا تيأس»: يشير إلى خلع صفة الجهل المختصة بالحمار، لأنّ النعلين كانتا من جلد حمار ميّت، فهو صفة جهل وموت.

= الإلهي لا يقبل التحجير ولا الموازنة ولا العمل، وإنّ ذلِكَ من فَضْلِ الله يَخْتَصُّ بِرَحمَتِهِ من يَشاءُ، وَالله ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ».

(1) يقول الشيخ في الباب 367: «فطار البراق به- أي بالنبي -ﷺ-- في الهواء، فاخترق به الجوّ، فعطش واحتاج إلى الشرب، فأتاه جبريل -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- بإناءين: إناء لبن وإناء خمر، وذلك قبل تحريم الخمر، فعرضهما عليه، فتناول اللبن، فقال له جبريل -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-: «أصبت الفطرة أصاب الله بك أمتك»، ولذلك كان-ﷺ- يتأوّل اللبن إذا رآه في النوم بالعلم. خرّج البخاري في الصحيح أنّ رسول الله -ﷺ- قال: «أريت كأني أتيت بقدح لبن فشربته حتى رأيت الرّي يخرج من تحت أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر. قالو: ا فما أوّلته يا رسول الله؟ قال: العلم».

(2) أي رسول التوفيق.

خلعتُ نعليَّ بوادي العُلا وجئت بالباء لميعاد

قوله: «بالباء»: يعني بالله تعالى. والتحقيق عند شيخنا وإمامنا أنّ الباء مقام العبودية، لكون الباء في المرتبة الثانية، وكذلك رتبة العبودية.

وغبتُ بالذال عن الصاد فلست ريّانا ولا صادي

قوله: «بالذال عن الصاد»: أي بالذات عن الصفة. وقوله «فلست ريّانا ولا صادي»: أي أنّ مشهد الذات لا يعطي شيئا، وذلك المقام لا يتعطش إليه لكونه لا يُنال، ولا نسبة لك معه، وهو لا يعطيك منه شيئا.

ولست بالضاحك وصفا ولا أبكي على رَحلي ولا زادي

قوله: «لست بالضاحك والباكي» مع بقيّة البيت: أي لا صفة لي، كما قال أبو يزيد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «ضحكت زمانا، وبكيت زمانا، وأنا اليوم لا أضحك ولا أبكي»، يشير إلى سلب الصفة. وقيل لأبي يزيد أيضا: كيف أصبحت؟ قال: لا صباح لي ولا مساء، وإنما الصباح والمساء لمن تقيّد بالصفة، ولا صفة لي.

امتحقتْ إنِّيّتي إذ بدت إنّيّة الوتر من الوَادي

يعني: امتحقت حقيقتي لمّا قال له: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: 12]. وإذا خوطب غُيِّب عن نفسه ليُلَقَّن معنى الخطاب.

وصرتُ بعد الشفع وترًا به وانعدم السائق والهادي

يشير بالسائق إلى العقل، وبالهادي إلى الشرع. يشير بذلك إلى النظر الفكري وإلى النظر الشرعي[1]، لا إلى ذات العقل.

وصارت الفرقة مجموعة واجتمع الهادي مع الحادي

يقول: لمّا انعدم الاثنان، وبقيتُ وحدي جاءني في ذلك العين التي حصلت لي ما أغناني عن الأمرَين معا، فجَمعتُ نتيجة الأمرَين معًا. من باب آخر، وهو مقام لا يسلّمه

(1) يعني بانعدام النظر الشرعي، النظر الفكري في نصوص الشرع، ويمكن للفكر أن يصيب ويمكن أن يُخطئ، أي أنّ السالك تحقق في هذا المقام بمعرفة مقاصد الشريعة من حيث الكشف المبين لا من حيث الاجتهاد الفكري. ولهذا قال: «لا إلى ذات العقل»، فالعقل في هذا المقام قابل لما يفتح الله به عليه، فهو ذو بصيرة ربّانية في النصوص والتكاليف الشرعية.

بعض أهل الطريق، لأنه لا يحبّ أن يسلك إلا وأثر نبيّه أمامه، وذلك لقلّة معرفتهم بالشرع، فإنّ الرسول -ﷺ- ما دعا لنفسه، وإنما دعا إلى الله تعالى، وبيّن للناس الطريق الذي يمشون عليها إليه. فلا يلزم من هذا إلا أنْ يتقدّم أمامهم كل قدم محدثة من نبيّ وملَك. وهم يقولون لا بد من قدم في كل مقام، وصدقوا، فإنهم ما قالوا إلا ما شاهدوه من نفوسهم، وأخطؤوا أنّ ذلك سار في كل سالك. قال الشيخ: أخبرني أبو الوليد صاحب الشيخ أبو السعود -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- عن محمد بن قائد-[1] الذي كان بأوانه من قرى بغداد، وكان من الرجال -رحمه الله-، قال: «أخذني الحق إليه، فرأيت أمامي قدمًا، فغِرْتُ كيف أكون في حضرة قد تقدّمني فيها أحد؟ فقيل لي: لا ترع، هذه قدم نبيّك، فسكن روعي». فمثل هذا ينكر هذا المقام للسالك إذا أخذه الله إليه. واعلم أنّ السلوك اتباع، فلابد فيه من الاقتداء بالنور الذي جاءك على يد النبوة، وتبقى عطية الحق لك، فقد يكون بتلك الواسطة من الوجه الخاص الذي بين كلّ موجود وربّه[2].

---

(1) أبو السعود من أكابر خلفاء الشيخ عبد القادر الجيلاني في بغداد. ومحمد بن قائد الأواني كان من الأفراد الذين أتمّوا سلوكهم عند الشيخ عبد القادر، توفي سنة 581هـ.

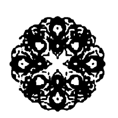
(2) لتحرير هذه المسألة نورد ما ذكره الشيخ في الباب 492 من الفتوحات: «كلّ علم يحصل للإنسان في الدنيا من العلم بالله خاصة، فإنّ محمدا -ﷺ- قد علمه، فإنه عَلِم عِلْم الأولين والآخرين، وأنت من الآخرين بلا شك. وأمّا في غير العلم بالله فقد يُعطاه الإنسان من الوجه الخاص، فلا يُعلم إلا منه، فهو رسول في تعليمه إلى من يعلمه بذلك. هذا أعطاه مقام محمد -ﷺ- وليست الفائدة إلا في العلم بالله تعالى، فإنه العلم الذي به تحسن صورة العالم في نفسه. فالعلم بالله من الرسول في المتعلم أعظم وأنفع من العلم الذي يحصل لك من الوجه الخاص، إذا كان المعلوم كونا مّا من الأكوان ليس الله. فما الشرف للإنسان إلا في علمه بالله، وأمّا علمه بسوى الله تعالى فعلالة يتعلل بها الإنسان المحجوب. فإنّ المنصف ما له همّة إلا العلم به تعالى. فاجهد أن تكون ممن يأخذ العلم بالله عن رسول الله -ﷺ- فتكون محمديّ الشهود... ولا تقل قد حجّرتَ واسعا، فإني ما حجّرتُ عليك أن لا تعلم، وإنما حجّرت عليك أنك لا تعلم مثل هذا من الحق إلا في صورة محمدية. وقد بيّنا أنّ أعظم الرؤية رؤية محمدية في صورة محمدية «انتهى. ويؤكد الشيخ على هذا المعنى الشريف في الباب 355 فيقول: «ظهور الحق في مرآة محمد -ﷺ- أكمل ظهور وأعدله وأحسنه، لِما هي مرآته عليه، فإذا أدركته في مرآة محمد -ﷺ- فقد أدركت منه كمالا لم تدركه من حيث نظرك في مرآتك... فلا تطلب مشاهدة الحق إلا في مرآة نبيك -ﷺ-، واحذر أن تشهده في مرآتك، أو تشهد النبي وما تجلى في مرآته من الحق في مرآتك، فإنه ينزل بك ذلك عن =

وأُبْتُ مَوْلًى في ثياب العُلى   وصارت الأحيان أعيادي

يشير بالثياب العلى إلى المعارف، أي صرت عبدا عندهم، عرفوا عبوديتي، وأخذوا يقتدوا بي، لأنهم لا يُمتدح عندهم إلا بالعبودية، ولا يحتملون من الشرك قليلا ولا كثيرا. وقوله «صارت الأحيان أعيادي»: يريد بالأحيان الأنفاس، صارت كلها سرورا ونورا، لأنّ الله -تعالى- نفّس بها ما كان عندي من غمّ الدّعاوي.

وقمتُ بالعلم لهم مفصحا   أخاطب الحاضر والبادي

يريد بالحاضر أهل الحضارة، وهم عموم أهل المقام، ويريد بالبادي الغرباء في ذلك المقام. وفي كل حضرة قوم يعمرونها، وقوم يَردُون عليها.



= الدرجة العالية. فالزم الاقتداء والاتباع، ولا تطأ مكانا لا ترى فيه قدم نبيك، فضع قدمك على قدمه إنْ أردت أن تكون من أهل الدرجات العلى والشهود الكامل في المكانة الزلفى. وقد أبلغتُ لك في النصيحة كما أمِرت. وَاللهُ يَهْدِي من يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ».

باب النفس المطمئنة
وهو البحر المسجور

قال السالك:

ثم ارتقيت مع الرسول[1]، على أوضح سبيل، فأشرفت على البحر المسجور، فتيسّر كلّ عسير.

«البحر المسجور» هو المعنى الذي يصير نارا فتزيد كرة الأثير، وهو في حق النفس في حال الاصطلام، ويُنعت بالبحر المسجور. قوله «فتيسر كل عسير»: أي كلّ ما كان يعسر عليّ إزالته أعانتني عليه نار الاصطلام[2]، فأحرقته وأراحتني منه.

ورأيتُ في لجة ذلك البحر المحيط، سفينة العالم البسيط، فنظرت في تحصيلها، فقيل لي: «حتى تقف على جملتها وتفصيلها»: هذه سفينة العارفين، وعليها معراج الوارثين[3] فرأيت سفينة ذاتها روحانية، وعُدَدها سماوية، أرجلها القدمان، سَكّانها سكون الجَنان، قِراها اللطائف، صواريها المواقف، يَقَنُها اليقين، مرَاسيها القوّة والتمكين، شرَاعها الشريعة، صابورها الطبيعة، حبالها الأسباب، طوارمها مخازن اللباب، رائسها النقل، مقدّمها العقل، بحْريّوها الأنفال، إنكليتها السلامة من النكال، تِجارها الموارد، وسْقها

---

(1) أي رسول التوفيق.

(2) لمعرفة الاصطلام وأسراره، ينظر في الفتوحات الباب 232 وبدأه بقوله: «الاصطلام في اصطلاح من القوم: وَلَه يَرد على القلب، سلطانه قويّ، فيسكن من قام به تحته».

(3) السفينة هنا رمز لذات السالك المتحقق بمستلزمات السلوك التي يحصل بها المعراج والوصول إلى المقصود، وجريانها يحصل في بحر النفس المطمئنة التي سمعت نداء ربّها: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝٣٠﴾ [الفجر: 27/ 30]. فالباب المفتوح عل هذا الرجوع المعراجي هو النفس المطمئنة. ولهذا جعل الشيخ بابها آخر أبواب مقدّمات المعراج، وفاتحة الولوج إلى السماوات.

الأسرار والفوائد، مقدَّمها العناية في الأزل، مؤخَّرُها تقديس الهمّة في الأبد عن طوارق العلل، بحرها الأفكار، ريحها الأذكار، مَوْجُها الأحوال، دعاؤها الأعمال. السفينة بظهور الألف من ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا﴾ [هود: 41]، وإلى ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: 1] منتهاها، فهي تجري في بحر المجاهدة، إلى أن ألقتها أرواح العناية بساحل المشاهدة. فلمّا عَدَت بحر الاغترار، وسلمت من لُجج ثَبَج الأغيار، مدّ الرّائس رقيقته، ورَفع بمنظوم عجيب عقيرته.

قوله: «رأيت في البحر سفينة العالم البسيط»[1] ثم شرح الأوصاف التي تنشأ منها سفينة يركب فيها في بحر الطلب، فتكون سبب النجاة. فهي سفينة برزخية، كظهور العِلم في صورة اللبن. إلى قوله «ورَفع بمنظوم عجيب عقيرته»، والعقيرة: الصوت.

لـمّـا بـدا الـسـرّ فـي فـؤادي فـنـى وجـودي وغـاب نجمي

قوله: «لمّا بدا السر في فؤادي»: أي لما بدت العين غاب العلم، لأنهما لا يجتمعان، لأنه إذا كان عندك المشهود فنيت فيه، فإذا غاب عنك بقي العلم. وقوله «غاب نجمي»: يريد العلم، وإنما سمّاه «سرا» لكونه كان مستورا وقت العلم[2].

وجـال قـلـبـي بـسـرّ ربّـي وغـبـت عـن رسـم حـس جسمي

قوله: «جال قلبي»: أي تصرّف فيما أعطته تلك العين. وقوله «وغبت عن رسم حس جسمي»: أي كان التصرّف معنوي لا جسماني.

وجـئـت مـنـه بـه إلـيـه فـي مـركـب مـن سـنـيّ عـزمي
نـشـرتُ فـيـه قـلاع فـكـري فـي لـجّـة مـن خـفـيّ علـمي

---

(1) استعمل الشيخ في هذه الفقرة ما تتشكّل منه السفينة كرموز لأحوال السالك: فسَكّانها هو ذنبها تُسكَّن به لكي لا تضطرب في حركتها. وسكون الجَنان هو سكينة القلب. وقِرَاها: غذاؤها أي القوة الممدّة لحركتها. وصواريها: جمع صارية وهو عمود يُنصب في وسطها ويكون عليه الشراع. وصابورها ما يوضع في باطنها لتثقل ولا تميل. والطارمة بيت أو صندوق من خشب كالقبّة توضع فيه العدّة والحبال ورائسها: ربّانها. ومقدّمها: نائب الرّائس المقدّم على جميع من فيها. وأنكليتها حوض ماء يكون في وسطها. ووسقها حِملها. وثبج البحر معظمه.

(2) يعني أنّ السالك انتقل هنا من مقام علم اليقين إلى مقام عين اليقين.

هَبّتْ عليه رياح شوقي ... فمرّ في البحر مَرّ سهمي
فجزتُ بحر الدنوّ حتى ... أبصرتُ جهرًا من لا أسمّي

قوله: «جزت بحر الدنو»: أي بحر القرب، وإذا جازه انتفى القرب، لأن القرب تحديد. فكأنه يقول: جزت الحدّ فرأيت من لا حدّ له، فبطل القرب. و«رأيت عيني»: أي رأيته بعينه، فما رأى الواحد إلا الواحد، وهو معنى جهرًا عيانا. وقوله «من لا أسمّي»: أي كونه لا يُعرَف.

وقلتُ: يا من رآه قلبي ... اضربْ لي في حبّكم بسَهم

أي: ردّني إلى إحساسي، لأنه لا يعلم لذة المحبّة مع الفناء، إلى أن يعود إلى حسه فيهون معها كل صعب، لأنه لا بد من الرجوع. فسأل أنْ يكون رجوعه بالمحبّة ليحمل أثقال البلايا.

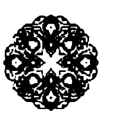
فأنت أنسي ومِهرجاني[1] ... وغايتي في الهوى وغُنمي

قال السالك:

ثم عَرج بي حين فارقت الماء، إلى أوّل سماء[2].

(1) المهرجان كلمة فارسية تعني الاحتفال العظيم.

(2) أي عرج به رسول التوفيق. والترتيب الطبيعي من الأكثف إلى الألطف للعناصر الأربعة في مقدّمات المعراج هو التراب أولا، أي تخلص السالك من الخلود إلى أرض الغفلة والجهل، وفوقه الماء حيث تصفو نفس السالك من كلّ أكدار النفس، وفوقه الهواء حيث تنعتق النفس من سلطان الهوى، ثمّ النار أو الأثير الذي عبّر الشيخ عنه في هذا الباب بالبحر المسجور حيث -كما سبق ذكره- يحصل الاصطلام فيتيسّر كلّ عسير وتصبح النفس مطمئنة بذكر الله تعالى وحده، فكلّ ما كان يعسر عليها إزالته تعينها عليه نار الاصطلام، فتحرقه وتريحها منه. وهنا يظهر إشكال: وهو قول الشيخ: «ثم عُرج بي حين فارقت الماء إلى أول سماء، ولم يقل: «حين فارقت النار أو الأثير»، فكيف جعل الماء فوق الهواء والنار وهو دونهما في الترتيب؟ الجواب هو أنه قد وصف بحر هذه المرتبة بالمسجور، أي المتّقد الشديد الحرارة، فهو كالماء في غليانه بفعل حرارة النار. وإنما استعمل الشيخ هنا كلمة «الماء» بدلا من «النار أو الأثير»، لأنّ ترتيب العناصر الأربعة يختلف عن ترتيبها الطبيعي بين سالك وآخر. فإذا كان الغالب على مزاج السالك طبع الماء الرّطب البارد، فهو الذي تكون له الهيمنة حتى في مراتب العناصر الثلاثة الأخرى. وبالتالي ففي مرتبة الأثير يتفاعل ماء مزاجه المهيمن مع حرارة مرتبة النار، فيكون البحر مسجورا. ورمزية الماء في المزاج المنوّر =



= السليم هي أنّ صاحبه يكون دائما متوجّها إلى طلب المزيد من العلم بالله تعالى، لأنّ الماء مادّة الحياة الطبيعية، والعلم هو عين الحياة الروحية، كما هو حال الشيخ الأكبر وأمثاله. والله أعلم.

سماء الوزارة

وهي الأولى حيث سر روحانية آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السالك:

استفتح بي سماء الأجسام، فرأيت سرّ روحانية آدم - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ -، وعلى يمينه أَسْوِدَة القدم، وعلى يساره أسودة العدم.

قوله: «سماء الأجسام» إذ فيها روحانية آدم - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ -. وقوله «على يمينه أسودة القدم»: أي الخواطر المحمودة، «وعلى يساره أسودة العدم»: الخواطر المذمومة. وآدم عبارة عن المجموع الذي هو الإنسان الذي أسري به. واختصت سماء الدنيا بآدم - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - لأنّ النفس الكلية توجّهت عليه عند إيجاده الذي كان لسماء الدنيا منها. وكذلك كلّ من توجّهت عليه النفس بهذا التوجّه كان في هذا المقام. وروحانية القمر من ذلك من التوجّه بنفسه، ووجود فلكه، كذلك فله من الأيام يوم الاثنين، ومن الليالي ليلة الخميس، ومن الكواكب القمر، ومن البروج كل برج مائي. واعلم أنّ كل سالك وساري، فإنما يخاطبه منه جزؤه من آدم الذي هو نسخته منه، وكذلك في كل فلك ومرتبة وروح روحاني، إنما يخاطبك منه جزؤك منه ونسختك، فتكون مرآة يظهر لك فيها ما فيك. والمرآة ما تعطيك إلا منك. فمِن عينك أدركت عينك. فيصف لك جزؤك ما فيك، فترى نفسك، وتسمع كلامك من نفسك، فتحقق ترشد. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل[1].

(1) سمّى الشيخ هذه السماء الأولى «سماء الوزارة» لأنّ مظهرها المحسوس هو فلك القمر المعتبَر كوزير للشمس التي لها السماء الرابعة القلبية القطبية ولهذا سمّاها الشيخ «سماء الإمارة». وسمّى السماء الأولى «سماء الأجسام» لأنّ قطبها الأب الأول آدم - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - هو أصل الأجسام البشرية. وكلمة «أسودة: جمع سواد وهو الشخص يُرى من بعيد أسود، فـ«أسودة القدم» عبارة عن أرواح السعداء أهل اليمين الذين لهم قدم صدق عند ربّهم، و«أسودة العدم» عبارة عن أنفس الأشقياء أهل الشمال. ولمعرفة لماذا كان لروحانية القمر نهار الاثنين وليلة الخميس يُنظر تفصيله =

فعانقني حبيبا، وسألته عن شأنه فقال مجيبا[1]

خرجت من بلاد المغرب، أريد مدينة يثرب.

يريد بالمغرب موضع سرّه، ويريد بيثرب المقام المحمدي.

فسرت أربعين ليلة، سير من جرّ في المُجون ذيْله.

قوله: «أربعين ليلة»: يريد «من أخلص لله أربعين صباحا»[2].

فلمّا وصلتها، وانقضت الأسباب التي أمّلتها، قلت لبعض رفاقي، وأخص أصدقائي:

هل في بلدكم مُطْرَقٌ[3] **يُصمد إليه.**

يريد بالبلد: الفلك، وبالمُطرَق: العالم آدم، أو روحانية القمر، أو إسماعيل ملَك السماء الدنيا، لأنه لا بد لكل سماء من ثلاثة: روح النبي، وملك السماء، والكوكب[4].

= في كتابنا «الشرح التام لكتاب أيّام الشأن لابن العربي» وذلك أنّ لكلّ ساعة روحانية من روحانيات الكواكب السبعة السيّارة، حسب ترتيبها، كلّ ليلة وكلّ نهار يتشكلان من اثني عشرة ساعة. والبداية من الساعة الأولى لليلة الأحد فلها روحانية كوكب الكاتب الذي هو عطارد، تتلوها روحانية القمر ثم زحل في فلك السماء السابعة، ثم المشتري ثم المريخ ثم الشمس ثم الزهرة، ويعود الحكم للكاتب في الساعة الثامنة. ويستمرّ هذا التتابع طيلة ساعات الأسبوع. ويكون الحاكم على الليلة أو النهار روحانية الساعة الأولى منهما، وروحانيات الساعات الإحدى عشرة الأخرى نوّابها على التتالي. والبروج التي لها طبع الماء الرطب البارد كطبع القمر هي السرطان والعقرب والحوت.

(1) الناطق هو لسان التوفيق المتطابق مع لسان السالك.

(2) -يعني الخبر النبوي: «ما أخلص عبد أربعين صباحا إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» -رواه ابن أبي شيبة، ورواه آخرون بألفاظ متقاربة: رواه أبو نعيم في الحلية، والإمام أحمد في الزهد، والمروزي وابن حبان-. والعدد أربعون يرمز عموما إلى تمام كلّ نشأة أو طور. ولبعض الصوفية الخلوة الأربعينية يتعاهدونها، وللتوسع في معرفتها وكيفية الدخول فيها وفتوحها تنظر في كتاب «عوارف المعارف» للسهروردي الأبواب 26/ 27/ 28 قال تعالى: ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [الأعراف: 142] وفي الخبر: «خمّر طينة آدم بيده أربعين صباحا».

(3) المطرق: العالم بخفيات المسائل.

(4) في كتابه «عقلة المستوفز» أعطى الشيخ أسماء ملائكة المراتب الكونية ومقدّميهم فقال:
- ملائكة العرش، هم الواهبات، ومقدّمهم: إسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. =

أو مدرّس يُقعَد بين يديه؟ فقال: هنا مدرّس شديد البحث والنظر، صحيح النقل والخبر، يُكنّى: «أبا البشر»[1]، يدرّس بمسجد القمر، في أمره عُجاب، ليس بينك وبينه حجاب.

فنهضت كمُنْشَط من عِقال[2]، أو شارد خيفة أعباء وأثقال، ودخلت عليه في درسه، فاستنزلتُ روحانية نفسه.

قوله: «دخلت عليه في درسه»: أي المحل الذي يُعلِّم فيه أرباب الهمم السارية إليه. وقوله «فاستنزلت روحانية نفسه»: أي خاطبني منه معناه، وإنْ ظهرتْ صورة متجسدة أريد كشف معناها.

فرأيت شخصا وضيء البهجة، فصيح اللهجة، فقام إليّ تعظيما، وأنزلني تكريما. فلمّا أكرم نُزلي، قال لأصحابه: هذا من أهلي.

أي قال للروحانيين الذين هم أهل ذلك الفلك.

= ثم ملائكة الكرسي، هم المدبّرات، ومقدّمهم: ميكائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.
ثم ملائكة فلك البروج الأطلس، هم المقسِّمات، ومقدّمهم: جبرائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.
ثم ملائكة فلك المنازل المكوكب، هم التاليات، ومقدّمهم رضوان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.
ثم ملائكة سماء زحل السابعة وهم النازعات ومقدّمهم عزرائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.
وملائكة سماء المشتري السادسة وهم الملقيات ومقدّمهم المقرّب.
وملائكة سماء المريخ الخامسة، وهم الفارقات ومقدّمهم الخاشع.
وملائكة سماء الشمس القطبية القلبية الرابعة، وهم الصافات ومقدّمهم الرّفيع.
وملائكة سماء الزهرة الثالثة، وهم الفاتقات ومقدّمهم الجميل.
وملائكة سماء الكاتب الثانية، وهم الناشطات ومقدّمهم الروح.
ثم ملائكة سماء القمر الأولى، وهم السابحات ومقدّمهم: المحيي (وإسماعيل).
ثم ملائكة كرة النار وعالم الخوف بين سماء القمر وكرة النار، وهم السّابقات.
ثم تحتهم ملائكة عالم الشوق وكرة الهواء وهم الزاجرات ومقدّمهم الرّعد.
ثم تحتهم ملائكة عالم الحياة وكرة الماء، وهم الساريات ومقدّمهم الزاجر.
ثم تحتهم ملائكة عالم الذكر وكرة التراب، وهم الناشرات، ومقدّمهم...

(1) أي آدم - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ -.

(2) كمنشط من عقال: أي كمتحرّر من رباط.

فرموا إليّ أبصارهم، واتخذوني من جملة إخوانهم وأنصارهم، فأدركني لذلك خجل، أورث القلب عظيم فرْق ووَجَل.

ثم قال لي: مِن أين؟ قلت له: من مجمع البحرين، ومعدن القبضتين[1].

قوله: «من مجمع البحرين»: أي من نشأتيْ عالم الخيال، والبحرين: المعنى والحس، وكذلك القمر مجمع البحرين: الرطوبة والبرودة.

قال لي: فأنت مني؟ قلت له: إيّاك أعني.

وقوله «أنت مني»: أي أني كذلك وُجدت. وقوله «إيّاك أعني»: وكذلك قصدتك لكوني منك وأنت مِنّي[2].

قال: فبماذا تعدّدنا؟ قلت: له بنفس ما اتحدنا.

أي: تعدّدنا بحق، وافترقنا بحقّ، وجمَعَنا الحدّ والحقيقة، فنحن واحد من حيث الحقيقة والحدّ، اثنان من حيث الشخصية[3].

قلت له: يا سيّدي عسى فائدة، أو حكمة زائدة، أعرّس بمغانيها[4]؛ وأتخلق بمعانيها.

قال: خذ إليك، شرح الله صدرك ونوّر جَنانك، ووفّر إنعامك وإحسانك: جذبني الحق مني، وأفناني عني، ثم وهبني الكُلّ، ليُحمّلني الكَلّ[5].

قوله: «جذبني الحق مني»: أي أخذني عن نفسي. وقوله «وهبني الكُلّ»: أي لكوني على صورة العالم. وقوله «ليحمّلني الكَلّ»: أي ليحمّلني تدبيره وما فيه من المشقة.

---

(1) ربّما يعني بمعدن القبضتين: كثافة الجسم ولطافة الرّوح.

(2) قول السّالك للوالد الأوّل: «وأنت منّي» يعني أنّ روحانية آدم- عَلَيْهِ السَّلَامُ- ما ظهرت لهذا السالك، إلا لأنّ السالك توجّه إليها بكلّيته، فكأنّ توجّهه أصبح سببا للقائه ومخاطبته.

(3) يقول ابن الفارض -رَحِمَهُ اللَّهُ- في مثل هذا المعنى في خمريته الميمية المشهورة:

«وقد وقع التفريق والكلّ واحد فأرواحنا خمر وأشباحنا كرْم»

(4) أي أنزل بمنازلها، أي أفهم دلالاتها.

(5) الكَلّ- بفتح الكاف- هو الضعيف.

فلمّا أودعني حُكمه[1].

قوله: «أودعني حُكمه وردّني إليّ وجعل ما كان على ظهري بين يديّ»: أي جعلني متحكما فيه، فاسترحت في قبالة ذلك الثقل والتعب. فهذا مثل قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ٢٩﴾ [الرحمن: 29]، فكذلك العبد ههنا. وقوله «اتخذني سجيرا»: أي صاحبا.

واصطفاني سميرا، وصيّر لي عرشه سريرا.

قوله: «سميرا»: أي مُحَدَّثا بليل، فمعناه حديث في غيب، وهو قرب اصطفائي، لأنه سبحانه ما يسامر إلا الخواص عنده. و«عرشه»: أي مُلكه[2].

والمُلك خادما والمَلِك وزيرا. فأقمتُ على ذلك برهة في الآن، لا أعرف لنفسي مِثلا في الأعيان. ثمّ قسّمني شطرين.

قوله: «أقمت برهة في الآن»: أي في الوقت، فلا يحكم عليّ الماضي ولا المستقبل. قوله «لا أعرف لنفسي مثلا في الأعيان»: أي أنّ العالم أجزاء، وأنا أمرٌ جامع. «وقسّمني شطرين»[3]: أي صورة حسية ومعنوية.

وصيّر الأمر أمرين. ثم أحياني، وأراني ما حجبني عنه وألهاني.

وقوله «أحياني»: بامتزاج الحس والمعنى.

فقلت: هذا أنا وليس غيري. فحنّ النصف إلى النصف[4] **، وصحّ الفرق بين الذات**

(1) أي أودع الله تعالى خلافته لآدم في الأرض وعلّمه أسماءه كلّها لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]، وأوقفني على كل سرّ وحِكمة، ردّني إليّ، وجعل ما كان على متني بين يديّ، واتخذني سجيرا.

(2) أي مُلك خلافة آدم-عَلَيْهِ السَّلَامُ- في الأرض، وسخّر له كلّ العوالم.

(3) المعنى الظاهر للشطرين هو خلق الله تعالى حوّاء من ضلع آدم- عَلَيْهِمَا السَّلَامُ-.

(4) في الباب السابع من الفتوحات تكلم الشيخ عن سبب هذا الحنين فقال ما خلاصته: (ولما ظهر جسم آدم ولم تكن فيه شهوة نكاح، وكان قد سبق في علم الحق إيجاد التوالد والتناسل، والنكاح في هذه الدار إنما هو لبقاء النوع، فاستخرج من ضلع آدم من القصيرى، وكانت من الضلع للانحناء الذي في الضلوع لتحنو بذلك على ولدها وزوجها. فحنوّ الرجل على المرأة حنوّه على نفسه لأنها جزء منه، وحنو المرأة على الرجل لكونها خلقت من الضلع، والضلع فيه انحناء =

والوصف. فقلت: إلهي هذا الفيّ لأيّ؟ قال: إذا رقمتَ بالقلم في اللوحِ، وأفيض على مكتوبك من نور يوحِ، ووقع الامتزاج، ولاحت لعينك الأمشاج، علمت لأيّ، أوجدت لك هذا الفيّ[1].

فلمّا كتبت بالقلم، في لوحِ القَدم، لاح سر القِدَم في وجه العَدم. فأنا الآن أدرّس ما علمته، وأبث لهؤلاء ماعُلّمتُه.

قوله: «هذا الفيّ لأيْ» مع جوابه: أي إذا نكحتْ روحك جسمك حينئذ تعرف لأيّ. وقوله «فلمّا كتبتُ بالقلم» إلى قوله «وأبث ما علمته»: أي لـمّا نظرت في اختلاف صروف النظر من العقل والشرع والطبع وغيره، ظهرت الحِكم عند التناكح الذي بين الحس والمعنى[2].

ثمّ أنشد:

يا قمر الأسرار يا مُلبِسي غِلالة من أخضر السندس

= وانعطاف. وعمّر الله الموضع من آدم الذي خرجت منه حواء بالشهوة إليها، إذ لا يبقى في الوجود خلاء، فلمّا عمّره بالهواء حنّ إليها حنينه إلى نفسه لأنها جزء منه، وحنّت إليه لكونه موطنها الذي نشأت فيه. فحبّ حواء حب الموطن، وحب آدم حب نفسه. ولذلك يظهر حب الرجل للمرأة إذ كانت عينه، وأعطيت المرأة القوة المعبر عنها بالحياء في محبة الرجل، فقويت على الإخفاء لأن الموطن لا يتحد بها اتحاد آدم بها. فلما نحتها في الضلع وأقام صورتها وسوّاها وعدّلها نفخ فيها من روحه، فقامت حية ناطقة أنثى ليجعلها محلا للزراعة والحرث لوجود الإنبات الذي هو التناسل، فسكن إليها وسكنت إليه، وكانت لباسا له وكان لباسا لها.

(1) المعنى الظاهر لهذا الكلام هو أنّ النصف الثاني والفيّ عبارة عن حوّاء. ورقم القلم في اللوح هو النكاح الذي تمّ بينهما. ومكتوبه في لوح حواء هو الجنين المتولد منهما، ونور يوح هو نور الشمس، يعني نفخ الروح في الجنين في شهره الرّابع عندما يكون تحت حُكم روحانية الشمس في فلك السماء الرّابعة. والأمشاج هي الأخلاط. وذلك لكي يحصل التوالد وتستمرّ الخلافة في أبناء آدم- عَلَيْهِٱلسَّلَامُ- إلى انقضاء الدنيا.

(2) المعنى الظاهر للكتابة في اللوح وظهور سر القدم في وجه العدم، هو أنّ الحق تعالى بثّ من آدم وحواء- عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ- الذرّيّة، فمنهم من كانت لهم قدم صدق وسعادة ويمين، في مقابلة من كانوا من أهل الشقاوة والعدمية والشمال. والله اعلم.

يريد نسخته من القمر. قوله «غلالة»: أي صفة من صفاتها. وشبّهها بالخضرة لأنّ الخضرة أصفى للعين وأجمع لأشعة البصر.

أصبحت معشوق ثرًى يابس لولا لهيب النار لم ييبس

أي أصبحت معشوقا للنفس الحيوانية. وإنما يبس لهيب النار من الوجد والاصطلام، ولهذا ما تفخّر إلا بلهيب النار[1].

حبست فيه زمنا عاجلا لذاك تدعى صاحبَ المحبس[2]

أراد بالحبس ارتباط الروح بالجسم العنصري أيام الدنيا.

رأستَ فيه بعلوم بدت فيك، لولا ذاك لم تَرْأس

أي بالعلم رأست، كما رأس آدم -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- بالعلم.

فأنت تسري في ثمان وفي عشرين خنّاسا على الكنّس

أي القمر يسير في ثمان وعشرين منزلة، كذلك الكلام يسري في ثمان وعشرين حرفا. فكما يبرز عن ذلك السريان في الوجود تكوينات، كذلك يصدر عن سريان هذا الكلام نتائج وفوائد ينتفع بها[3].

على جواد سابح صيغ من نحاس قاض، صُنعة المفلس

قوله: «جواد سابح»: يعني الجسم الطبيعي في حق الإنسان، كما هو الفلك في القمر، وهو قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ٣٣﴾ [الأنبياء: 33]. وقوله «صيغ من

---

(1) في هذا البيت إشارة إلى العناصر الأربعة المشكّلة للجسوم، حيث سمّى الشيخ هذه السماء: «سماء الجسوم»، أي الطين الترابي المائي ثم الهواء وحرارة النار كما سبق ذكره.

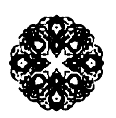
(2) صاحب المحبس مناسب للحديث النبوي: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» -رواه الإمام مسلم في صحيحه، وغيره-.

(3) خناسا على الكنّس: الكواكب السيّارة السبعة، قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦﴾ [التكوير: 15]. حول التناسب بين منازل القمر ومراتب الحروف يُنظر الفصل 27 من الباب 198، وهو الفصل المتعلق بالسماء الأولى، وقد سبق الكلام عن التناسب بين منازل القمر ومقامات السلوك. وخصص الشيخ للسماوات الأخرى الستة نزولا من السابعة إلى السادسة على التالي من الفصل 25 إلى الفصل 26 من نفس الباب 198.

نحاس»: أي من دخان، والسماوات من دخان[1] والقاضي: النار. و«صنعة المفلس» هي الكيمياء، والمشتغل بها المفلس.

قال السالك:

ففرحتُ بما أودعني، وسررتُ بما منحني. ثم قال: ارْتق واستبق، يبدو لك في السماء الثانية، ما أخفي لك من قرّة أعين في هذه الآنية.



(1) قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت: 11].

سماء الكاتب وهي الثانية

حيث سرّ روحانية المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السالك:

فاستفتح الرّسول الوضّاح[1]، سماء الأرواح، فنفخ في الصورة الرّوح، بمشاهدة المسيح.

قوله: «سماء الأرواح»: لكون روحانية عيسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- تعمرُها، وهو روح الله. قوله «الوضّاح»: لأنه نهار واضح لا ليل فيه، إذ الليل هو الشهوة الطبيعية. وقوله «فنفخ في الصورة الروح بمشاهدة المسيح»: لأنه قد تقدّم تسوية آدم -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- في الأولى، فلهذا قال «نفخ فيه الروح»، إذ هو يحي الموتى. والمناسبة بين عيسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- وبين عطارد[2] بحيث جمعهما هذا الفلك من وجوه: منها أنّ عيسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- ارتبط بالجسم وقد كملت فيه كل الطبائع، وكذلك حُكم عطارد فيه حُكم كلّ طبيعة. وكون عطارد لا يغلب بعض طبائعه على بعض، كذلك عيسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- لم يوجد عن غلبة شهوة طبيعية فتكون قد غلبت بعض طبائعه على بعض.

فلمّا اتصلتْ حياتي بوجوده، وتنعّمتْ ذاتي بشهوده، وعمّ النور جهاته وزواياه، وغمرته هباته وسجاياه، طوى بساط الظلام، في بيوت الأجسام.

قوله: «بساط الظلام من الأجسام»: أي لو بقي الجسم وما فيه من ظلمة الطبيعة لم يدرك ما أدركه من العلوم والأنوار، للقوى التي أوجدها الله تعالى بوجود الروح. فذلك

(1) أي رسول التوفيق،

(2) عطارد هو كوكب الكاتب، طبعه ممتزج من كلّ الطبائع، خلافا للكواكب الستة الأخرى: فالقمر والزّهرة لهما طبع الماء الرّطب البارد. والشمس والمريخ لهما طبع النار الحار اليابس. وللمشتري طبع الهواء الرّطب الحار. ولزحل طبع التراب البارد اليابس.

هو الظلام الذي قيل فيه: ﴿قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الفرقان: 46]، وهو إذا أخذه عن مشاهدة طبعه إليه.

قال لي: مرحبا وأهلا، وسعة وسهلا، يا أيها السالك حقِّق ذاتي، وانظر في صفاتي، أنا الصادر من خزائن الجود.

قوله: «حقق ذاتي»: هو كلام الخليفة[1] وهي المرتبة، وهكذا في كل رتبة الكلام له. وقوله «أنا الصادر من خزائن الجود»[2] أي إنما وقع الوجود من خزائن الجود.

والمفيض على أوّل موجود، لولاي ما عُلِّم الأسماء.

أي أنّ المرتبة الخلافية تقول: بي شرف آدم وبنوه.

ولا سما قدْرا على من سما، بي نطق، ومن أجلي خُلق، بي فتق أرضه وسماؤه، وعليَّ قام عمادُه وبناؤه[3]

ثم ردّ وجهه إلى فتى رائع الجمال، ساطع البهاء، ممشوق القامة كالصُّعْدة السمراء[4] **، وقال له: قم يا كاتب الإلهام، فخُذ الدّواة والأقلام، واكتب في ديوان الأجسام، من أمر الإمام، ما يسألك هذا الغلام.**

قوله: «فتى رائع الجمال»: يشير إلى روحانية عطارد. وعطارد ممتزج فيه جميع الطبائع. وقوله «خذ الدواة والأقلام» يريد بالدواة الإجمال، وبالأقلام التفصيل، أي خذ الأمر المجمل وفصِّله.

---

(1) المتكلم هو عيسى –عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ– بصفته خليفة عن الرّوح المحمّدي، فلكلّ نبيّ مظهر من مظاهر الخلافة المحمّديّة.

(2) قال تعالى عن مريم– عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ–: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران: 47].

(3) من مظاهر الروح المحمّديّ الروح الكلي السابق ذكره، وهو النافخ في آدم روحه ففتق أرض جسمه وسماء نفسه. وقوله «من أجلي خُلِق»: أي أنّ آدم–عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ– أوّل وأكمل مظهر إنساني للروح المحمّدي الذي من أجله خُلق العالم لأنه–ﷺ– أوّل العابدين. والله أعلم.

(4) الفتى هنا عبارة عن روحانية كوكب الكاتب في هذه السماء الثانية. والصّعدة: القناة، أي القدّ الممشوق المستقيم.

فخرج إليّ كاتبه، ووزيره وحاجبه، فعندما أبصرته مقبلا، قمت إليه مرتجلا:

يـــا أيـــهـــا الـــكـــاتـــب الـــلـــبـــيـــب أمــــــرك عــــنــــد الــــــــورى عـــجـــيـــب

قوله: «اللبيب»: من اللب، وهو روح العقل.

قـــرّبـــك الـــســـيـــد الـــمـــعـــلّـــى فـــيـــمّـــمـــتْ نـــحـــوك الـــقـــلـــوب

قوله: «يمّمتْ نحوك القلوب»: أي تطلب لبّها.

لـــمَّـــا تـــغـــيّـــبـــتَ عـــن جـــفـــونـــي تـــاهـــت عـــلـــى الـــمـــظـــاهـــر الـــغـــيـــوب

أي: لمّا كنت في الغيوب تاهت عوالم الغيب على الشهادة وزهت، ولو كنت في الشهادة لزهت على عالم الغيوب.

لـــــوْلاك يـــا كـــاتـــب الـــمـــعـــانـــي مـــا كـــان لـــي فـــي الـــعُـــلا نصيب

أي: لوْلاك في العُلا ما طلبت العُلا، إذ أنت مطلوبي لا العُلا؛ ولوْلاك لكان الكلّ عندي سواء.

فـــاكـــتـــبْ ظـــهـــيـــر الأمـــــــان حتى يـــــؤمّـــــن الـــخـــائـــف الـــمـــريـــب

أي: أعطني أمانا لأنك لمّا غبتَ، واشتقتُ إليك، خفتُ من الغيبة، فاكتب لي الأمان أنك حيث كنت أخذتني معك إلى تلك الحضرة، وأنت لطيف المعاني، تدعوك الحضرات إليها، فخذني معك في كل موطن، لآمن من فرقتكم. فالأمان في هذا الموضع لهذا، لا للخوف.

قال السالك:

فقال: نَعم ونُعْمى عين، دون ريب ولا ميْن.

أي: أحْيك وأجيبك فيما تقرّ به عينك، فلذلك قال: «ونُعمى عين».

قال السالك:

ثم كتب، وأوجز وما أسهب، ووافق المطلب:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد الكريم

هذا ظهير ولاية وأمان، أمر به روح الأرواح خليفة الرحمن، لمّا تحقق لديه، وثبت له عندما أوحى إليه، أنه إليه انتهت الدورة الآدمية، وضُرب له بسهم في الدولة المحمدية.

قوله: «انتهت إليه الدورة الآدمية»، أي دورة المُلك[1]، إذ قال فيها: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: 59]. ثم جاء محمد-ﷺ- وله دورة السيادة، فقال: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر)[2] والسيد هو من لا يُكاثر. فلهذا انتهت الدورة في عيسى، وهو روح الأرواح، إذ نحن منفوخ فينا، وهو له النفخ، فأقامه الحق مقام نفسه. وقوله «وضرب لي بسهم في الدورة المحمدية»: لكونه ينزل آخر الزمان، فهو النبيّ الوليّ في الدورة المحمدية.

وأنّ سهمه يصيب قرطاسها، وعدْله يقيم قسطاسها[3] فعندما علم أن سهمه لها مصيب، وله منها أوفر حظ وأكمل نصيب، كتب هذا الظهير الجسيم إلى هذا الوليّ الكريم.

أي: كتب هذا الظهير إلى الأرواح الآدمية:

عَهْدُ الله عليه، وأمانته لديه، بالنظر السديد فيما قلّده، والوفاء بما عليه عهده، وقد حمّله الخليفة أمانته.

قوله: «عَهد عليه فيما قلّده»: أي من تدبير هذه المملكة على حُكم ما شرع.

عندما غلب على ظنه وفاؤه وديانته، وعفافه وصيانته.

أي أدبا مع الله تعالى لئلا يقطع على الله تعالى بشيء، لقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾ [النجم: 32]، وقول الرسول -عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ-: (لا أزكّي على الله أحدا)[4].

ونفوذه في الأحكام، وانتهاضه في مشكلات الأوهام، ووقوفه عند حدود الإمام. فإنْ صيّر ظنّ الإمام علمًا، وساس رعيّته حربًا وسِلمًا، وعدل في قضاياه وأحكامه، وتورّع في

---

(1) حول «دورة الملك حتى جاء مليكها» ينظر في الفتوحات الباب العاشر، وحول دورة سيّد العالم محمد-ﷺ- وأنّ الزمان في وقته استدار كهيئته يوم خلقه تعالى يُنظر الباب الثاني عشر.

(2) الحديث أخرجه الترمذي وابن ماجه.

(3) :- قرطاسها: هنا يعني غرضها وهدفها. وقسطاسها: ميزانها، أي أنّ عيسى-عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ- عند نزوله في آخر الزمان يحيي العمل بالشرع المحمّديّ.

(4) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

وُلاته وحُكّامه، أبقيناه واليًا وأيّدناه. وإن عدل عن الشرط عزلناه واستبدلناه.

قوله: «فإن صيّر ظنّ الإمام علما»: أي إذا عمل على حدّ ما عهد إليه. وقوله «ساس رعيّته حربا وسلما»: أي يقابلهم في مواضع القهر بالزجر والشدة، وفي موضع الصلح بالرحمة. وقوله «تورّع»: أي اجتنب الشبهات والمحارم. و«وُلاته»: هم القوى التي فيه كالسمع والبصر.

وظننا به الوقوف عند ذلك، والمشي برعيّته على أسهل المسالك.

وأنتم معاشر الكافة عموما وخصوصا، لا تجدون من دون الله محيصا، وها نحن قلّدنا أموركم هِزَبـرًا سُمَيْدَعا[1] وعزيزا ممنّعا، وقصدنا أن نتحفكم بأسدّ سهم، ونؤيّدكم بأجْرَإِ شهم. فما قال فنحن قلناه، وما فعل فنحن فعلناه، فبلساننا يتكلم، وعن ضمائرنا يترجم.

ووَادَعَنا[2] على أنْ يُحيي مواتكم، ويؤلّف شتاتكم، ويؤمِّن بياتكم، ويعلِّمكم ما لم تكونوا تعلمون، ويُعرّفكم أنكم إلينا ترجعون.

وإن طالت المُدّة، وتضاعفت العِدّة[3] فقولوا سمعنا وأطعنا، ولا تقولوا كما قال من قبلكم: ﴿سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾ [النساء: 46]، ففرّقناهم أيادي سَبا، وقتلناهم بالأهضام[4] والرّبى، وتبّرناهم تتبيرا، وحقت عليهم كلمة العذاب فدمّرْناهم تدميرا، حتى ما تركتْ بالديار من إرَم، وعمّ بلاؤها تُبّعا وإرم[5]

قوله: «ما تركت بالديار من إرم»: أي من أحد.

فلا تعترضوا بالمخالفة لسطوتنا، ولا تستبْـطئوا عند اعتدائكم رسول نقمتنا، فكأنّ قد حلّت بكم المَثُلات[6] وما توَعّدناكم به عند مخالفتكم آت.

(1) محيصا: قابلا للأعذار. هِزَبْرا: أسدا، شديدا. سُمَيْدعا: سيّدا كريما.

(2) أي عاهَدَنا هذا السالك الذي جعلناه خليفة عليكم.

(3) العِدّة -بكسر العين-: جمع عدد وهو الجماعة.

(4) الأهضام: جمع هضم وهو بطن الوادي.

(5) تبعا وإرم تحتمل معنيان: أي الظلال والحجارة، أو قوم تُبّع وقبيلة إرم ذات العماد.

(6) المثلات: جمع مثلة: أي العقوبة والتنكيل.

وهـا نحـن منتظرون لخطابه بما يكون منكم، وينقلـه إلينا عنكم، وكان ما كان فهو مصروف إليكم، وإنما هي أعمالكم تُرَدّ عليكم، إنْ خيرا فخيرا، وإنْ شرّا فشرّا: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [الزلزلة:7/ 8]، ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ ﴾ [المدثر: 38]، ﴿ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٧ ﴾ [آل عمران: 97]، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١١ ﴾ [إبراهيم: 11].

وصلّى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

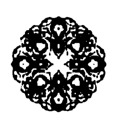
قال السالك:

فأخذتُ ظهير[1] الأمان، وصرتُ بينه وبين مُلكه ترجمان.

فلمّا رأى عدلي فيما به قضيت، وإصابتي في كلّ ما حكمت به وأمضيت، قال: نِعْم ما به جئت، وأنا أجازيك، إذ لا نظير يماثلك ولا عديل يوازيك، وإنّ فوق هذا المقام مقاما عظيما، ومشهدا كريما، ومنزل فرح، لا ترح، وهو مقام الجمال[2]، ومستقر الإجلال.

قال السالك:

فارتفعت الهمّة لطلبه، وبادرتُ لاختراق حُجُبه.



(1) اختص الشيخ بهذا الظهير من عيسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- للعلاقة المتميّزة بينهما، وقد ذكرها الشيخ في العديد من نصوصه، ومن أهمّ مظاهرها اشتراكهما في مقام الختمية، حيث بيّن الشيخ أنّ خاتم الولاية العامّة هو عيسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- عندما ينزل في آخر الزمان، وأنّ خاتم الولاية المحمدية الخاصة هو الشيخ نفسه. وعبّر عن هذه العلاقة في خطبة الفتوحات عند وصفه لارتقائه منبر الخلافة المحمدية، فقال عن النبي -ﷺ- مخاطبا الختم عيسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- «فرآني وراء الختم، لاشتراك بيني وبينه في الحُكم، فقال له السيد: هذا عديلك وابنك وخليلك، انصب له منبر الطرفاء بين يديّ».

(2) يعني سماء الزهرة الثالثة التي قطبها يوسف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- واسم مقدّم روحانياتها: الجميل.

السّماء الثالثة سماء الشهادة

حيث سرّ روحانية يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السالك:

فاستفتح لي سماء الجمال، ومعدن الجلال، ففُتِحتْ وسلّم، ومَلّك لي زمام أمنها وسلّم. فقصدتُ ساكن قصرها، ورئيس مصرها.

يعني أنّ الجمال هو معدن الجلال. وقوله «سلّم إليّ زمام أمنها»: أي من أجل الجلال الذي ذكر فيها، فأمن من سطوات الجلال. وقوله «قصدت ساكن قصرها»: أي روحانية يوسف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-، وهي ساكن القصر[1].

فرأيت بفنائه كافة أصحابها، فعدلت إلى خادم بابها.

قوله: «كافة أصحابها»: أي الملائكة -عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ-.

فسألته: ما الخبر؟ وما هذا الجمع المنتشر؟ فقال: نكاح عُقِد، وعُرس شُهد.

قال السالك:

فشاورتُ عليه فأذِن، ودخلت عليه غير زَعِجٍ ولا وَهِنٍ، وبادرت بالسلام عليه فردّ، وقصّ عني جناح الخجل وقدّ[2]. ودخلتْ عِرْسُه خِدرها، وأسدلت دوننا سترها.

---

(1) المستفتح لهذه السماء هو كما سبق رسول التوفيق. و«سلّم» الأولى: ألقى السلام، و«سلّم» الثانية تعني أعطى من التسليم. وسمّى الشيخ هذه السماء: سماء الشهادة، باعتبار المملكة الأرضية مضاهية للمملكة السماوية. فالإمارة لسماء الشمس القطبية الإدريسية. والوزارة لسماء القمر الآدمية. والكتابة لسماء الكاتب العيسوية والشرطة والعسكر لسماء المريخ الهارونية الخامسة. والقضاء لسماء المشتري الموسوية السادسة. ولا بدّ للقاضي من شهود عدول خاصة في عقود النكاح الذي هو من خصوصيات هذه السماء الثالثة اليوسفية.

(2) أي سلّم على ساكن قصرها. ومعنى «قدّ»: قطع واستأصل، أي أزال منّي كلّ خجل.

قوله: «دخلت عرسه خِدرها»: يريد «الزّهرة»[1].

فقمت على ساق الثنا، وبدأتُ بذكر من له الأسماء الحسنى، وثنّيتُ بالصلاة على من كان قاب قوسين أو أدنى، وثلثتُ بالثناء الأعطر الأحفل على صاحب ذلك المحلّ الأسنى[2]، وقلت: مرحبا بهذا الابتناء السعيد، والانتظام الجميل الحميد. قوله «مرحبا بهذا الابتناء[3] السعيد والانتظام» يشير إلى التحام روحانية يوسف والزهرة في عالمه، أي نسختها في وجوده.

الذي عمّ سروره القلوب وغمرها، وأهّل المهامه[4] وعمّرها، بسيّدة البنات، ومنيرة الظلمات، التي سحرت بابل، ورمتهم بنابل، فلم أرَ كإمْلاك بين أملاك[5]، ولا كإرخاء ستور الأفلاك، على عرش السِّماك[6]، ولا كشرف نَبُه على شرف أثيل، ولا كسعد أقرّت له السعود بالتفضيل، ولا كنسبة آذنتْ باطِّراد الأمل، واقتراب الشمس في بيت الحَمَل[7]. هنيئا بما اقترن من سعادات، وانضاف من قِطَع حُسن متجاورات، واتسق من أقمار مجد ونيّرات، فـ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ [النور: 26]. إليكموها -ساعدكم السعد- صفقة رابحه، وحالة مباركة صالحة، أهلا للاغتباط، ومحلا للارتياط، ودخولا ﴿بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ٤٦﴾ [الحجر: 46]، ومبشرا بالرّفاه والبنين. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

قوله: «مبشرا بالرّفاه والبنين»: أي ما يُنتج التحامهما من العلوم.

---

(1) أي مظهر من روحانية كوكب الزّهرة.

(2) أي ثنّى بالصلاة على سيدنا محمد-ﷺ- وثلّث بالثناء على يوسف-عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-.

(3) الابتناء هو الزواج، والالتحام واقع في عالم ذات السالك ووجوده مضاهيا لالتحام روحانية يوسف بروحانية الزهرة.

(4) المهامه: جمع مهمه: وهي البلاد البعيدة المقفرة.

(5) الإملاك هنا يعني التزويج، والأملاك جمع مَلَك من الملائكة.

(6) السماك: نجم هو أشد النجوم تألقًا في كوكبة برج العذراء.

(7) برج الحمل هو برج الشمس في شرفها، أي في أشرف درجاتها خلال دورتها السنوية.

قال السالك:

فعندما فرغتُ من الكلام، وختمت بالصلاة والسلام، تحرّك الستر قليلا.

أي أنبأتْ عن نفسها كما تفعل المخدّرات المصونات إذا أشرن من خلف الستور.

وانبعث صوت كما هبّ النسيم عليلا، وقال:

ومن تكُن الزهراء عِرْسًا له فقد	**تتوّج بالجوزاء وانتعل الشِّعْرى[1]**
أنا زهرة الروض المُمَسَّك عَرْفه	**وهل زهرة أخرى تضاهي سنا الزّهرا[2]**

قال السالك:

فقلت لها: أما أنت فعرفتك، ونعتّكِ آنفا ووصفتك، وأريد منك أن تعرفيني بمقام سيّدك هذا وخبره، وتطلعيني على عُجَره وبُجَره[3]. فقالت:

أيها العريب الغريب، والطريف الظريف، فديتك بالتالد والطريف، على الخبير سقطت، وعند ابن نجدتها حططت.

قوله: «عرّفيني بمقام سيدك»: أي مقام يوسف -عَلَيْهِ السَّلَامُ-. قوله «عجره وبجره»: أي ما خفي من أمره. قوله: «العريب الغريب»: أي العريب في السماء والغريب في معانيه. قوله «الطريف»: أي الحاوي على الأدب، و«الطريف»: المعجب منه. و«التالد»: المال الموروث و«الطريف»: المال المحدث[4].

لكنك لمّا سألتَ عن غاية لا تدرَك، وصفة لا يحاط بها علما ولا تُملك، تعيّن عليّ أن ألوّح لك منها على مقدار فهمك، وأوقفك من شأنه على ما قُدِّر أن يكون في علمك.

ثم أشارت إليّ من وراء سترها، ومصون خدرها، وقالت: هذا أمين الأمناء.

---

(1) الشعرى كوكب يطلع في شدّة الحرّ ببرج الجوزاء حيث تكون الشمس في أَوْجها.

(2) عرفه: رائحته. الزهرا: كوكب الزهرة وتسمّى البيضاء.

(3) سيد روحانية الزهرة هو يوسف -عَلَيْهِ السَّلَامُ-. و«عجره وبُجره» تعبير تقوله العرب عند طلب الاطلاع عن كلّ ما يتعلّق بشخص.

(4) العريب: الرّجل. والتالد: القديم. والطريف: هو الطارف أي الجديد. وابن نجدتها: عبارة تقال عن العالم المتقن، وكذلك تقال للدليل الهادي.

قوله: «أمين الأمناء»: أي لِما وقع منه في حق امرأة العزيز.

وجمال النّبآء، وبعل الزّهراء، أبصرَتْه اللوَاهيت، فخرّقت النواسيت[1]

أي أرواح النسوة. وقوله «النواسيت» لمّا قطّعن أيديهن، فكأنّ أرواحهن تخيّلت أنها تخرج بذلك الشقّ من سدف الأجسام وحُجب الظلام.

ورامت الخروج إليه عشقا، وانقادت له مِلْكا وَرقّا، فصرف وجهه وأعرض[2]**، وقد أمرض وما مَرَّض**[3]**، وإلى طلب الزيادة تعرّض**[4] **وسحر الأذهان، وعطّل الأديان، وكان سيف نقمة على كل عدوّ بعيد أو دان، وسبب نعمة على كل محبّ قرُب أو بان، سجدتْ إليه زُهْر الكواكب، وارتاعت لمواضي أسِنّته قلوب المواكب، وأعطته المملكة مقاليدها، ووهبته مطاريفها ومتاليدها، وملّكته الخلافة أزمّتها**[5].

أراد بالخلافة النبوّة.

فخفر عهدها وذمّتها، ولم يزل يسوس مملكته بحسن النظر، ويقيمها بسديد نتائج الفكر، حتى قامت الدولة على ساقها، وعمّتها خيراته على بعد أقطارها وآفاقها، وتجلى شمسا باهرة بين أزْرتها وأطواقها، وحيد دهره، وفريد عصره، في بحبوحة مُلكه، ولا

---

(1) النّبآء: الأنبياء. اللواهيت: جمع لاهوت، عنا بمعنى الروح. النواسيت: جمع ناسوت: بمعنى الجسم. يشير إلى قوله تعالى عن موقف النسوة مع يوسف- عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝٣١﴾ [يوسف: 31].

(2) أي إعراضه عن فتنة النساء، قال تعالى عن امرأة العزيز والنسوة: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ۝٣٢ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: 32/ 33].

(3) وما مرّض: أي ما داوى.

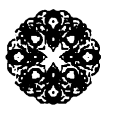
(4) تعرّض ليكون على خزائن الأرض فتنتفع الأمّة بحسن تدبيره، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝٥٥﴾ [يوسف: 55].

(5) قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ [يوسف: 56].

يبصر شيئا خارجا عن مِلكه، فرداؤه جلا، وفقده عمى[1].

قال السالك:

فسمعت عَجبا، وودّعت أبتغي في السماء الرابعة نسَبا، وأطلب لها سببا. سمعت شيخنا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يقول: إلى هاهنا وصل القنوي إبراهيم من المشائخ الكبار برندة، وهي قلعة إشبيلية.



(1) خفر: حفظ. أزرّتها وأطواقها: عظماء الدولة وأقوياؤها. ورداؤه جلا يشير إلى قميصه الذي جلا العمى عن والده يعقوب -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فارتدّ بصيرا.

السّماء الرّابعة

سماء الإمارة، حيث سرّ روحانية إدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السالك:

فاستفتحَ[1] بي سماء الاعتلاء[2].

وقيل: مرحبا بسيّد الأولياء، الاعتصام محيط، بجوهرك البسيط[3]، فقلتُ: نِعْم ما بشّرتَ به وبيّنت، فبمقامك العليّ من أنت؟ قال: أنا معدن الجلالة، والطيّب السّلالة، أبو العلاء سيّد المهاة والغزالة[4].

---

(1) أي رسول التوفيق رفيقه ودليله في هذا المعراج.

(2) هي سماء الاعتلاء لقوله تعالى عن إدريس- عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم: 57]، ومظهرها المحسوس هو فلك الشمس قطب عالم الدنيا، وموقعها الرابع في مركز السماوات، ولها المرتبة الوسطى في مراتب الوجود الثمانية والعشرين كما فصّلها الشيخ في الباب 198 من الفتوحات.

(3) من هذه الأوصاف يظهر نمط من التطابق بين المقام الإدريس الشمسي القلبي، ومرتبة الشيخ الأكبر في الولاية.

(4) المهاة والغزالة من أسماء الشمس. وقد ذكر الشيخ في الباب 73 من الفتوحات إنّ إدريس- عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- هو القطب الدائم لعالم الدنيا، والأقطاب في كلّ زمان نوّابه، فقال ما خلاصته: «أبقى الله تعالى بعد رسول الله -ﷺ- من الرسل الأحياء بأجسادهم في هذه الدار الدنيا ثلاثة وهم إدريس -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- بقي حيًّا بجسده وأسكنه الله السماء الرابعة. وأبقى أيضا الياس وعيسى والخضر. فهؤلاء باقون بأجسامهم في الدار الدنيا فكلهم الأوتاد، واثنان منهم الإمامان، وواحد منهم القطب الذي هو موضع نظر الحق من العالم. والقطب- الشيخ يعني به إدريس- وهو أحد أركان بيت الدين، وهو ركن الحجر الأسود. واثنان منهم هما الإمامان. فبالواحد يحفظ الله الايمان، وبالثاني يحفظ الله الولاية، وبالثالث يحفظ الله النبوة، وبالرابع =

فأنشدته، من عظيم ما وجدته:

قوله: «فاستفتح بي سماء الاعتلاء»: يريد السماء الرابعة. وقوله «الاعتصام محيط بجوهرك البسيط»: أي فيما يلقي إليه، لأنّ الخلل إنما يدخل في التركيب، لوجود الاثنين فصاعدا، والواحد معصوم اعتصام ذاتي. ونسبة إدريس -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- مع الشمس: كون الشمس في الوسط، ومدار الأسفل والأعلى عليها، وهي بمنزلة القطب. ولمّا قيل فيه -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم: 57] ناسبها بذلك. وهو أوّل من خط بالقلم، فله الرفعة في الكتابة والتعبير، فكانت منزلته في العلو منزلة القلم الذي لا أعلى منه، فأعطي السماء الرّابعة.

هنيئا لأهل الشرق في حضرة القدس بشمس جلت أنوارها ظلمة الرّمس[1]

قوله: «لأهل الشرق»: أراد أهل العلوم النورية، وهو كل علم يكشف نفسه وغيره، خلاف الأسرار فإنها تكشف نفسها ولا تكشف غيرها. ويريد بالقدس هاهنا طهارة المحلّ، وهو أن لا يحجبها سحاب ولا غيرها. وقوله «شمس»: يقول إنّ هذا العلم لمن قام به يحكم به على الطبيعة، ولا يحجب الطبيعة كما يحجب في حق بعض الناس.

وجَلّتْ عن التشبيه فهي فريدة وليست بفصل في الحدود ولا جنس

أي ليست بمُرَكَّبة في جنس ولا فصل. فالجنس كالحيوانية، والفصل كالنطق، والفصل هو الذي يقوّم أمرا. وثَم قسم من الفصول يسمى المقسمة، كقولك: هذا ثوب

= يحفظ الله الرسالة، وبالمجموع يحفظ الله الدين الحنيفي. ولكل من هؤلاء الأربعة من هذه الأمة في كل زمان شخص على قلوبهم مع وجودهم، هم نوابهم. فأكثر الأولياء من عامّة أصحابنا لا يعرفون القطب والإمامين والوتد إلا النواب، لا هؤلاء المرسلون الذين ذكرناهم، ولهذا يتطاول كل واحد من الأمة لنيل هذه المقامات، فإذا حصّلوا أو خصّوا بها عرفوا عند ذلك أنهم نواب لذلك القطب. ونائب الإمام يعرف أن الإمام غيره وأنه نائب عنه، وكذلك الوتد. فمن كرامة رسول الله محمد -ﷺ- أن جعل من أمته وأتباعه رسلا وإن لم يرسلوا، فهم من أهل المقام الذي منه يرسلون، وقد كانوا أرسلوا. ولهذا صلى رسول الله -ﷺ- ليلة إسرائه بالأنبياء -عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ- في السموات لتصح له الإمامة على الجميع حسا بجسمانيته وجسمه. فلما انتقل -ﷺ- بقي الأمر محفوظا بهؤلاء الرسل، فثبت الدين قائما بحمد الله ما انهدم منه ركن إذ كان له حافظ يحفظه.

(1) الرّمس: القبر.

حرير أو كتان أو قطن، فالثوب جنس واختلاف أنواعه تقسيم. وأمّا المقوّم فكالنطق للإنسان، والصهيل للفرس، وما أشبه ذلك.

ونـــدرك منها فـي كـمـال وجودنـا كما يدرك الخفاش من باهر الشمس

أي: أدركنا منها على قدر نورنا(1).

فــلـلّـه مــن نـــور أتـتـه رسـالـة تصان عن التخمين والظن والحدْس

أي: هي عند الله تعالى، ولا يشوبها شيء.

أتـانـا بـهـا والـقـلـب ظـمـآن تائق إلى الملأ الأعلى إلى حضرة القدس

أي: أتانا بها على حاجة وتشوّق منا وشوق.

فجـاء ولـم تحفـل بيـوت كثيـرة فخاطبها من حضرة النعل والكرسي

أي: جاء ولم تحفل به نفوس كثيرة ممّن هي معه في زمانه، لأنّ كل نفس هي مهيّأة لهذا المقام، ولكن لم يدركه غيره، ولهذا قدحوا فيه، فلمّا علّمهم خط الرّمل عرفوا حينئذ بالدليل أنه هو الرّئيس(2).

أنا البعل والعِرْسُ الكريم رسالتي فـلـلّـه مـن بـعـل ولله مـن عِـرس

أي: رسالتي هي زوجتي، وهي مشبّهة بالشمس. كما أنّ الشمس لا شك فيها، فكذلك رسالتي لا شك فيها من النور والوضوح. وما طلب من الناس إلا أن يقولوا: «لا إله إلا الله» فقط، وهم الذين سمّاهم الله: «عادًا الأُولى». ونسبة المرتبة التي هي الرسالة بالزوجة لأنه لمّا اتصلت به حصل الاتصال والالتحام، فلهذا قال: «فناهيك من بعل وناهيك من عِرس».

غـرَسـتُ لكم غصن الأمـانـة يانعا وإنـي لجاني بـعـده ثمر الـغـرْس

يريـد مـا أمرهـم بـه مـن الأعمـال المنتجة للعلـوم من قولـه تعالـى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: 282]، والأمانة هي نفس العمل.

تـولّـعــتُ بالتبليغ لـمّـا تبيّنتْ أمور ترقيني عن الإنس والأُنس

(1) الخفاش: الوطواط، وهو لا يبصر في النور. والمعنى أنّه لا مجال للفكر في الذات العليّة.

(2) خط الرّمل علم إدريسي عتيق تُعرف به المناسبات بين البروج الفلكية والحوادث الواقعة في الأرض. والعدد 12 هو عدد هذه الأبيات على عدد البروج.

أي: تولّعت بالتبليغ لمّا رأيتُ انه أفضل الأعمال، وهو أخصّ أوصاف الرسل التبليغ عن الله تعالى، وما عدا هذا الوصف فإنه يشارَك فيه، والأمور التي ترقّيه عن الإنس و(عن) الأُنس بهم هي معرفته بأمور التبليغ.

ورُحتُ وقد أبدتْ بُروقي وميضها وجُزت بحار الغيب في مَرْكب الحس

«الوميض»: اللمعان، أي زمان إقامته بهذا الهيكل، فيه قطع بحار الغيوب، فإنه إذا فارقه صار الغيب في حقه شهادة.

ونمتُ وما نامت جفوني غديّة[1] وتهتُ بلا تيه على الجنّ والإنس

قوله: «تهت»: أي حرت بلا تيه، أي بلا عجب. وقوله «على الجنّ والإنس»: أي في الجن والإنس، قال: فحرت فيهما[2].

فيا نفس هذا الحق لاح وجوده فإيّاكِ والإنكار يا نفسُ يا نفسي

أي: المقام قد فُصِّل لك ذوقا، فإيّاك وإنكاره على من يدّعيه.

قال السالك:

ثم افترّ[3] عن وميض برق شقّ به دُجنّة الفرق

أي: تبسّم، أي تكلم بعلم مثل لمعان النور، فشبّهه ببياض بريق الأسنان. وقوله «شق به دجنة الفرق»: ودجنة الفرق هو كل شيء أدّى إلى التمييز، ولا يقع إلا بين اثنين فصاعدا في عالم التركيب[4].

---

(1) غديّة: ما بين الفجر وطلوع الشمس.

(2) الجنّ عبارة عن عوالم اللطافة، والإنس عبارة عن عوالم الكثافة. ومن أخص العلوم الإدريسية الكيمياء بمختلف مستوياتها الإلهية والروحانية والنفسية والطبيعية والمادّية، ومن أهمّ أقسامها تلطيف الكثيف وتكثيف اللطيف، كتروحن الأجسام- كما حصل لإدريس -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- حتى ارتفع بجسمه إلى الفلك الشمسي القطبي- وكتجسّد الأرواح كظهور جبريل -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- في صورة الصحابي دحية -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-.

(3) أي افترّ ثغر إدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

(4) يشير هنا مرّة أخرى إلى التطابق بين المقام الإدريسي الشمسي ومرتبة الشيخ الأكبر في الولاية.

وقال: كيف رأيت أيها السالك؟ أردت أن أعرب لك عن ماهيّتي، وأغرب عليك بجميع هويّتي.

«أعرب»: أي أبيّن. و«ماهيتي»: حقيقتي. «وأغرب»: أي آتي بأمر غريب. قوله «بجميع هويتي»: أريك الغيب في الشهادة، مثل قوله: (اعبد الله كأنك تراه)[1].

رأيتَ أيها السالك كيف فنيت الأغيار، وطُمست الأنوار، وسرحت الأفكار، ونمت الأنهار، ونمّت الأزهار، وتبيّنت حقيقة الاصطلام، وأشرقت أرض الأجسام.

قوله: «فنيت الأغيار»: أي بطلوع الشمس فنيت الظلم التي هي غير الله. قوله «وطمست الأنوار»: أي ما اندرج فيها من نور الكواكب، فهي علم عامّ يتضمّن جميع العلوم، ولهذا قال بعض السادة: (ما ظنك بعلم عِلمُ العلماء فيه تهمة)، أي يقولون: بالنسبة إليه ما نحن عالمون، فيتهمون أنفسهم في علمهم. قوله: «وسرحت الأفكار»: أي لأنها سرحت من التقييد بالمقدّمات التي تنتج العلوم بما حصل لها من الانكشاف التي استراحت به من فكرها. قوله «ونمت الأنهار»: أي زادت المعارف الواسعة. قوله «ونمّت الأزهار»: أي أظهرت ما فيها بروائحها. وقوله «وتبيّنت حقيقة الاصطلام»: أي نار الوجد الذي يجده أهل الله تعالى، فإنها من هذه المرتبة. قوله «وأشرقت أرض الأجسام»: أي بظهور المعارف الحِسّية ظاهرا.

دللت على البقاء، وصرت محلّ الارتقاء، إلى وجود اللقاء.

قوله: «دللت على البقاء»: يريد الثبات، لأنه منزلة القطب، والقطب عبارة عن الثبوت، والمقامات تدور عليه وهو لا يبرح، ويضاهيه في الإنسان القلب. قوله «وصرت محلّ الارتقاء»: أي كارتقاء الخطوط من نقطة الدائرة إليه، كذلك القوى كلها مهما أخذت ارتقيت به إلى القلب: فالبصر يؤدّي إليه المبصَرات، وهكذا كل قوة من القوى تؤدي إليه.

أنا أسدّ دليل، على أوضح سبيل، لا يُقضَى عليّ، ولا يُنتهى إليّ.

أي أنا أوضح دليل على ثبوت الحق تعالى، أي ظهرت فيكم كصورة الحق، وقمت فيكم مقامه، لأنه تعالى يقول: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ۝٥٣﴾ [الشورى: 53]، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ

(1) الحديث أخرجه البخاري ومسلم.

ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: 123]، فأنا مع العالم كالعالم مع الحق. قوله «لا يقضي عليّ ولا ينتهي إليّ»: أي لأني قمت مقام الحق، فهو يَقضِي ولا يُقضىَ عليه، لأنّ الكل يرجع إليه. قوله «ولا يُنتهَى إليّ»: أي إنما تنتهي إليّ الخطوط من حيث هي، لا من حيث هي حقيقتي. فالذي يعرفه مني البصر، لا يعرفه السمع، ولا يعرفه الشمّ، فكل واحد منهم لا يعرف منه سوى ما جاء به هو، فلا يقدر يخاطب بما ليس هو عليه، فكلٌّ منهم مقيّد بوصفه، وهو ليس كذلك لأنه هو البصير السميع، إلى غير ذلك. فالسمع يقول: «أسمع»، والبصر يقول: «أبصر»، إذ كل منهم لا يقدر أن يخرج عن حقيقته، ولا يرى منه سوى نفسه. وهكذا هو الإنسان مع الحق -سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ-، بل الحق -تعالى- أجلّ وأعظم. فسبحانه ما أعظم قوله: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات: 21].

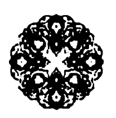
استويتُ على عرشي، واضطجعتُ على معالم فرشي.

قوله: «استويت على عرشي»: أي على مُلكي الذي ملّكني الله. «واضطجعت»: إشارة على الرّاحة. وقوله «معالم فرشي»: يريد بالمعالم موضع الأدلّة التي يعطيها الملك فلا يشك فيما يرى أو يسمع.

وصحّ لي مرادي، وحمدت عاقبة اعتقادي.

قال السالك:

فقنعتُ بما أفاد، ولو استزدته لزاد.



السّماء الخامسة

سماء الشرطة حيث سرّ روحانية هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السالك:

فاستفتح لي سماء الشرطة[1]، وقال لي: استفتحتَ سماء من أوتي في العلم بسطة[2]. فلما فتح لي بابها، اعترَضني بوّابها.

السماء الخامسة لهارون -عَلَيْهِ السَّلَامُ-. وقوله «سماء الشرطة»: لأنّ لها المرّيخ، وهو في الكواكب كالشحنة (الشَّحنة هي الجماعة التي يقيمها السلطان في البلد لضبطه) بيده السيف، وهو كان نجم النبي -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، فلذلك بُعث بالسيف، وكان في طالعه أيضا الزّهرة، فلذلك كان يحبّ النساء -ﷺ-. والمناسبة بين روحانية هارون -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وبين المريخ: الخلافة. فإنّ الخلافة تقتضي هرْق الدماء، وهارون كان خليفة موسى -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ-[3]. وقوله «اعترضني بوّابها»: أي روحانية الكوكب الذي فيها.

وقام إليّ حُجّابُها، ورُفع عن عيني حِجَابها، وقالوا: من الطارق؟ ومخترق هذه الطرائق؟ فقلت: ضيف ورد عن أمر صاحب المنزل، فلم يوجَد عن رَحْله بمعزل، وقطع الدوّ، واخترق الجوّ، وها هو قد حط رحله بفنائه، فمن المتكفل بتبليغ قدومه للحضرة

---

(1) أي رفيق السالك في معراجه.

(2) أي هارون -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لفصاحة لسانه وقوّة بيانه كما في قوله تعالى: ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ [القصص: 34].

(3) قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَـٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف: 142].

وإنهائه؟ ولولا ما نشأت ناشئة، وغشيت غاشية، أدّت إلى تحريك الحُوار، والاستظهار بالزّئير على الخُوار، ما قطعتُ هذه الأقطار.

قوله: «قطع الدّو»: أي المفازلات، و«الجوّ» معلوم. وقوله «نشأت ناشئة»: أي لولا ما طرأ أمر مزعج، أي إلى تحريك الحُوار، والحُوار ولد الناقة إذا مات فمسكت لبنها، وهم يريدون أن يحلبونها، أخذوا ولدها وسلخوه من جلده، وجاؤوا به على صورة ولدها ويحرّكوه، فإذا أبصرته الناقة درّت عليه، فأخذوا اللبن فانتفعوا به. والزئير صوت الأسد، أي استظهر من هو بمنزلة الأسد، لا ظهر به على من هو بمنزلة البقر[1].

فبادر صاحب شرطته الأحمر[2]، وقال: مرحبا بسيّدنا الأكبر[3]، أنا المتكفل بإنهائه، في حُلّة بهائه، وهل يُدّخر السهم السديد إلا ليوم النضال، أو تنتشر كتب جالينوس إلا لمعالجة الداء العضال[4]؟

ثم أدخلني عليه، وأقعدني بين يديه، فلمّا أبصرني أطلق محيّاه، وقال: حيّا الله السيّد وبيّاه. ثم قال لوزيره[5]: خاطبْه عني بلسان الصواب، وعرّفه بي بين الحكمة وفصل الخطاب، فجرّد الوزير عن ساعده الأشدّ، وضرب بلسانه أرنبة أنفه[6] وأنشد:

---

(1) الخوار: هو صوت العجل والبقرة والغنم. ويلاحظ أنّ في العبارات المستعملة في هذه السماء شدّة وبأس، وذلك لأنّها مخصوصة بالأمور ذات البأس كالحروب والفتن، والاسم المتوجّه على إيجادها هو «القاهر» حسبما ذكره الشيخ في الفصل 23 من الباب 198.

(2) الأحمر هو اسم كوكب المريخ في هذه السماء، والمعدن المناسب لها هو الحديد، كما أنّ المعدن المناسب للشمس هو الذهب، وللقمر الفضة، وللزهرة النحاس.

(3) ربّما يكون في هذا التشريف: «سيدنا الأكبر» تلويح إلى اللقب الذي سيشتهر به بعد وفاته، أي: الشيخ الأكبر.

(4) جالينوس هو من أشهر الأطباء اليونانيين عند أطبّاء العرب، عاش في القرن الثاني قبل الميلاد، وله اكتشافات في التشريح.

(5) أي أنّ صاحب الشرطة -وهو روحانية المريخ- أدخل السالك على هارون -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-، ووزيره هو مُقدَّم ملائكة هذه السماء.

(6) أرنبة أنفه: أي طرف أنفه، وضربها بلسانه كناية عن تهيّئه لحسن الخطاب.

هـذا الخليفة هـذا السـيّد العَلَم   هـذا المقام وهـذا الرّكـن والحَـرَم

هـاذي اليمين قـد امـتدّت لبيعتها   فيـا أئـمـة هــدي الله فاسـتـلموا

قوله: «هذا المقام»: أي مقام إبراهيم للأمن. وقوله «الرّكن»: لشرفه وهو موضع المبايعة، «والحرم»: لتحجيره ووجوده الأمن فيه.

ســاد الأنــام ولـم تـظهـر سيـادتـه   لمّا بـدا العجل للأبصار والصنم

أي لم تظهر سيادته كما ظهرت سيادة يحيى -عَلَيْهِ‌السَّلَامُ- بالنص وهو سيّد في المعنى، وهو إشارة إلى ما عمل به موسى -عَلَيْهِ‌السَّلَامُ- وأخذه برأسه، فلم يُذهب ذلك سيادته، وذلك في قضية العجل.

مـا زال يدعـو قُوَيْمًـا همّهـم أبـدا   فـي نيل مـا ناله موسـى ومـا علموا

صغّر القوم لقلتهم. وقوله «همّهم نيل ما ناله موسى»: أي طلبهم الرؤية، وطلب موسى العيان وهو لمّا نظر إلى الجبل[1]

أنّ العيـان حـرام كلمـا نظـرت   عيـن البصيـرة شـيئا ذاتـه العـدم

أي شرط من طلب الحق أنْ يتّحِد إليه: أن لا ينظر إلى الخلق. وما رجع موسى -عَلَيْهِ‌السَّلَامُ- إلى رؤية الجبل إلا امتثالا لأمر ربّه، فلذلك قال «شيئا ذاته عدم». أي لا يرى الحق من نظر إلى غيره. وكذلك هو محقق أنه لا يرى الحق من نظر إلى الخلق. وانظر لمّا كان الجبل حجابا، فلمّا تدكدك الجبل الذي هو حجاب، بقي التجلي بلا حجاب، فرآه موسى فصعق كما صعق الجبل، وقامت فيه علامة الرّؤية التي قامت في الجبل[2]. فاعلم.

---

(1) قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾ [النساء: 153].

(2) أوضح الشيخ هذه المسألة في حواره مع موسى -عَلَيْهِ‌السَّلَامُ- في السماء السادسة خلال معراجه الذي وصفه في الباب 367 فقال: (قلت: فإن رسول الله -ﷺ- شك في أمرك إذا وجدك في يوم البعث، فلا يدري أجوزيت بصعقة الطور فلم تصعق في نفخة الصعق، فإنّ نفخة الصعق ما تعمّ؟ فقال: صدقت كذلك كان، جازاني الله بصعقة الطور، فما رأيته تعالى حتى متّ، ثم أفقت فعلمت من رأيت، ولذلك قلت: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: 143]، فإني ما رجعت إلا إليه. فقلت: أنت من=

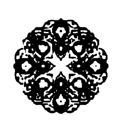
هذا الخليفة العليّ، المنيع السنيّ، سقاه كأس الذلّ، من آوى إلى الظل[1]، فناداه بذات الرّحِم وقد علم أنه ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: 43]، فسوّى بينهما في النور والضياء، وتبرّزا في صدور الخلفاء، فما هلك امرؤ عرف قدره، ولا حُمِد نورُ شمس لم يُنِر بدرُه.

قوله: «ولا حُمد نور شمس لم ينر بدره»: أي تعدّى المنفعة.

قال السالك:

فالتقطت من شذوره، واقتبست من نوره، وأزال غاشيتي على ما أعطاه الحال، وأخذت في الترحال.

قوله: «شذوره»[2]: أي قِطَع كلامه، وقوله «وأزال غاشيتي»: أي ما تقدّم ذكره.



= جملة العلماء بالله، فما كانت رؤية الله عندك حين سألته إيّاها؟ فقال: واجبة وجوبا عقليّا. قلت: فيماذا اختصصت به دون غيرك؟ قال: كنت أراه وما كنت أعلم أنه هو. فلمّا اختلف عليّ الموطن ورأيته علمت مَن رأيت، فلمّا أفقت ما انحجبت، واستصحبتني رؤيته إلى أبد الأبد. فهذا الفرق بيننا وبين المحجوبين عن علمهم بما يرونه، فإذا ماتوا رأوا الحق فميّزه لهم الموطن. فلو رُدّوا لقالوا مثل ما قلنا. قلت: فلو كان الموت موطن رؤيته لرآه كل ميّت، وقد وصفهم الله بالحجاب عن رؤيته؟ قال: نعم هم المحجوبون عن العلم به أنه هو؛ وإذا كان في نفسك لقاء شخص لست تعرفه بعينه وأنت طالب له من اسمه، وحاجتك إليه، فلقيته وسلمت عليه وسلم عليك في جملة من لقيت ولم يتعرّف إليك، فقد رَأيته وما رَأيته، فلا تزال طالبا له وهو بحيث تراه. فلا معوّل إلا على العلم، ولهذا قلنا في العلم إنه عين ذاته، إذ لو لم يكن عين ذاته لكان المعوّل عليه غير إله، ولا معوّل إلا على العلم. قلت: إنّ الله دلك على الجبل، وذكر عن نفسه أنه تجلى للجبل؟ فقال: لا يثبت شيء لتجليه، فلا بد من تغيّر الحال، فكان الدكّ للجبل كالصعق لموسى. يقول موسى: فالذي دكّه أصعقني).

(1) موسى هو من آوى إلى الظلّ، قال تعالى عنه: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ [القصص: 24]. ونادى هارون موسى بذات الرحم في قوله: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ [طه: 94].

(2) شذور: جمع شذرة وهي اللؤلؤ الصغير.

السّماء السادسة

سماء القُضاة، حيث سرّ روحانية موسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-

سمعت الشيخ يقول: وهي حارّة رطبة: طبع الحياة، ليس في السماوات أعدل منها[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السالك:

فاستفتح لي رسول الإلهام[2]، سماء الكلام، فرأيت سرّ روحانية موسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-.

قوله: «سرّ روحانية موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»: أراد بالسرّ ما حصل منه.

فبادرته مسلِّما، وقعدتُ بين يديه مستسلما، وعلى رأسه شيخ جميل، ليس بالقصير ولا بالطويل.

يريد بالشيخ روحانية المشتري.

فقال لي: هذا الشيخ هو قاضي القضاة، ورئيس الوُلاة، وإليه ترجع أحكام السماوات، وقد أتى إليّ في نازلة عميت عليه، وأنا الآن أودعها لديه، فخذ حظك منها، واعلم أنك مسؤول عنها.

قال إسماعيل -رفق الله به-: سألت شيخي وإمامي -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- عند قوله «وأتاني في نازلة عميت عليه»، فقلت: أيّ الروحانيتين تؤثر في الأخرى؟ فقال -أيّده الله تعالى-: روحانية موسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- تؤثر فيه من حيث روحانيته، وهو يؤثر في جسم موسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-. وكذلك حُكم النبي -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- مع آدم وجميع النبيين -عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ-: هو المؤثر فيهم بحقيقته، وكان آدم مؤثِّرا في النبي -عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ- من حيث جسمانيته. وإذا رأينا روح نبيّ قد عاد بعد الموت إلى فلك مّا، تحققنا أنه رجع

(1) الاسم المتوجّه على إيجاد هذه السماء هو: «العليم» حسبما ذكره الشيخ في الباب 198.

(2) وهو نفس رسول التوفيق المرافق للسالك في معراجه.

إلى أصله الذي كان له أوّلا، وكانت روحانيات ذلك الفلك مستمدّة من روحانية هذا النبي، ولذلك قَبِل جسدُ ذلك النبي أثر هذا الكوكب في ظاهره. وجميع الرّوحانيات فإنما أخذت موادّها عن الأرواح الإنسانية.

ثمّ صرف وجهه إليه وقال: أيها القاضي لخِّص سؤالك في أوجز عبارة، واقنع في الجواب بأدنى إشارة.

قال القاضي: سأل العبدُ الذليل الأدنى سيّده العزيز الأسنى، هل يصح فناء الاسم مع بقاء الرّسم؟

قوله: «هل يصحّ فناء الاسم مع بقاء الرسم؟» قال إسماعيل: سمعت شيخي وإمامي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يقول: أجْمَعْنا كلنا على بقاء الرّسم، واختلفنا في فناء الاسم، وهو عبارة عن ملاحظة وجوده الذي به يُعرَف اسمه، لأنّ الاسم هاهنا هو المسمّى. فإنْ كان التجلي شمسي لم يفن الاسم، فمن شاهده في هذا التجلي قال ببقاء الاسم مع الرّسم؛ ومن شاهده في غير هذا المشهد النوري من المشاهد التي تفني الاسم حال فناء الرسم. فعلى الحقيقة لم يختلفوا، إذ كل واحد قال: ما أشهد؟ إذ الخلاف في هذا الطريق لا يُتصوّر. وكان موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- في مقام مَن لم يفنَ عن اسمه. وإنما كان مشهد القمر يعطي الفناء لكونه محو في حقيقته، فمِن شأنه أن يمحو. والشمس نورها حقيقي، ومن شأن النور أنْ يَظهر ويُظهر، فلذلك كان البقاء لتجليها. وانظر إلى قوله -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: (كما ترون القمر ليلة البدر)[1]، فذكر الليلة، إذ هي محلّ المحو، ومحلّ القمر المحو، فلو زال النور لبقي محو في محو.

فقال له الإمام[2]: ألم تعلم أيها القاضي أنّ كلّ مخلوق مجبور؟ فكيف يحيط بالحقيقة محصور؟ العارف كلامه مُغْرب، وبَعْثُه بالمغرب، والوارث كلامه مُشرق، وبعثه بالمَغرب والمَشرق.

قوله: «العارف بعْثه بالمغرب»: أي لا يتكلم إلا في الأسرار؛ والوارث يتكلم مع أهل الأسرار بالأسرار، ومع أهل الأنوار بالأنوار، لأنّ الوارث مع نفسه وجسمه فله

---

(1) الحديث أخرجه مسلم وابو داود والترمذي واللفظ له.

(2) أي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المغارب والمشارق، وللعارف المغاربِ فقط، كما للفقيه المشارق فقط، فاعلم. ولذلك قال: «الوارث كلامه مشرق، وبعثه بالمغرب والمشرق».

فالمحمّدي يُعْري الأسـرار، ويكسو الأسـوار، وقلبه بالحقيقة مغمور، وبشاهد الطريقة عليه مستور.

قوله: «يعري الأسرار»: أي الدعاوي ليس محلها الأجسام، أي محلها الأرواح، فيعرّيها من ذلك بأنّ العمل ليس لها، وإنما هو دعوى بحجاب. وقوله «يكسو الأسوار»: أي يُثبت الفعل ظاهرا بلسان السُّنة، كما نفاها باطنا بلسان الحقيقة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17]، فعرّاه من الرّمي باطنا، وكساه ظاهرا.

وشاهد الطريقة عليه مشهور، جُرّد عن الغير، وأوضِح له المراد فجدّ في السّيْر، فشاهد من ذاته ذاته، ومن صفاته صفاته، ومن أفعاله أسماءه، ومن أرضه سماءه، ثم فني عنه بالكلية، واستوت على عرشه صفات الإلهية.

قوله: «جُرّد عن الغير»: أي عن نفسه ومَن سواه مِن الكون. وقوله: «فشاهد ذاته من ذاته»: أي من عبوديته ذات الحق الغنيّة العزيزة، وكذلك من صفاته صفاته. قوله «ثم فني عنه بالكلية»: أي عن وجوده المحدَث، وذلك لمّا صيّره خليفة، فكان عرشا لمستوى الأسماء الإلهية، لأنه من كونه خليفة لا ينظر عبوديته بالكلية، بل يكون مع المرتبة، وإنْ كان يخلو في نفسه مع عبوديته بأسماء أخرى.

فصحّ هناك بقاء رسم العبوديّة. ومن هنا قال من قال: «إيّاك وإفشاء سرّ الربوبيّة»، أي إذا مُحي الوارث عن نفسه فلا فائدة له إلا قيامه من رَمْسه[1]، وفناؤه عن حركته وحسه، فإذا غرق في هذا البحر غرق في بحر المنّة، فوجب عليه إقامة الفرض والسنة.

فأقرّ القاضي بشفائه واعترف، وشكر على ما سمع وانصرف.

---

(1) قيامه من رمسه أي من قبره، أي يصبح مشاهدا قيامه بالله لله تعالى، كما قال النبي -ﷺ- في بعض خطبه: «فإنما نحن به وله» -أخرجه أبو داود في سننه-. وقوله «فناؤه عن حركته وحسه» أي لا يشهد فاعلا إلا الله تعالى، كما ورد في الدعاء النبوي: «يا حيّ يا قيّوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين» -رواه النسائي في «السنن الكبرى» وفي «عمل اليوم والليلة»، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «الأسماء والصفات»-. وبحر المنّة هو العطاء الإلهي الموهوب بلا حصر.

قال السالك:

ثم صرف إليّ وجهه[1]، وتلا عليّ قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: 148]، ثم قال: اعلم أنك قادم على ربّك، ليكشف لك عن سرّ قلبك،

قوله: «إنك قادم على ربك ليكشف لك عن سر قلبك»: أحال على رتبة خطابية، إذ كانت هذه الصفة هي أقوى حالة، ولذلك ردّد النبي -ﷺ- في الصلاة خاصة لمناسبتها أيضا للخطاب، من كون المصلي يناجي ربّه.

وينبّهك على أسرار كتابه، ويعطيك مفتاح قفل بابه، ليكمل ميراثك، ويصح انبعاثك، وهو حظك مِن: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠﴾، فلا تطمع في تخصيصك بشريعة ناسخة من عنده، ولا في إنزال كتاب، فقد أغلق ذلك الباب.

قوله: «فلا تطمع في تخصيصك بشريعة ناسخة من عنده»: أي نهاية الوليّ أن يُشرف على خطاب شريعة نبيّه، وتزول القدم من قدّامه، فتكون له درجة ميراث النبوّة في أخذ الشريعة التي هو عليها، لا شريعة ناسخة لها، فتبقى الشريعة عليه محفوظة، ويعلو سنده فيها، إذ كان محمد -ﷺ- لبنة الحائط، فكلّ دليل على مخالفته ساقط.

ثم أنت بعد حصولك في هذا المقام، وتحصيلك لِما نطق به صريف الأقلام، ترجع مبعوثا، وكما أنت وارث لا بد أن تكون موروثا، فعليك بالرّفق في تكليف الخلق، فإنّ حضرة الفرْق[2] ضعيفة عن حمل العهد، والوقوف عند الحدّ، فسلْ موْلاك، إذا ناجاك، وسل التخفيف عن رعيّتك في كلّ شيء، ما لم يقل: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [ق: 29]. فإذا سمعت هذا الجزم، فلا فائدة في الإلحاح في المسألة والعزم. واسأل العون، ما دمت مدبّر الكون، فقال والله ما أنهكتني المشقة، وقطع بي بُعد الشُّقة. وهذه وصيّتي فاعلم، دللتك بها على الطريق الأرفق فالزم[3].

---

(1) أي موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

(2) أي حضرة المخلوقات، خاصة الناس المكلّفون.

(3) هذه الوصية الموسوية للسالك مناسبة لوصيته للنبي-ﷺ- تخفيف عدد الصلوات من خمسين إلى خمسة، كما هو ثابت في قصة المعراج.

قال السالك:

والله يا سيدي لقد علمتُ أنّ المعارف لديك قد استقرّت، وحبائل الحقيقة إليك قد اسبطرّت[1]. فقال لي: ومَن لي بصدق هذا النطق؟ ولعلها دعوى بريّة من الحق. فقلت له: في نظمي، يتبيّن لك ما استقر في علمي. فقال: أنشِد حتى أعرف أين أنت، وأجيزك إن أعربت عن دعواك وبيّنت.

قال السالك:

فأنشدته:

السرّ ما بين إقراري وإنكاري   في المشتري لي وَهَمٌّ في المُدلِج السّاري

قوله: «السر ما بين إقراري وإنكاري»: أي البرزخ الذي بين الشيئين هو موضع الأسرار، إذ له وجه إلى الإقرار ووجه إلى الإنكار. فلو كان في الإقرار لما أنكر، أو في الإنكار لما أقرّ، ولكن السرّ أن يكون في مرتبة لا يملكه أحد الطرفين بالكلية، بل يملك الطرفين. وقوله «في المشتري»: لأنّ المشتري صاحب العلم، فلذلك ذكره. قوله «المدلج الساري»: يريد المعراج، إذ فيه رؤية الآيات وتحصيل العلم.

لِمْ لا تقول وقد أوْدعت سرّهما   أنا المعلِّم للأرواح أسراري

قوله: «لِمْ لا تقول»: الخطاب لموسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- صاحب هذا المعراج. وقوله «أودعت سرّهما»: أي سر الرّوحيْن الذيْن بينهما البرزخ.

أنا المُكلَّم من النار حَجبتُ به   نورا، فخاطبتُ ذات النور في النار

قوله: «أنا المكلم»: هذا على لسان الحق لمّا خاطب موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- في حاجته في النار، ولو كانت حاجته في غير النار لخاطبه فيها. وهنا يطرأ التلبيس على الإنسان لعلاقة يعرف بها خاطر الحق من خاطر نفسه.

أنا الذي أوجد الأكوان مظلمة   ولو نشاء لكانت ذات أنوار

قوله: «أوجد الأكوان مظلمة»: أي حقيقتها العدم. قوله «ولو نشاء لكانت ذات أنوار»: إنما هذا لتنبسط القدرة على المحالات، فتُظهر سعتُها عظمة إلهية، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾ [النحل: 9]، وما شاء ذلك أبدا، إنما المراد

(1) أي: امتدّت.

بذلك التوسّع، وهذا معهود حرف «لو»، فاعلم.

أنا الـذي أودع الأسـرار في شبح ... مجموعة لـم ينلها بـؤس أغيـار

أي تنزّهتْ عن تأثير الأغيار فيها، فلم يكن للغير فيها أثر، ولهذا نطق العارفون بالعلم الخاص، إذ لا يقبله إلا صاحبه.

يـا ضـاربـا بـعـصـاه صلد[1] رابـيـة ... شمس وبدر وأرض ذات أحجـار

أشار إلى ما يُعطي البدر من المدّ بوساطة نور الشمس.

فاعجب على شجر قاض على حجر ... وانظر إلى ضارب من خلف أستار

قوله: «ضارب من خلف أستار» يشير إلى مضاهاة النفخ من عيسى - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ -.

لقد ظهرتَ فما تخفى على أحد ... إلا على أحـد لا يـعـرف البـاري

قطعتُ شرقا وغـربـا كـيْ أنالكم ... على نجائب[2] في لـيـل وأسحار

فلم أجـد ولـم أسمع لكم خـبرا ... وكيف تسمع أذن خلـف أسوار

أم كيف أدرك من لا شـيء يشبهه ... لقد جهلتك إذ جـاوزت مقداري

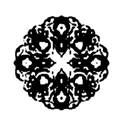
حَـجـبـتَ نفسك فـي إيـجـاد إنِّـيّة ... فأنت كالسرّ في روح ابنة القاري

قوله: «ابنة القاري»: أراد بها الخلق. و«حجبت نفسك»: أي تسترت بخلقك[3].

أنت الوحيد الذي ضاق الزمان به ... أنـت الـمـنـزّه عـن كـون وأقـطـار

قال السالك:

فالحمد لله الذي أقرّ عيني بما وهبك، وكشف لك عن الأسرار بما حجبك.



(1) أي الصلب اليابس.

(2) النجائب: هي النوق جمع ناقة.

(3) أي أنّ إنّيات المخلوقات- أي قول المخلوق أنا لا وجود لها ولا قيام لها إلا بالله تعالى الوجود الحق.

السماء السابعة

سماء الغاية[1]، حيث سرّ روحانية إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السالك:

فاستفتح لي الرّسول الجليل[2]، سماء الخليل، فرأيت سرّ روحانيته يدور، بالبيت المعمور، في غلائل النور.

السماء السابعة لإبراهيم -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-، إذ جاء أنه مستند إلى البيت المعمور، وهو على سطحها. وثَمّ «سدرة المنتهى» بين الكرسي وبين السماء السابعة. وجميع الكواكب من فروع السدرة كالثمر في الشجرة. قوله «فرأيت سر روحانيته تدور بالبيت المعمور»: أي يضاهي الطائفين.

فسلّم ورحّب، وبالغ في الإكرام وأسهب. فقلت له: يا أخا القِرَى، ومُنادي أبنائه بأمّ القُرى[3]، نبّهني على ماهيّة أمن مقامك الأجلى. فقال: عليك بالنجم إذا هوى. فقلت: له فأين حظي من ذاتك؟ قال: في إيثارك بأقواتك.

قوله: «في النجم إذا هوى»: أي نظري في الأدلّة، لأنه لمّا أفل النجم استدلّ على أنه ليس بإله، فكمل برهانه النظري. وقوله «في إيثارك بأقواتك»: أي الجود مقامي، به نلت ما نلت.

ألم تعلم يا بنيّ أنه لولا الجود ما ظهر الوجود، ولولا الكرم ما لاحت الحِكم، ولولا

---

(1) سمّاها الشيخ «سماء الغاية» لأنها هي أعلى السماوات السبع ومحيطة بها.

(2) هو رسول التوفيق رفيق السالك في هذا المعراج.

(3) أمّ القرى: مكة المكرّمة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۝٢٦ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧﴾ [الحج: 26/ 27].

الإيثار ما بدت الأسرار.

قال السالك:

فقلت له: أريد الدخول إلى البيت المعمور، والمقام المشهور، قال: له شروط في الكتاب المسطور، في الرّقّ المنشور[1]. قلت: أوقفني عليه، حتى أنظر إليه.

قال السالك:

فدعا بكيوان الغاية، عند أهل الولاية، ما عَدا الولاية المحمديّة. والمقامات الصدِّيقية. وهذا كيوان صاحب خزانته، وقابض جبايته.

قوله: «فدعا كيوان الغاية»: أي «زحل» هو منتهى الدّرَاري السبعة.

فأقبل مسرعا، ووقف بين يديه مقنِعا، وقال له: افتح خزائن النور، وجئني بالكتاب المسطور. قال: فأقبل به من حينه، وقال: أعطه له بيمينه ففضضتُ ختامه، وتصفحتُ سطوره وأقلامه، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إله إلا الله محمّد رسول الله

هذا بيت الحق، ومقعد الصدق، ومنبع الجمع والفرْق، وسرّ الغرب والشرق، وهو حرام، على كل صاحب مقام، إلا على من دنا من الرّفيق الأعلى،

قوله: «وهو حرام على كل صاحب مقام»: يشير إلى المقام المحمّديّ المطلق بقوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ﴾ [الأحزاب: 13]، فهو يسري في الأشياء ولا تسري فيه. قوله «إلا على من دنا»: يشير إلى المقام المحمدي[2] الذي لا مقام له.

---

(1) قرن الشيخ البيت المعمور بالكتاب المسطور والرق المنشور لاقترانهم في بداية سورة الطور: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤﴾ [الطور: 1/ 4].

(2) الوارث المحمدي الكامل هو من أهل يثرب، أي من الذين استوعبوا جميع المقامات وتخلصوا من الانحصار فيها، وهذا الاصطلاح مستنبط من تأويل إشاري -لا تفسيري- للآية: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ﴾.

وقد ذكر الشيخ الأكبر في عدّة أبواب من الفتوحات هذا المقام المحمدي، منها الباب 462 حيث يقول فيه ما خلاصته: =

= «اليثربيُّ الذي لا نعتَ يضبطُهُ ولا مقامٌ ولا حالٌ يُعيِّنُهُ
مُرخَى العِنانِ، على الإطلاقِ نشأتُهُ قامت، فلا أحدٌ مِنّا يُبَيِّنُهُ
مَنْ قال إنَّ له نَعْتاً فليسَ لَهُ عِلْمٌ به عندما يبدو مُكَوِّنُهُ
فَعِلْمُنا إنْ عَلِمْنَاهُ يُشيرُ بِهِ وجَهْلُنا هو في علمي يُزَيِّنُهُ
فالأقطابُ المحمَّديون هم الذين ورثوا محمداً -ﷺ- فيما اختصَّ به من الشرائع والأحوال ممّا لم يكن في رسولٍ تَقَدَّمه. وليس أعمّ في الاختصاص من عدم التقييد بمقامٍ يتميَّز به، فما يتميّز المحمديّ إلا بأنه لا مقام له بتعيّن، فمقامه: «أنْ لا مقام».
ومعنى ذلك أنّ الإنسان قد تغلبُ عليه حالته فلا يُعرَف إلا بها فيُنسب إليها، والمحمديُّ نسبةُ المقاماتِ إليه نسبة الأسماء إلى «الله»، فلا يتعيّن في مقام يُنسب إليه، بل هو في كل نفس وفي كل زمان وفي كل حال بصورة ما يقتضيه ذلك النفس أو الزمان أو الحال، فلا يستمرُّ تقيُّدُهُ؛ فإنَّ الأحكام الإلهية تختلف في كل زمان فيختلف باختلافها، فإنه -عَزَّوَجَلَّ- ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾، فكذلك المحمدي.
فالقطبُ المحمَّدي أو المفرِّد، هو الذي يتقلَّب مع الأنفاسِ علماً كما يتقلَّبُ معها حالاً، كلُّ واحدٍ من خلق الله. فما زاد هذا الرجل إلا بالعلم بما يتقلَّبُ فيه وعليه، فإنَّ التقلُّبَ أمرٌ يسري في العالم كله وفيه، وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ذلك على التفصيلِ والتعيين، وإن علموه على الإجمال، فمنازلهم على قدر علمِهم فيما يتقلَّبون فيه وعليه» انتهى.
وفي الباب (194) وهو في معرفة المكان يقول ما خلاصته:
«نفيُ المقامِ هُوَ المكانُ وإنَّهُ لِليَثْرِبيِّ بسورةِ الأحزابِ
اعلم أنَّ عبور المقامات والأحوال هو مِنْ خصائص المحمّديين، ولا يكونُ إلا لأهلِ الأدب، جلساء الحق على بساط الهيبة، مع الأنس الدائم، لأصحابِهِ الاعتدالُ والثباتُ والسكونُ، غير أنَّ لهم سرعة الحركات في الباطن في كل نفس، فـ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾، إن تجلى لهم الحق في صورة محدودة أطرقوا، فرأوه في إطراقهم مُقلَّباً أحوالهم على غير الصورة التي تجلَّى لهم فيها، فأورثهم الإطراق، فهم بين تقييدٍ وإطلاقٍ، لا مقامَ يحكمُ عليهم، فإنَّه ما ثمّ. فهم أصحابُ مكانٍ في بساط النشأة، وهم أصحابُ مكانةٍ في عدم القرار، فهم مِنْ حيث مكانتُهم متنوّعون، ومِنْ حيث مكانهم ثابتون، فهم بالذات في مكانهم، وهم بالأسماءِ الإلهيةِ في مكانتهم، فَمِنَ الأسماءِ لهم المقام المحمود، والمكانة الزلفى في اليوم المشهود، والزَّوْرِ والوفود، ومِنَ الذات لهم المكانُ المحدود، والمعنى المقصود، والثبات على الشهود، وحالة الوجود، ورؤيته =

فتدلّى على المقام الأجلى، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: 9]، مقام محمود للمحمّديّ المجتبى، ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [النجم: 10]، ففهم عنه به صريح المعنى، ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١﴾ [النجم: 11]، من حقائق القرب في الإسرا. ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ [النجم: 13]، وآدم بين الطين والماء مسوّى، ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤﴾ [النجم: 14]، حيث تجتمع البداية والانتها، الأزل والوقت والأبد سَوا، ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥﴾ [النجم: 15]، مستقر الواصلين الأحيا، لمّا شاهدوا الذات آوَاهم بجنة الصفات عن الورى.

قوله: «أوَاهم بجنة الصفات»: أي سترهم بالصفات.

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦﴾ [النجم: 16]، من طرف الأسرار والتنزه في العُلى، [ما زاغ البصر -لغيره- وما طغى]، وكيف يزيغ لعدم لا يُرى.

قوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النجم: 17]: أي ما مال إلى الغير، وما ترك الميل تكبّرا على الغير، إنما شُغله بربّه حالَ بينه وبين الغير، فلهذا قال: «وما طغى» أي ما طغى زيغه، إذ كان الزيغ شُغل بربّه، لا زيغ تكبّر.

فتوسّط الكرسي، وأمدّ العلويّ والسفلي، فظهرت القدَمان بظهوره.

يشير بالتوسط والإمداد إلى صاحب المقام المحمّدي، إذ كل واحد في المقام الواحد، إلا المحمدي الجامع.

وأشرقت الأرض بنوره. فاستمسكت الملائكة بالقدم الواحدة، واستمسك العارفون بالقدمين الغائبة والشاهدة.

= في كل موجود، في سكون وخمود، يشهدونه في العماء، بالعين التي يشهدونه بها في الاستواء، بالعين التي يشهدونه بها في السماء الدنيا، بالعين التي يشهدونه بها في الأرض، بالعين التي يشهدونه بها في المعيّة، بالعين التي يشهدونه بها في ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾. وهذا كلّه مِنْ نعوت المكان. وأمّا شهودُهُم من حيث المكانة، فتختلف عيونُهم باختلاف النسب، فالعين التي يشهدونه بها في كذا، ليست العين التي يشهدونه بها في أمرٍ آخرَ، والمشهود في عين واحدة، والشاهد من عين واحدة، والنظرة تختلف باختلاف المنظور إليه، فمنا مَنْ يرى اختلاف النظر لاختلاف المنظور، ومنا مَنْ يرى اختلاف المنظور لاختلاف النظر، وكلّ له شرب معلوم.

يشير بـ«الغائبة والشاهدة» إلى الظاهر والباطن[1].

﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: 27]، من أعلى الاستواء، إلى مركز النون[2]. فامتحق سرّ وجودهم عند مشاهدة موجِدهم، فكستهم هيبة الذات، وغرقوا في بحور اللذات، ولم يُبق لهم -سبحانه- بتجليه من رسوم الصفات، إلا خفيّ إشارات.

قوله: «خفي إشارات»: أي هذا القدر الذي يقبل ما يرد عليهم من العلم.

فأرواح الوارثين في المشاهدة سَوا، وكما هم اليوم كذلك يكونون غدا، غير أنّ مشاهدتهم في دار التركيب لها انفصال وانصرام، وفي مقام دون مقام، ومشاهدتهم هنالك على الدوام.

يشير إلى أنّ المزاج يعطيهم هاهنا الغفلة، وأمّا في تلك الدار فلا غفلة عندهم.

فالانتقال في حق الأرواح، والحشر في حق الأشباح. حشر الأجسام من دار التكليف إلى دار الانفعال، وحشر الأرواح من مقام الجلال إلى مقام الجمال، حتى إلى «ما لا يقال»، وهناك لا يجوز الانتقال.

قوله: «هنالك لا يصح الانتقال»: أي في المشاهدة الذاتية، لأنه لا يزال ينتهي إلى أن ينتهي إلى الله تعالى الذي ليس وراءه مرمى، فهو تجلي ذاتي.

فمن حصل في هذا المقام، فليس دخول البيت عليه حرام، والسلام على من وقف على قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: 13].

قال السالك:

(1) أي للملائكة عوالم اللطافة والملكوت، والعارفون جامعون لعوالم اللطافة والكثافة، والمُلك والملكوت.

(2) أي من أعلى العرش إلى مركز أسفل مرتبة في العالم.

فقلت له[1]: يا أبا الإسلام[2]، ومؤلِّف الجزئيات[3]، ويا عالِم ملكوت الأرض والسماوات[4]، جهلتَ أمري، ووضعت من قدري، وأنا أنبّهك عليّ بغريب نظمي، وعجيب نثري:

مُذ حلّ كاتبُ حبّ الله في خَلَدي   وخط سطرا من الأشواق في كبدي

أراد بالتنبيه في هذا النظم أن يبيّن أنّ مقامه المحبّة الشاهدة له أنه على قلب مُوَرّثه خاتم النبيين -ﷺ- وحبيب رب العالمين، وأنّ مقام الرّوحانية المخاطبة له إنما هو مقام الخُلّة.

ذبت اشتياقا ووجدا في في محبّته   فآه من طول شوقي، آه من كمدي
يا غاية السّؤْل والمأمول يا سندي   شوقي إليك شديد لا إلى أحد
يدي وضعتُ على قلبي مخافة أنْ   يشق صدري لمّا خانني جَلَدي
ما زال يرفعها طوْرًا ويخفضها   حتى جعلت اليد الأخرى تشدّ يدي
مرّ الفؤادُ على الترْكيب مرتحلا   إلى الحبيب الذي يُفنى وليس يَدي[5]
ما زلت أطلبه وُجدا وأندبه   بعبرة حيّرتها زَفرة الخَلَد[6]
حتى سمعت نداء الحق من قِبَلي   من كان عندي لم ينظر إلى أحد

---

(1) المتكلم هنا المخاطِب لإبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ليس لسان شخصية السالك، وإنما هو لسان الحضرة المحمّديّة المخصوصة بأعلى درجات المحبوبية الممدّة لمقام الخلّة الإبراهيمية وغيرها.

(2) لقوله تعالى عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: 78].

(3) يشير إلى الآية 260 من البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾.

(4) يشير إلى الآية 75من سورة الأنعام: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

(5) ليس يدي: لا يدفع ديّة القتيل.

(6) الخلد: الجَنان.

فمُتْ بوَجْدك أو مُتْ إنْ تشأ طربًا ... فإنّ قلبك لا يَلْوي على الجسد
فقلتُ والشوق يطويني وينشرني ... وصِحتُ من شدّة الأفراح: واكَبدي
لمّا شاهدتك يا من لا شبيه له ... لا فرق عندي بين الغيّ والرّشد
فالنفس تعرفه علمًا، وتبصره ... عينًا، وتشهده في الوقت والأبد
مَن عاين الذات لم ينظر إلى صفة ... فإنّ فيها حجابَ الضيف بالصّفد[1]

قوله: «من عاين الذات لم ينظر إلى أحد»: أشار بذلك إلى وجود الغير، فإنه بالنظر إلى الغير في محلّ وجوده كان ذلك الغير كالضيف النازل عليه، فاحتاج إلى أنْ يقوم بقِرَاه، فأشار إلى أنّ المحمّديّ في مقام الذات، والإبرَاهيمي في مقام رؤية الأغيار، فلهذا كان أوّل من سنّ القِرَى.

قال السالك:

فقال لي: أنا المراد بهذا الحجاب، وإلى الأحباب فتحتُ الأبواب. فقلت له: أين الخلّة من المحبّة، وأين الصحبة من القربة، كم بين من يقول: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۝٨٤﴾ [طه: 184]، وبين من يقال له: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾ [الضحى: 5]، كم بين من يقول: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٢٥﴾ [طه: 25] وبين من يقال له: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح: 1].

قال السالك:

ثم قلت: ما ظنك بنهايةٍ هذه بدايتها، وأسرارٍ هذه علانيتها، وأين أنت من قولي بشاهد فعلي:

إلهي ومولاي تمازجَ سرُّكم ... بسرّيَ يا سُؤْلي فعنك أترجمُ
بكُم أبصر الأشياء غيبا وشاهدا ... بكم أسمع النجوى، بكم أتكلمُ

أو أين مقام الأذكار، من فناء الأفكار، وعدم الأسرار، وطموس الأنوار:

بذكر الله تُغْتَفَر الذنوب ... وتبتهج البصائر والقلوب
وترك الذكر أفضل منه حالا ... فإنّ الشمس ليس لها غروب

---

(1) بالصفد: بالضيافة، بالعطاء.

بــذكــر الله تـبـتـهـج الـقـلـوب	وتـتـضـح الـمـعـارف والـغـيـوب
وتــرك الـذكـر أفـضـل كـل شـيء	فشمس الـذات ليس لها غروب[1]

---

(1) في الفتوحات خصص الشيخ لمعرفة الذكر وتركه الباب 142 والباب 143، وممّا قال فيهما: ثم إنّ الله ما وصف بالكثرة شيئا إلا الذكر. وما أمر بالكثرة من شيء إلا من الذكر. قال: «وَالذَّاكِرِينَ الله كَثِيراً وَالذَّاكِراتِ»، وقال: «اذْكُرُوا الله ذِكْراً كَثِيراً». وما أتى الذكر قط إلا بالاسم «الله» خاصة معرّى عن التقييد، فقال: «فَاذْكُرُوا الله»، وما قال بكذا، وقال: «وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ: ولم يقل بكذا، وقال: «اذْكُرُوا الله في أَيَّامٍ مَعْدُوداتٍ» ولم يقل بكذا، وقال: «فَاذْكُرُوا اسْمَ الله عَلَيْها» ولم يقل بكذا، وقال: «فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ الله عَلَيْهِ» ولم يقل بكذا.

وقال -ﷺ-: «لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول: الله الله»، فما قيّده بأمر زائد على هذا اللفظ، لأنه ذكر الخاصة من عباده الذين يحفظ الله بهم عالم الدنيا وكل دار يكونون فيها. فإذا لم يبق في الدنيا منهم أحد، لم يبق للدنيا سببٌ حافظٌ يحفظها الله من أجله، فتزول وتخرب. وكم من قائل: «الله» باق في ذلك الوقت، ولكن ما هو ذاكر بالاستحضار الذي ذكرناه. فلهذا لم يُعتبر اللفظ دون الاستحضار انتهى.

ثمّ تكلم الشيخ عن معرفة مقام ترك الذكر فقال:

لا يـتـرك الـذكـرَ إلّا مَـن يـشـاهـده	ولـيـس يـشـهـده مـن لـيـس يـذكـره
فـقـد تـحـيّـرتُ فـي أمـري وفـيـه فـأيـ	ـنَ الـحـق بـيـنـهـمـا عـيـنـاً فـأوثـره
مـا إن ذكـرتُـكَ إلا قـام لـي عَـلَـمٌ	فـحـيـن أبـصـره فـي الـحـيـن يستره
فـلا أزال مـع الأحـوال أشـهـده	ولا أزال مـع الأنـفـاس أذكـره
ولا يـزال لـدى الأعـيـان يشهدني	ولا يـزال مـع الأسـماء يظهـر: «هـو»

لا يُكتب هنا «هو» إلا بالواو لتعرف الهويّة، لا أنه ضمير.

واعلم -وفقك الله- أنّ الذكر أفضل من تركه، فإنّ تركه إنما يكون عن شهود، والشهود لا يصح أن يكون مطلقاً، والذكر له الإطلاق، ولكن الذكر الذي ذكرناه، لا الذكر بالتسبيح والتهليل وغيره من الذكر المقيّد. فلو كان ترك الذكر لا عن شهود، كنا ننظر هل كان سببُ تركِهِ ممّا يقتضي الإطلاق فتحكم فيه بالتساوي، والأحوال مقيّدة بلا شك، وإنْ كان الإطلاق تقييدا، لأنه قد تميّز عن المقيّد وسرى في المقيَّدات كيف ما قلت. وبنفس ما تميّز فقد تقيّد بما تميّز به، فالإطلاقُ تقييدٌ. وأعظم ما يقال فيه: إنه مجهول لا يُعرف، فما خرج بهذا الوصف عن التقييد؛ لأنه قد تميّز عن المعلوم. فعلى كل حال ما ثمّ إلا مقيَّدٌ. وما ثمّ في ما لا ثمّ إلا مقيَّدٌ. فالعدم هو ما لا ثَمَّ، وهو متميّز عن الوجود، والوجود متميّز عن العدم. فما ثم معلوم ولا مجهول إلا وهو متميّز. فالتقييد له الحُكم. =

أين أنت من مقام وصلتُ إليه، ونزلتُ عليه:

يا فؤادي قد وصلتَ إليه	قل له قول حبيب مُدِلّ[1]
لولا عرشه لم يصحَّ استوا	وبنوري صحّ ضرْب المَثل[2]

قال السالك:

فلمّا عاين هذا المرْمى، قال: لا يستوي البصير والأعمى. ثم قال: يا بنيّ اذكر أباك، عند مناجاتك مولاك؛ يا بنيّ أين منك الخليل، وأنت بالمقام الجليل، شتان بين من نظر في النجوم فقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ۝٨٩﴾ [الصافات: 89]، وبين من قيل عنه: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١﴾ [النجم: 11]، أنا أقول: [ربّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين][3]، وأنت يقال لك: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: 2]، أنا أقول: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۝٨٤﴾ [الشعراء: 84]، وأنت يقال لك: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح: 4].

قال السالك:

ثم بكى، وقال: شغلتنا ملاحظة الأغيار، عن مباشرة هذه الأسرار، هيهات وأين الكرم من الإيثار: الكرم سيادة، والإيثار عبادة، الكرم مع الرّياسة، والإيثار مع الخصاصة[4]، يا

= وما بقي إلا تقييدٌ متفاضل، أعلاه: تقييد في إطلاق، وهو: ذكر الله، والجهل به، والحيرة فيه:

وترك الذكر أوْلى بالشهود	فذكر الله أوْلى بالوجود
فكن إن شئت في جود الشهود	وكن إن شئت في فضل الوجود

(1) مدل: واثق بالمحبّة.

(2) يشير إلى الآية 35 من سورة النور: ﴿۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣٥﴾.

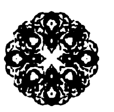
(3) أي قوله: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ۝٨٢﴾ [الشعراء: 82].

(4) الخصاصة: الفقر، يقول تعالى عن المحمّديين: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ﴾ [الحشر: 9].

بنيّ سِرٌ ما إليه ناداك، محبّك ومولاك، والعهد بيننا التعريف بما به ناجاك[1].

قال السالك:

فزُجّ البراق، وخرج عن السبع الطباق، وألقى الرسول[2] عصى التسيار، بسدرة الأنوار.



(1) يظهر هنا مرة أخرى استمداد مقام الخلّة الإبراهيمية من مرتبة المحبوبية الأحمدية.

(2) أي رسول التوفيق رفيق السالك في هذا المعراج.

سدرة المنتهى

قال السالك: فقلت له ما هذا النور والبهاء؟ قال: سدرة المنتهى.

إنما سُمِّيت «سدرة المنتهى» لأن إليها ينتهي ما ينزل، ثم يلبس صورة يقتضيها حكم السماوات، وإليها ينتهي ما يطلع من الأرض، ثم يُحبس[1].

---

(1) تكلم الشيخ عن السدرة وأنهارها في عدّة أبواب من الفتوحات نذكر منها: الأبواب: (58/ 167/ 198/ -367/ 371) فلنختصر ما ذكره في هذه الأبواب فيما يلي:

- يرى السالك العارج بروحه في أعلى السماوات سدرة المنتهى، وعندها صور أعمال السعداء، ويرى عمله من جملة أعمالهم، ويعاين هنالك أربعة أنهار منها نهر كبير عظيم وجداول صغار تنبعث من ذلك النهر الكبير، وذلك النهر الكبير تنفجر منه الأنهار الكبار الثلاثة؛ فالنهر الأعظم هو القرآن، والثلاثة الكبار التوراة والزبور والإنجيل، والجداول: الصحف المنزلة على الأنبياء. فمن شرب من أي نهر أو أي جدول فهو لمن شرب منه وارث. ونظر السالك إلى حسن النور الذي غشي تلك السدرة فرأى قد غشاها منه ذلك الذي غشى فلا يستطيع أحد أن ينعتها للغشاء النوري الذي لا تدركه الأبصار، فهي شجرة الطهور، فيها مرضاة الحق، ومن هنا شرع السدر والماء في غسل الميت ليناله طهورهما للقاء الله، وإليها تنتهي أعمال بني آدم السعادية وفيها مخازنها إلى يوم الدين، وهناك أوّل أقدام السعداء، والاسم «الربّ» هو الذي أعطى السدرة نبقها وخضرتها، ونورها منه ومن الاسم: «الله»، وأعطى الاسم «الرحمن» من نَفَسه -بفتح الفاء -عَرْفها أي رائحتها، ومن الاسم «الله» أصولها، وزقّومها لأهل جهنم. وقد جلّلها الله بنور الهويّة فلا تصل عين إلى مشاهدتها، والنور الذي كساها نور أعمال العباد، ونبقها على عدد نسم السعداء، لا بل على عدد أعمال السعداء، لا بل هي أعيان أعمال السعداء. وما في جنة الأعمال قصر ولا طاق إلا وغصن من أغصان هذه السدرة داخل فيه، وفي ذلك الغصن من النبق على قدر ما في العمل من الحركات، وما من ورقة في ذلك الغصن إلا وفيها من الحسن بقدر ما حضر هذا العبد مع الله في ذلك العمل، وأوراق الغصن بعدد الأنفاس في ذلك العمل. وشوك هذه السدرة كله لأهل الشقاء، وأصولها فيهم، والشجرة واحدة، ولكن تعطي أصولها النقيض ممّا تعطيه فروعها من كل نوع، فكل ما وصفنا به الفروع توصف بنقيضه الأصول. وإذا أكل أهل السعادة من هذه الشجرة زال الغلّ من صدورهم. ومكتوب على ورقها: «سُبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح». وللحق فيها تجلّ خاص عظيم يقيّد الناظر ويحيّر الخاطر. وإلى جانبها منصة مقعد جبريل -عَلَيْهِ السَّلَامُ-. وفيها=

ثم تلا الرّسول الكريم: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ١٦٤﴾ [الصافات: 164]، فسكتنا عن تعبير ما رأينا كما سكت، حتى يُشاهد مَن يُراد كما شهدتُ، سكوت حَصَر وعجز، لا يقوى معه على إشارة ورمز.

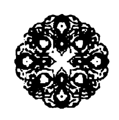
قوله: «فسكتنا كما سكت»: قال تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ١٦﴾ [النجم: 16]، فلم ينعته سبحانه، وكذلك قال -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-: [فغشيها من نور الله ما غشيها فلم يستطع أحد أن ينعتها]، فلذلك قال: «فسكتنا كما سكت». والحال في نفسه كذلك يعطي، يريد أنّ الحال في نفسه كذلك يعطي، فإنها تشهد لك، ولا تجد في العالم ما يشهد بها للغير.

= من الآيات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وقد وصفها النبي -ﷺ- بأنّ نبقها كالقلال، وورقها كآذان الفيلة، وأنها مقرّ الأرواح، فهي نهاية لِما ينزل ممّا هو فوقها، ونهاية لِما يعرج إليها ممّا دونها كأعمال بني آدم. ورأى يخرج من أصلها أربعة أنهار، نهران ظاهران ونهران باطنان: فالظاهران النيل والفرات ويرجعان يوم القيامة إلى الجنة وهما نهر العسل واللبن، والباطنان نهران يمشيان للجنة. والمظهر الأعلى لهذه السدرة في الجنة هو شجرة طوبى التي تولى الحق تعالى غرسها بيده في جنة عدن، ولمّا سوّاها نفخ فيها من روحه وزيّنها بثمر الحلي والحلل، فنحن أرضها فإنّ الله جعل ما على الأرض زينة لها، وأعطت في ثمر الجنة كله من حقيقتها عين ما هي عليه كما أعطت النواة النخلة وما تحمله مع النوى الذي في ثمرها. وقسّم الحق تعالى الجنات على ثلاثة أقسام للثلاثة الوجوه التي لكل برج: جنات الاختصاص وهي الأولى، وجنات الميراث، وجنات الأعمال. ثم جعل في كل قسم أربعة أنهار مضروبة في ثلاثة يكون منها اثنا عشر نهرا، ومنها ظهر في حجر موسى اثنتا عشرة عينا لاثني عشر سبطا. النهر الواحد نهر الماء الذي هو غير آسن أي غير متغيّر وهو علم الحياة، ونهر الخمر وهو علم الأحوال، ونهر العسل الذي فيه شفاء للناس، وهو علم الوحي على ضروبه، ولهذا تصعق الملائكة عندما تسمع الوحي كما يسكر شارب الخمر، ونهر اللبن وهو علم الأسرار الذي تنتجه الرّياضات والتقوى فهذه علوم الوهب الأربعة. والإنسان مثلث النشأة: نشأة باطنة معنوية روحانية، ونشأة ظاهرة حسية طبيعية، ونشأة متوسطة برزخية مثالية، ولكل نشأة من هذه الأنهار نصيب، كل نصيب نهر لها مستقل يختلف مطعمه باختلاف النشأة، فيدرك منه بالحس ما لا يدركه بالخيال، ويدرك منه بالخيال ما لا يدركه بالمعنى، وهكذا كل نشأة، فللإنسان اثنا عشر نهرا: في كل واحدة من الجنات الثلاثة أربعة أنهار. وتكاليف الأحكام الشرعية تنقسم من السدرة، فإنّه قطع أربع مراتب والسدرة هي المرتبة الخامسة. فنزل من قلم إلى لوح إلى عرش إلى كرسي إلى سدرة. فظهر الواجب من القلم، والمندوب من اللوح، والمحظور من العرش، والمكروه من الكرسي، والمباح من السدرة، والمباح قسم النفس وإليها تنتهي نفوس عالم السعادة، ولأصولها وهي الزقّوم تنتهي نفوس أهل الشقاء.

فإنه إذا كان معدن الفصاحة والحِكم، وقد أوتي جوامع الكلم، وما زاد على أن قال (ﷺ): [فغشيها من نور الله ما غَشَّى]، ووقف هنا وما مشى. ثم قال: [فلا يستطيع أحد أنْ ينعتها]، وإذا كان هذا فكيف يصف أحد حقيقتها؟ فجدير أنْ يُوقَف عندما وقف (ﷺ)، وينظر في الترقي منها على الرفرف.

قوله: «الرفرف»: أي يفارق براق الهمّة، ويركب مرْكبا آخر أرْوَح من الأوّل، حيث الملأ الأشرف.

فإذا النداء من الأعلى: مَن لك بالرّفارف العُلا، وبينك وبينها الكرسيّ الكريم، الذي يُفـرَق فيه كلّ أمر حكيم، هو حضرة الأدب، لأهل الهمم والطلب، إليه ينزل الواصلون، وعنده ينتهي المحجوبون[1]، فالزم ما يقال لك فيه، وقف عند وصيّة ساكنيه.



(1) المظهر الخارجي المحسوس للكرسي هو الفلك المكوكب المشتمل على كلّ الكواكب والنجوم والأجرام الفلكية، وإليه ينتهي الرصد عند علماء الفلك المحجوبين عن البواطن الملكوتية للمظاهر الحسّية.

حضرة الكرسي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السالك:

فأنشأ لي جناح العزم[1]، وطِرْتُ به في جوّ الفهم، حتى وصلت حضرة الكرسي[2]، والموقف القدسي، فسألت عن مسجد الوَصِي[3]، فقيل لي: بالمنزه الأقصى. فرأيتُ شيخا ضخم الدّسيعة[4]، فقيل لي هذا قطب الشريعة: قد أحاطت به أخلاط الزّمر، إحاطة الهالة بالقمر.

قوله: «قطب الشريعة»: يريد حقيقة من حقائق النبي -ﷺ-. وقوله «أحاطت به أخلاط الزّمر»: أي الروحانيين الذين في الكرسي.

فسلمتُ تسليم خَجِل، لا تسليم وَجِل. فقال الشيخ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: مرحبا بالقاصد اقتناص الجواهر والفوائد. ثم قال لي: أين تريد؟ فهممتُ أن أقول: أريد أن لا أريد. فلمّا لم يكن مقامي، لم يَسَعْه كلامي. فجذبني إليه ودَرَّته بين يديه[5]، فقلت له: أريد مدينة

---

(1) أي رسول التوفيق المرافق للسالك، لكن يلاحظ هنا أنّ المعراج لم يعد يتم بواسطة البراق الذي انتهى عند السدرة، ومنها أصبح عروجه على جناح العزم. وذلك لأنّ البراق مظهر برزخي لأعمال السعداء التي مستقرّها السدرة.

(2) الأمر الواحد النازل من العرش ينقسم عند الكرس محلّ القدمين: قدَم الصدق لأهل اليمين، وقدم الجبار لأهل الشمال، فهو محل الثنائيات الوجودية، حول الكرسي يُنظر في الفتوحات الفصل 18 من الباب 198، والفصل الثاني من الباب 371.

(3) اختار الشيخ كلمة «الوصيّ» لأنّ الكرسي محلّ تنزّل الشرائع بين أمر ونهي، والعمل بالشريعة هو ما أوصى به كلّ نبيّ أمّته.

(4) لكلمة «الدسيعة» عدّة معان، منها: العطيّة الجزيلة، والقوّة، والطبيعة، والخُلُق.

(5) يشير هنا إلى صولة وهيمنة الشريعة لأنها سبب سعادة الأمّة.

الرسول[1]، صاحب الجُمَل والفصول. قال: وما تريد بمدينة أثرُها قد دُرس، ونورُها قد طُمِس. قلت: ليست للترابية أشير، ولكن لبدرها المنير، وعنصر مائها النّمير[2]. فقال: «ألم تسمع قوله -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: (وعليٌّ بابُها، وأنا أيّها الطالب بوّابها)[3]، فمن أراد المدينة فليقصد الباب، ويتملّق للبوّاب، غَذِّ أشباح النَّسَم[4]، تُهدَى إليك طَرائف الحِكَم. غَذِّ الأشباح بالغبار، تُغَذَّى لك الأرواح بالأسرار.

قوله: «غَذِّ أشباح النسم»: أي تخلّق بالكرم، والكرم هاهنا عبارة عن أن تعمل بما تعلم، فتعلم ما لم تعلم، ويُفتح لك فيما لا تعلم، وهو قوله «تهدَى إليك طرائف الحِكم». فانظر أبدا الغذاء الذي تعطاه، هو من جنس ما تعطيه. قوله «بالغبار»: أي علوم المجاهدات والرّياضات.

قلت: يا سيّدي هل يُعرَف لذلك الباب مفتاح؟ قال: إي والعليم الفتاح[5]:

رأيت البيت مقفولا	**لسرّ السرّ قد ملكا**
سألت الله يفتحه	**فقال: بمن؟ قلت: بك**

قلت: ناولنيه، قال: (من حسن إسلام المرء ترْكه ما لا يعنيه)[6].

يشير إلى أنّ هذا الخُلق الذي نبّه عليه هذا الخبر النبوي، هو منزله ومرْبعه. سمعت

(1) أي وراثة محمّديّة.

(2) النمير: الزاكي الطاهر.

(3) من نعوت الإمام علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- الوصيّ الذي سمّاه الشيخ بقطب الشريعة. ومن الشريعة حبّ آل البيت النبوي وتوقيرُهم. وقوله: «وعليّ بابها» يشير إلى الحديث: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» [رواه الحاكم في المستدرك، والطبراني في الكبير، وأبو الشيخ في السنّة وغيرهم، كلهم عن ابن عباس مرفوعا. وقال عنه الحاكم: صحيح الإسناد، لكن ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، ووافقه الذهبي وآخرون، وحسّنه العلائي وابن حجر.

(4) النّسَم: الأرواح.

(5) يعني: نَعَمْ والله.

(6) أخرجه الترمذي وابن ماجه وابن حبّان.

إمامنا وقدوتنا العالم الرّاسخ يقول في أثناء شرحه وخطابه لي في هذا الخبر النبوي: «ولو أنّ الناس يُحْكِمون هذا الخُلق، رأوا ما يراه الأنبياء والملائكة -على جميعهم السلام-. إنما خوضهم في الحديث، وزيادتهم فيما لا يعنيهم، هو الذي يحجبهم، وإلا فالأبواب مفتحة، والأشياء منجلية[1].

قلت له: قد عرفت حقيقة مكانه، فزد في نعته وبيانه. قال: له أربعة أسنان، أتقنها الحكيم الرحمن.

يريد بالأربعة أسنان: العلم، والإرادة، والقول، والقدرة[2].

فيها أربع حركات، تحوي على جميع البركات.

قوله: «أربع حركات»: أي الجوع، والسهر، والصمت، والعزلة. فالأربع الأولى روحانية، وهذه الأربعة الأخرى جسمانية[3].

فإذا فعلتَ ما ذكرته لك وأحكمته، فزت بالمفتاح وملكته. ومَن ملك المفتاح

---

(1) مصداقا لهذا القول الحديث النبوي: «لو تكونوا على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزَارَتكم في بيوتكم» [أخرجه الترمذي وأحمد. وأيضا الحديث: «ولولا تزييد في حديثكم وتمريج في قلوبكم لرأيتم ما أرى ولسمعتم ما أسمع» ويقول بعض أهل الحديث أنّ في سند هذا الحديث ضعف، لكن الشيخ استشهد به في الفتوحات وقال إنه صحيح كشفا، ومن ذلك قوله في الباب 12: «فكان له -ﷺ- الكشف الأتم، فيرى ما لا نرى. ولقد نبّه -عليه الصلاة والسلام- على أمر عمل عليه أهل الله فوجدوه صحيحا قوله: «لولا تزييد في حديثكم وتمريج في قلوبكم لرأيتم ما أرى ولسمعتم ما أسمع». فخُص برتبة الكمال في جميع أموره، ومنها الكمال في العبودية، فكان عبدا صرْفا لم يقم بذاته ربّانية على أحد، وهي التي أوجبت له السيادة، وهي الدليل على شرفه على الدّوام. وقد قالت عائشة: «كان رسول الله -ﷺ- يذكر الله على كلّ أحيانه». ولنا منه ميراث وافر، وهو أمر يختص بباطن الإنسان.

(2) أي الأسماء الأمهات التي يستند إليها العالم. ويمكن أن يُقال أيضا أنّ الأسنان الأربعة هنا عبارة عن الحروف الأربعة للاسم المفرد الأعظم «اللّه»، إذ بذكره يُفتح باب حضرة المسمّى.

(3) خصص الشيخ لمعرفة هذه الأربعة التي بها يصبح الأبدال أبدالا رسالة: «حلية الأبدال وما يظهر منها من المعارف والأحوال»، وهي موجودة ضمن مجموع رسائله. وفي الفتوحات خصص للجوع وتركه البابان106/ 107 وللسهر الباب 98، وللصمت الباب 96، وللعزلة وتركها البابان 80/ 81.

فتح الباب، ومن فتح حصل على كنز السِّرْداب، فرأى الشيخَ وتلميذَه آمنين من الشك والارتياب. مبسوطين في حضرة الوهاب.

قوله: «الشيخ وتلميذه»: يريد الصادق والصدِّيق. فالصادق الشيخ، والصدِّيق التلميذ.

قلت: قد فهمتُ ما أردتَ

قوله: «فهمتُ ما أردْتَ»: من كونك عنيت عن نفسك بالشيخ وعنِّي بالتلميذ. **وعثرتُ على السر الذي إليه أشرتَ. ولكن زدني، زادك الله من إحسانه، وأسبغ عليك رداء امتنانه. قال: ادعُ الله أن يمدّني بإلهامه، ويؤيّدني بعلمه القديم وكلامه. اسمع أيها السالك، حسّن الله أفعالك، ولا جعلها أفعى لك. وسدّد أقوالك، فإنّها عند المناجاة أقوى لك. حمْدُ الله أوْلى ما فَغَر بِهِ فاه ناطق، وصلاته على رسوله فاتح اختراق هذه الطرائق، إلى مناجاة الحكيم العليم الرازق. فـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾** [الأعراف: 43]. **فاستمع ولا تنطق:**

أَنِضِ الرّكاب إلى ربّ السماوات وانْبِذ عن القلب أطوار الكرامات

قوله: «أنضّ الرّكاب»: أي عمل السير والسلوك. وقوله «ربّ السماوات»: إشارة إلى العالم العلوي. وقوله: «وانبذ عن القلب أطوار الكرامات»: أي انبذ خرق العوائد، لا تفرّق بينها وبين العوائد[1].

واعكفْ بشاطئ وادي القدْس مرتقيا واخلـع نعالـك تحظـى بالمناجات

قوله: «وادي القدس»: أي الزم عبوديتك بالتواضع الذي يوجب العلم، إذ كان الوادي مسيل المياه، وهو الموضع المنخفض من الأرض، فشبّهه به. و«القدس»: محلّ الطهارة. قوله: «اخلع نعالك»: أي اتصف بالحياة القلبية لِما يَرد عليك من الخطاب.

وغب عـن الكون بالأسـماء متصفا حتى تغيـب عن الأوصـاف بالذات

أي: غب عن الآثار بشهود المؤثِّر، لا من كونه مؤثرا، فإنك إذا انتقلت إلى الذات من

(1) حول الكرامات وتركها وخرق العادات تنظر في الفتوحات على التالي الأبواب 184/ 185/ 186.

فتح الباب، ومن فتح حصل على كنز السِّرْداب، فرأى الشيخَ وتلميذَه آمنين من الشك والارتياب. مبسوطين في حضرة الوهاب.

قوله: «الشيخ وتلميذه»: يريد الصادق والصدِّيق. فالصادق الشيخ، والصدِّيق التلميذ.

قلت: قد فهمتُ ما أردتَ

قوله: «فهمتُ ما أردْتَ»: من كونك عنيت عن نفسك بالشيخ وعنِّي بالتلميذ. **وعثرتُ على السر الذي إليه أشرتَ. ولكن زدني، زادك الله من إحسانه، وأسبغ عليك رداء امتنانه. قال: ادعُ الله أن يمدّني بإلهامه، ويؤيّدني بعلمه القديم وكلامه. اسمع أيها السالك، حسّن الله أفعالك، ولا جعلها أفعى لك. وسدّد أقوالك، فإنّها عند المناجاة أقوى لك. حمْدُ الله أوْلى ما فَغَر بِهِ فاه ناطق، وصلاته على رسوله فاتح اختراق هذه الطرائق، إلى مناجاة الحكيم العليم الرازق. فـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: 43]. فاستمع ولا تنطق:**

أَنِضِ الرّكاب إلى ربّ السماوات وانْبِذ عن القلب أطوار الكرامات

قوله: «أنضَّ الرّكاب»: أي عمل السير والسلوك. وقوله «ربّ السماوات»: إشارة إلى العالم العلوي. وقوله: «وانبذ عن القلب أطوار الكرامات»: أي انبذ خرق العوائد، لا تفرّق بينها وبين العوائد[1].

واعكفْ بشاطئ وادي القدْس مرتقيا واخلـع نعالـك تحظـى بالمناجات

قوله: «وادي القدس»: أي الزم عبوديتك بالتواضع الذي يوجب العلم، إذ كان الوادي مسيل المياه، وهو الموضع المنخفض من الأرض، فشبّهه به. و«القدس»: محلّ الطهارة. قوله: «اخلع نعالك»: أي اتصف بالحياة القلبية لِما يَرد عليك من الخطاب.

وغب عـن الكون بالأسـماء متصفا حتى تغيـب عن الأوصـاف بالذات

أي: غب عن الآثار بشهود المؤثِّر، لا من كونه مؤثرا، فإنك إذا انتقلت إلى الذات من

(1) حول الكرامات وتركها وخرق العادات تنظر في الفتوحات على التالي الأبواب 184/ 185/ 186.

غير أن تربطها بالمضايفة، أعطتك من علم التنزيه ما لا تعطيك إذا أُشْهِدْتها متضايفة[1]. فتحقق ترشد.

ولُــذْ بجانب فــرد لا شريك له	ولا تُـعَـرِّج عـن أهـل البطالات
بل صُم وصلِّ وفكِّر وافتقرْ أبدا	تـنـل معالم مـن علم الخفيّات
فقد قضى اللهُ بالميراث سيّدنا	لـكـلِّ عـبـد صـدوق ذي تقيّات

ألْق أيها الطالب بالك، أصلح الله بالك[2]. حافظ على العلوم اللدنيّة، والأسرار الإلهية، وإيّاك وإفشاء سر الرّبوبيّة.

قوله في هذه الوصيّة السنيّة، الممنون بها من الحضرة العليّة، والخلّة الإبرَاهيمية «حافظ على العلوم الإلهية والأسرار»: أي لا تعجل بإظهارها إلا في موطنها عن بيّنة من الحق. ويريد أيضا بالمحافظة أي على تحصيلها بالأسباب المقرّبة منها.

أَجْلِ القلوبَ، وجاهد النفوس، وفرِّق بين العلم الإلهي والمحسوس.

قوله: «أَجْلِ القلوب»: أي اشتغل بالذكر والتلاوة على طريق العبادة، لا على جهة فهم المعاني والتدبّر. «وجاهد النفوس»: أي بالرّياضة. قوله «وفرّق بين العلم الإلهي والمحسوس»: يريد بالعلم المحسوس العقل الأوّل، والعلم الإلهي هو كتابة الحق في قلبك بقوله تعالى: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: 22].

اجمع بين الظاهر والباطن، يتضح لك سرّ الرّاحل والقاطن.

يريد بـ«الرّاحل»: السالك، ويريد بـ«القاطن»: الواصل. فمن الناس من يسري إلى جناب الحق فيسمَّى راحلا، ومن الناس من ينزل الحق إلى قلبه فيسمّى قاطنا. فالأول ظاهر وهو الذي رحل، والثاني باطن وهو القاطن الذي نزل إليه. قال راوي هذا الشرح: خوطبت ليلة من الليالي فقيل لي: (أمّا أنت فقد أسري إليك، واسترحتَ من أن تسري)، وكنت بمنزلة إمامي وقدوتي الشارح لهذه الأسرار، والمفيض لهذه الأنوار، فذكرتُ له

(1) الذات الغنيّة عن العالمين لها التنزيه المطلق، وارتباطها بالمضايفة عبارة عن تجليها في مرتبة الألوهية المستلزمة لظهور المألوه، وظهور نعوت التشبيه مع التنزيه.

(2) «بالك»الأول: قلبك وخاطرك، و«بالك»الثاني: شأنك.

ذلك، فقال لي: (وأيّ شيء بقيتَ ترومه بعد هذا؟ فاحْمَدِ الله واشكره على لطفه بك وعنايته).

قف مع الظاهر في كلّ الأحوال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ من ظاهر الأقوال.

قوله: «قف مع الظاهر»: أي مع الحق من حيث تجليه في كل شيء، وهو معرفتك بالوجه الذي للحق في كل شيء. قوله «ولا تقف ما ليس لك به علم من ظاهر الأقوال»: أي لا تقلِّد، بل اتبع ما حصل من علمه، ولا تمشِ إلا على بصيرة، وحينئذ:

تلَقَّ الكلمات، وألحِقْ بالأبناء الأمّهات.

قوله: «تلقّ الكلمات»: أي التي تعصمك، كما تلقاها آدم -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- فتلقاها أنت أوّلا لتنعصم، وقل: «ربّ اغفر لي» قبل وقوع الذنب. فإذا جاء الذنب وجد التوبة تمحوه، فإذا رَام المَلَك يكتبه تمنعه المغفرة، وهو قوله: (عبدي افعل ما شئت فقد غفرت لك) الحديث[1]. فالمغفرة لصاحب هذا المقام العزيز لا تزال واقفة على صحيفته، ولا تترك شيئا من ذنوبه يحلّ فيها. قوله «وألحِق بالأبناء الأمّهات»: أي عمِّم الشفقة، فاجعلها لمن فوقك ولمن دونك، إذ جرت العادة أنّ العبد يشفق على من دونه لشفوفه عليه، ويترك من فوقه لعلوّ ذلك عليه؛ فقال له: لا تمكّن نفسك من هذا الخُلق، بل تخلّق مع من فوقك ومن دونك لتتهذب.

صلّ على ذي العلوم اللدنيّة، والأسرار القدسيّة، وعلى الكليم وابن نون، وانظر لِمَ كان الحوت عنده يَبْدُ لك السرّ المصون، في الكتاب المكنون، الذي لا يمسّه إلا المطهرون.

أراد بذي العلوم اللدنيّة مقام الخضر -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-، وأراد بالكليم وابن النون مقام موسى -صلوات الله على نبيّنا وعليه- ويوشع -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- تلميذه. فأراد مقامهم وما

(1) يشير إلى الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبي -ﷺ- فيما يحكي عن ربه -عَزَّوَجَلَّ- قال: «أذنب عبد ذنبا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذْنَبَ عبدي ذنبًا فعلم أنّ له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب فقال: أي ربّ اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذْنَبَ ذنبا فعلم أنّ له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب فقال: أي ربّ اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذْنَبَ عبدي ذنبًا فعلم أنّ له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعملْ ما شئتَ فقد غفرتُ لك».

تضمّن من الحِكم، وكيف أظهر الحق سبحانه ليوشع أنّ عندنا من يتلمذ له موسى، ليرى وصف إرادتك القائم بك من الذلّ والتواضع فيه، وليرى أنّ الإنكار إذا صدر من التلميذ كيف يصعب على المتبوع، فتحفظ نفسك وتتأدّب. ولمّا اصطحب موسى والخضر -عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ-، وجرى ما جرى، أراد الخضر يخبر موسى فقال له: (عندك علم لم يطلعني الله عليه) فجرّه بذلك ثم قال له: (أتحبّ من يُنكر عليك علمك الذي حققك الله به؟)، قال: (لا)، قال الخضر: (فكذلك علمي الذي علمني الله به لا يصلح أن يُنكر عليّ). وإلى هذا أشار موسى بقوله: (نسيت) لمّا قرّر معه الخضر هذا القرار.

قال راوي هذا الشرح: سمعت شيخي وإمامي يقول في أثناء كلامه في هذا المعنى، قال: وإذا كان هذا حال موسى مع الخضر، فكيف لا يَعْذِرُ الشيوخ للمريدين. قال الرّاوي: فجمعتُ بسماعي من الشيخ ذلك من فعله معي ذلك وبين قوله، لأنّ يدي قد عبقت من كثرة أخذه لها -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- عند العثرات على صراط الأدب معه، حتى كان أثرُ رفقِه معينا للتيقظ، وسرّ لطفه باعثا على التحفظ، جازاه الله عني أفضل ما جازى والدا عن ولده بمنّه وفضله، وصلى الله على سيّدنا محمد وآله وسلم.

قوله: «وانظر لِمَ كان الحوت عنده»: أي للمناسبة، لأنّ يوشع هو ابن نون. ولهذه المناسبة كان عنده الحوت الذي هو النون. وقوله «يبد لك السر المصون»: أي تعلم الرّابط، إذ بين كلّ أمرين مجتمعين مناسبة هي الرّابطة. قوله «في الكتاب المكنون»: أي فيك وفي وجودك. قوله «لا يمسه إلا المطهرون»: أي لا يعرف مرتبة الإنسان إلا مَن تقدّس عن الجهالات، ولذلك قال -عَلَيْهِٱلسَّلَامُ-: (من عرف نفسه عرف ربّه).

لا تنظر الحوت بعين الغذاء والقوت، وتأمّل السترَيْن في مجمع البحرَيْن.

قوله: «لا تنظر الحوت بعين الغذاء والقوت»: أي انظره من كونه جُعِلَ علامة عند حياته أنه موضع طلب الخضر -عَلَيْهِٱلسَّلَامُ-. قوله «وتأمّل السترين في مجمع البحرين»: أي علم الخضر وعلم موسى -عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ-: علم الباطن وعلم الظاهر، وكلاهما كان للخضر -عَلَيْهِٱلسَّلَامُ- ولذلك لم يقع منه إنكار، ولو تصوّر أن يكون عند موسى علم مخصوص من الظاهر.

وكيف وقع النسيان هنالك؟ ولِمَ وقع ذلك؟

أي أنّ يوشع لمّا نسي الحوت كان ذلك نسخة للصفة التي تقع من موسى، لأنّ يوشع كان تابعا، فلمّا نسي عند مجمع البحرين، وفارق الموضع، ولامه موسى، ثم رجعا

تضمّن من الحِكم، وكيف أظهر الحق سبحانه ليوشع أنّ عندنا من يتلمذ له موسى، ليرى وصف إرادتك القائم بك من الذلّ والتواضع فيه، وليرى أنّ الإنكار إذا صدر من التلميذ كيف يصعب على المتبوع، فتحفظ نفسك وتتأدّب. ولمّا اصطحب موسى والخضر -عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ-، وجرى ما جرى، أراد الخضر يخبر موسى فقال له: (عندك علم لم يطلعني الله عليه) فجرّه بذلك ثم قال له: (أتحبّ من يُنكر عليك علمك الذي حققك الله به؟)، قال: (لا)، قال الخضر: (فكذلك علمي الذي علمني الله به لا يصلح أن يُنكر عليّ). وإلى هذا أشار موسى بقوله: (نسيت) لمّا قرّر معه الخضر هذا القرار.

قال راوي هذا الشرح: سمعت شيخي وإمامي يقول في أثناء كلامه في هذا المعنى، قال: وإذا كان هذا حال موسى مع الخضر، فكيف لا يَعْذِرُ الشيوخ للمريدين. قال الرّاوي: فجمعتُ بسماعي من الشيخ ذلك من فعله معي ذلك وبين قوله، لأنّ يدي قد عبقت من كثرة أخذه لها -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- عند العثرات على صراط الأدب معه، حتى كان أثرُ رفقِه معينا للتيـقـظ، وسرّ لطفه باعثا على التحفظ، جازاه الله عني أفضل ما جازى والدا عن ولده بمنّه وفضله، وصلى الله على سيّدنا محمد وآله وسلم.

قوله: «وانظر لِمَ كان الحوت عنده»: أي للمناسبة، لأنّ يوشع هو ابن نون. ولهذه المناسبة كان عنده الحوت الذي هو النون. وقوله «يبد لك السر المصون»: أي تعلم الرّابط، إذ بين كلّ أمرين مجتمعين مناسبة هي الرّابطة. قوله «في الكتاب المكنون»: أي فيك وفي وجودك. قوله «لا يمسه إلا المطهرون»: أي لا يعرف مرتبة الإنسان إلا مَن تقدّس عن الجهالات، ولذلك قال -عَلَيْهِٱلسَّلَامُ-: (من عرف نفسه عرف ربّه).

لا تنظر الحوت بعين الغذاء والقوت، وتأمّل السترَيْن في مجمع البحرَيْن.

قوله: «لا تنظر الحوت بعين الغذاء والقوت»: أي انظره من كونه جُعِلَ علامة عند حياته أنه موضع طلب الخضر -عَلَيْهِٱلسَّلَامُ-. قوله «وتأمّل السترين في مجمع البحرين»: أي علم الخضر وعلم موسى -عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ-: علم الباطن وعلم الظاهر، وكلاهما كان للخضر -عَلَيْهِٱلسَّلَامُ- ولذلك لم يقع منه إنكار، ولو تصوّر أن يكون عند موسى علم مخصوص من الظاهر.

وكيف وقع النسيان هنالك؟ ولِمَ وقع ذلك؟

أي أنّ يوشع لمّا نسي الحوت كان ذلك نسخة للصفة التي تقع من موسى، لأنّ يوشع كان تابعا، فلمّا نسي عند مجمع البحرين، وفارق الموضع، ولامه موسى، ثم رجعا

فالتقيا مع الخضر، ثم بدا من موسى النسيان لشرط الخضر كما نسي يوشع شرط موسى، ثمّ إنّ الخضر لام موسى كما لام هو يوشع، ثم اعتذر موسى للخضر كما اعتذر يوشع لموسى، فقال له الخضر بلسان الحال: «فلِمَ لا قبلت أنت عذر صاحبك ابتداء ليكون عذرك مقبولا؟». فجيء من هذا أنّ من اتصف بمكارم الأخلاق استقبلته عاليات الأمور، وجاءته الأمور مفتّحة الأبواب، لِما تقدّم من ذكر المناسبات. والمناسبات أرواح لطيفة جوْهرية اللطف من عالم الملكوت، فمن تحقق بها فقد تحقق بمعرفة عزيزة.

ولِـمَ كان حوتا ولم يكن غير ذلك؟ ولأيّ فائدة اتخذ البحر مسلكا على سائر المسالك؟

قوله: «ولم كان حوتا ولم يكن غير ذلك؟»: أي أنه من الحيوان الذي يتكوّن في الماء، فليس بينه وبين الأصل واسطة، لأنه- سبحانه- جعل من الماء كلّ شيء حيّ، فهو أصل الحياة، فكذلك جعله دليلا على الخضر إذ كان حيّا بما أعطاه الله –تعالى- لا موت عنده ولا جهل. فكان الدليل مناسب المدلول. ولهذا جُعلت حياته دليلا على وجود الخضر، أي قد وصلت إلى معدن الحياة. وقوله «ولأي فائدة اتخذ البحر مسلكا؟»: أي هو لرجوع الأشياء إلى أصولها.

أمِط «لو» و«ليت» و«لولا»، تكن العبد والموْلى.

قوله: «أمط لو»: لِما جاء في الخبر من أنها تفتح عمل الشيطان، وليست لكونها تمنٍّي. وقوله «تكن العبد والمولى»: أي يكون لك مقام العبودية إن شئت، وإن شئت صحّت لك النيابة والخلافة.

تَـرَدّ برداء اللّاميْن، وقف للناس في موضع القدميْن.

قوله: «ترد برداء اللامين»: يريد الألف واللام، ولام الألف، ولام التعريف ولام الألف. فلام الألف تنفيك، ولام التعريف تعرّف بك، وهو مناسب لقوله «تكن العبد والمولى». وقوله «وقف للناس في موضع القدمين»: وهو التفرقة بين الحق والخلق، لأجل الاتحاد الذي يقع فيه غلط جماعة ادّعوا الاتحاد، ولم يبلغوا العرش، فكيف لو بلغوا العرش.

وخُذ من العلم حرف العين. اخرق السفينة، تلج المدينة.

قوله: «خذ من العلم حرف العين»: أي «عين اليقين»، إذ الحدود ثلاثة أقسام:

حدود لفظية، وحدود رسمية وهي اللوازم للحدود كالضحك للإنسان، وحدود ذاتية أي لا تقنع باللفظي ولا بالرّسمي بل بالحدود الذاتية، وهي حرف العين، أي عين اليقين. وعين الشيء ذاته ووجهه. وقوله: «اخرق السفينة تلج المدينة»: يعني تخرق السفينة: الجسم، وخرقه بالمجاهدات، وإن جعلتَها النفس فكان خرقها بالرّياضات، والمدينة: المقام المحمّدي، قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: (أنا مدينة العلم)[1].

اجعلْ في السفينة ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [هود: 40]، ولا تعرّج على من قال: ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعْصِمُنِي﴾ [هود: 43] من الحَيْن.

هذه سفينة أخرى، وهي حالة أخرى للإنسان. فقال في الأول «اخرقها»، وقال في هذه هي سفينة نوح «فاجعل فيها من كل زوجين اثنين»، وهي شفعيتك، أي لا تزال عن شفعيتك وحقيقتك. قوله «ولا تعرّج» إلى آخر المعنى: أي لا تعرّج على من اتخذ غير الله مستندا، وهي الخواطر، قال الله تعالى: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: 40].

هما سفينتان، لهما في الوجود معنيان: الواحدة سلامتها في الفتق، والأخرى نجاتها في الرّتق. ليس في المُلك إلا واحد، فإيّاك أن تخرق سفينة الشاهد. أخْلِ السفينة من الزّوجين، فقد قال: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [النحل: 51].

قوله: «أخلِ السفينة من الزوجين»: أي لا تجعل في شفعيتك أحدهما عابدا والأخرى معبودا، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: 23]، لكن اجعل الشفعيّة لك لتفرد الوحدانية له[2].

أَحْيِ الغلام، يُدنيك ربّ الأمَة والغلام.

قوله: «أحي الغلام»: أي الهوى أحْيه بمصرفه في موافقة إرادة الحق -سبحانه-،

(1) الحديث سبق تخريجه.

(2) السفينة التي كانت سلامتها في الفتق هي التي خرقها الخضر، والأخرى التي نجاتها في الرتق هي سفينة نوح- عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- وفي هذا الباب الخاص بالكرسيّ محلّ تدلّي القدمين أكثر الشيخ من ذكر الزوجيات المتعاكسة أو المتكاملة حسب ما يُضاف إليها، لأنّ الكرسي- كما سبق ذكره- هو محلّ الشفعية والثنائيات الوجودية. ومرجعيته في كلّ ما يذكره هنا إلى قصص القرآن الكريم، كما هو واضح في ما يلي من قصة موسى مع الخضر- عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ- وسدّ ذي القرنين في سورة الكهف، وقصة يوسف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- مع إخوته، وغير ذلك في سور أخرى.

فهذا الهوى تحييه. وأمّا الهوى الذي لنفسك فهو الغلام الذي يجب عليك قتله[1].

اقتله فانه كافر، بمواضي الأسِنّة والبواتر.

قوله: «اقتله»: أراد الهوى المذموم.

«أقِم الجدار، وحذار من هدمه حذار». هدِّم الجدار، فإنه حجاب، هكذا رأيته في أمّ الكتاب.

قال الرّاوي: سمعت الشيخ إمامي وقدوتي ينشد:

الحَقُّ أبْلج والسيوف عواري فحذار من أسد العرين حذارِ

قوله: «أقم الجدار»: أي أقم ذاتك، فإنها الستر على ما فيك من الكنوز فيما تحمله من الأسرار الإلهية. قوله «هدِّم الجدار فإنه حجاب»: هذا موطن آخر: أزل الحجاب لِما يحوي عليه من الأسرار.

افتح من السدّ المَهْرب، واثبت للتيّار ولا تهرب. إيّاك أن تتناول فتحه، واقنع من الوجود بأيسر لمحة.

قوله: «افتح من السدّ المهرب»، أي لتكون الواردات الإلهية تأتي على اعتدال، إذ كان قد ورد فيها ما لا تحمله العقول لقوّته، إذ هو من التوحيد المفرد المجرّد. قوله «إيّاك أن تتناول فتحه»: أي لا يكون لك فيه تعمّل، أي أنّ الذي فتح من أجله هو الذي فتحه. قوله «واقنع من الوجود بأيسر لمحة»: أي لا تتعشق بسوى الله تعالى، وخذ منه مهما أعطاك، ولا تطلب الزيادة من الكون، إنما طلب الزيادة من الإلهيات، ومن نصيبك من الحق - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -.

عَطِّلْ وُدّا وسُواع، واكتم أمرك تأسّيا بصاحب الصُّوَاع.

قوله: «عطل ودا وسواع»: أي عطل كل معبود. وقوله «اكتم أمرك تأسيا بصاحب الصواع»: إذا رأيت من يجهلك فلا تعرّفه بنفسك، فإنّ تعريفك بنفسك له ربوبيّة، إذ تحبّ

(1) في الحديث: «ما تحت أديم السماء إله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع» [أخرجه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية، وابن بطة في الإبانة وغيرهم-. وفي حديث آخر: «لا يُؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» [رواه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي وابن عساكر وغيرهم-. وقال بعض أهل الحديث أنّ في أسانيد هذين الحديثين ضعف.

منه أنْ يعظمك، بل إذا جهلوك زدهم حجابا، واجلس مع الله تعالى[1].

الصُّوَاع حجاب فلا تكتم، ولا تعطلهما فتَظلِم[2].

قوله: «لا تكتم»: هذه مرتبة أخرى، وهو ما يقتضيه الموطن من الظهور، لقول -ﷺ-: [أنا سيّد ولد آدم ولا فخر][3]. فأين قوله هذا من قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ [الكهف: 110].. فهذا موطن آخر اقتضى ما اقتضى.

لا تُفرْد أخاك مخافة الذيب، واعطف عليه عطف المحبّ على الحبيب.

قوله: «لا تفرد أخاك»: أي لا تترك عقلك مفردا للنظر الفكري، فهو الذئب. قوله «واعطف عليه»: أي بالذكر، قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: 152].

إنْ لم تفرده للذيب، لم يتميّز في أهل التخلّق والتهذيب.

قوله: «إن لم تفرده لم تتميز»: أي لا تتخذ غير الله حافظا، فأفرده أنت والله الذي يتولاه، لأنك عندما تحفظه مدّعي. فإذا أخرج العبد من حوْله وقوّته وسلّم إلى الله تعالى فقد خرج من الدّعوى[4].

لا تعطف عليه وانبذه بالعَرَاء، حتى تبصر تأثير الأسماء.

قال الراوي لهذه الفوائد الإلهية: سمعت شيخي وإمامي المقيّد لهذه القرب الرّبانية يقول في قوله «لا تعطف عليه وانبذه بالعراء حتى ترى تأثير الأسماء»: قال هذا مذهب سهل التستري -رحمة الله عليه-: كان إذا حدث بالخلق شدّة او رخاء، لا يدعو ولا

---

(1) وُدّا وسواع: أسماء أصنام قوم نوح، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا﴾ [نوح: 23]. وصاحب الصواع هو يوسف -عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ- كما هو مذكور في سورته.

(2) أي لا تعطل ودّا وسواعا من باب التناسب اللفظي، فالاسم «ودّ» يوحي بالاسم الإلهي «الودود» قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ۝٩٦﴾ [مريم: 96]، وفي اللغة السُّوَاع من الليل هو الهَدء أو الساعة، أي قم متهجدا في الليل. والله أعلم.

(3) أخرجه الترمذي وابن ماجه.

(4) وهذا القول من الشيخ مناسب لظاهر قصة يوسف-عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ- مع إخوته، أي أنهم لمّا أفردوه لذيب هواهم ووضعوه في غيابات الجبّ، كان ذلك سببا في تميّزه بعد ذلك بالمقامات العالية، منها عزيز مصر وحسن تدبيره فيها، وسجود إخوته له سجود الكواكب في رؤياه.

يتحرّك. وهذا كان في وقت حاله، لا في مقامه، اذ صاحب المقام له التصرّف.

إذا أردتَ أن تكون نِعْم الحَدَث، وارِي العزيز الجَدَث.

أي ادفن هواك، وسمّاه «حدثا» لأنّ سالك الطريق هو حدث ما لم يبلغ مرتبة الشيوخ.

اعرفْ قدر العزيز، فهو الذي أحلّك محلّ سقوط التمييز.

قوله: «اعرف قدر العزيز»: أي هو الذي دلك على ذلك، وعرّفك بنفسك.

وَجِّه البشير، ولا تعرّجْ على العير[1]، ودرَاك بالشيخ الكبير، وارْفع أبويك على السرير.

قوله: «وجِّه البشير»: أي إذا حصل للطيفة الإنسانية الطالبة للرّبوبية وصف من الأوصاف العبودية فنفِـّذ، يشير إلى الجوارح تبشيرا بما ظفرت به اللطيفة، فإنّ الجوارح جميعها تبكي على اللطيفة وتنعيها إذا لم تكن في مقام العبودية. قوله «ولا تعرّج على العِير»: أي عالم الطبيعة، لأنّ الطبيعة مقتضية للرّبوبية من كونها فعّالة في عالم الأجسام، فمتى غلبت على الإنسان طبيعته ادّعى بسبب هذه النسبة الطبيعة. قوله «ودراك بالشيخ الكبير»: يريد جملة الجوارح التي تبكي عليك، وذلك أنك تولّدتَ عنها بعد أنْ تسوّى الجسد بالرّحم أربعة أشهر، حينئذ تولّدت اللطيفة بين الجسد وبين الروح الكلية. فاللطائف كلها مخلوقة بعد الأجسام. قوله «وارفع أبويك على السرير»: يريد الجسد والنفس الكلية، واخدمهما بقيام أوامر الشريعة.

أمسك القميص، فانّ الشيخ حريص، وأنزل الإبل في المسارح، تمرّ عليها السوانح والبوارح.

قوله: «أمسك القميص فإنّ الشيخ حريص»: أي لا تمشِ مع أحد على غرَضه إلا عن أمر إلهي، لأنه مقام نبوّة، ولذلك أبْطأ يوسف بأبيه -عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ- إلى أنْ أمره الحق. والذي يروم منك غرَضه، وهو حريص على وصول غرَضه إليه، فلا تكن مأمور الأغراض، وكن مأمور الحق تعالى. قوله «أنزل الإبل في المسارح»: أراد بالإبل مراكب الأعمال مطلقا. قوله «تمرّ عليها البوارح والسوانح»: البوارح الآصال، والسوانح الغداوي،

(1) العير: القافلة. و«دراك»: اسم فعل بمعنى أدرك.

أي دع الأعمال تلعب بها الأهواء إذا أخلصت أحكامها في عقد النيّة عند الشروع في العمل. فكلما يمرّ عليك بعد ذلك فلا يؤثّر في عملك، فدعها بعد ذلك تسرح في ميادين الأعمال. ومتى فاتك تحرير العقد الأول والقدم الأولى، فلا يفيدك بعده شيء، فلا تتعب ولا تخسر عملك، فلا يفيدك عند الله تعالى أبدا.

لا ترفعهما عرْشا، ومهِّدهما فرْشا، ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الإسراء: 24]، ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا﴾ [الإسراء: 23]، وإنْ استطعت فاعدمهما. هما حجاباك، وهما باباك.

قوله -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ- «لا ترفعهما عرشا»: أي لا تعظم السبب، واشتغل بتعظيم وجه الحق، فالتعظيم الأوّل هو في موطن يقتضي التعظيم وبرّ الوالدين. وفي هذا الموطن الذي تظهر فيه عظمة الحق يضمحلّ فيه كل شيء. قوله «ومهدهما فرشا»: أي انظرهما بعين التواضع وصاحبهما معروفا.

اتّبع الفتية، فهم الجِلّة العليّة.

قوله: «اتبع الفتية»: أي انظر مكارم أخلاقهم، وتوحيدهم لربّهم، فيتبيّن لك الباب الذي سلكوا، وبه مُدِحوا[1].

لا تقْف أثرهم جملة وتفصيلا، ولا تتخذ إليهم سبيلا.

قوله: «لا تقف أثرهم»: أي لا تكون تابعا لهم كما تتبع الأنبياء -عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ-، بل كن معهم في وصف واحد مزاحمًا لهم، كما قال أبو سليمان الخولاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في حق الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين-[2].

---

(1) أي فتية الكهف، قال تعالى: ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠﴾ [الكهف: 10] وقال في مدحهم: ﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣﴾ [الكهف: 13].

(2) ممّا يناسب هذا القول من الشيخ قوله تعالى عن فتية الكهف: ﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ١٨﴾ [الكهف: 18]. أمّا أبو مسلم الخولاني فقد ذكره الشيخ في الباب 73 من الفتوحات عند ذكره لطبقة العُبّاد من الأولياء، فقال عنه: «كان خالنا أبو مسلم الخولاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- من أكابرهم، كان يقوم الليل، فإذا أدركه العياء ضرب رجليه بقضبان كانت عنده، ويقول لرجليه: أنتما أحق بالضرب من دابّتي، أيظن أصحاب محمد -ﷺ- أنْ يفوزوا =

أي دع الأعمال تلعب بها الأهواء إذا أخلصت أحكامها في عقد النيّة عند الشروع في العمل. فكلما يمرّ عليك بعد ذلك فلا يؤثِّر في عملك، فدعها بعد ذلك تسرح في ميادين الأعمال. ومتى فاتك تحرير العقد الأول والقدم الأولى، فلا يفيدك بعده شيء، فلا تتعب ولا تخسر عملك، فلا يفيدك عند الله تعالى أبدا.

لا ترفعهما عرْشا، ومهِّدهما فرْشا، ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الإسراء: 24]، ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا﴾ [الإسراء: 23]، وإنْ استطعت فاعدمهما. هما حجاباك، وهما باباك.

قوله -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ- «لا ترفعهما عرشا»: أي لا تعظم السبب، واشتغل بتعظيم وجه الحق، فالتعظيم الأوّل هو في موطن يقتضي التعظيم وبرّ الوالدين. وفي هذا الموطن الذي تظهر فيه عظمة الحق يضمحلّ فيه كل شيء. قوله «ومهدهما فرشا»: أي انظرهما بعين التواضع وصاحبهما معروفا.

اتّبع الفتية، فهم الجِلّة العليّة.

قوله: «اتبع الفتية»: أي انظر مكارم أخلاقهم، وتوحيدهم لربّهم، فيتبيّن لك الباب الذي سلكوا، وبه مُدِحوا[1].

لا تقْف أثرهم جملة وتفصيلا، ولا تتخذ إليهم سبيلا.

قوله: «لا تقف أثرهم»: أي لا تكون تابعا لهم كما تتبع الأنبياء -عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ-، بل كن معهم في وصف واحد مزاحمًا لهم، كما قال أبو سليمان الخولاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في حق الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين-[2].

---

(1) أي فتية الكهف، قال تعالى: ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠﴾ [الكهف: 10] وقال في مدحهم: ﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣﴾ [الكهف: 13].

(2) ممّا يناسب هذا القول من الشيخ قوله تعالى عن فتية الكهف: ﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ١٨﴾ [الكهف: 18]. أمّا أبو مسلم الخولاني فقد ذكره الشيخ في الباب 73 من الفتوحات عند ذكره لطبقة العُبّاد من الأولياء، فقال عنه: «كان خالنا أبو مسلم الخولاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- من أكابرهم، كان يقوم الليل، فإذا أدركه العياء ضرب رجليه بقضبان كانت عنده، ويقول لرجليه: أنتما أحق بالضرب من دابّتي، أيظن أصحاب محمد -ﷺ- أنْ يفوزوا =

إذا اطلعتَ عليهم فولِّ رُعْبا، عينا لا قلبا.

أي إذا اطلعتَ على غير الله تعالى فولّ رُعبا لئلا يقيّدك. قوله «عينا»: أي من حيث أعيانهم، «لا قلبا»: أي من حيث وجه الحق المشهود في كلّ شيء.

السعيد كل السعيد، من نام عند الوصيد. اشمخ بأنفك عن همّة الكلاب.

قوله: «السعيد من نام عند الوصيد»: أي من نام عند الباب[1]. «اشمخ عن همّة الكلاب»: أي لا تتأسّى في قعودك بالكلب، فتجعله أمامك وهو تابعك.

وإيّاك وملازمة الأبواب. سدّ الباب، واقطع الأسباب، وجالس الوَهّاب، يكلمك من دون حجاب[2].

قوله: «إيّاك وملازمة الأبواب»: أي لا تقف في نفس سلوكك فتكون بطيء السير، غير طيّار ولا ساري.

لا تجالسه بحال، فإنّ الكلام محال، لولا الأسباب ما عرفت الحقائق، فافتح الأبواب ولا تفارق.

قوله: «لا تجالسه بحال فإن الكلام محال»: أي إذا جالسته حدّدته. واعلم أنّ

= بمحمد -صلى الله عليه- وسلم دوننا، والله لأزاحمنّهم عليه حتى يعلموا أنهم خلّفوا بعدهم رجالا».

(1) النوم هنا عند الباب، عبارة عن حراسة مَن هم وراء الباب، أي حراسة القلب من كلّ خاطر لا يعنيه. والله أعلم.

(2) هذه الكلمات من الشيخ ذكرها في الباب 560 من الفتوحات كوصيّة سمعها من أوّل شيخ صحبه وهو أبو العباس العريبي، قال: «وأوصاني شيخي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أوّل ما دخلت عليه قبل أن أرى وجهه، فقال لي- وقد قلت له أوصني قبل أن تراني فأحفظ عنك وصيتك، فلا تنظر إليّ حتى ترى خلعتك عليّ- فقال -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-: هذه همّة شريفة عالية، يا ولدي سدّ الباب، واقطع الأسباب، وجالس الوهّاب يكلمك من غير حجاب. فعملت على هذه الوصية حتى رأيت بركتها، ودخلت عليه بعد ذلك فرأى خلعتها عليّ، فقال: هكذا هكذا وإلاّ فلا لا. ثم قال لي: امح ما كتبت، وانس ما حفظت، واجهل ما علمت، وكن هكذا معه على كل حال، لا تتحدث معه بما قد علمته فإنّ في ذلك تضييع الوقت، واطلب المزيد كما أمرك في قوله لنبيه -ﷺ- يأمره وأمّته: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ١١٤﴾ [طه: 114]».

الشريعة إنما جاءت تبيّن من مظاهر الحق ما تقود به الناس إليه عَزَّوَجَلَّ. قوله «فإنّ الكلام محال»: أي الخطاب الموسوي المرتفع عن الوسائط. قوله «لولا الأسباب ما عُرفت الحقائق»: أي لولاها لكانت الأمور كلها وجهًا واحدا، وإنما بالأسباب تميّزت المرَاتب. قوله «فافتح الباب ولا تفارق»: أي باب النظر في الأسباب، ولا تفارق تعلقها بباريها وواضعها، إذ لو اعتكفت على الأسباب فاتك أمر كثير، فانظر إليها ولا تعتمد عليها.

طهِّر فرْجك من القلوح[1]، يُنفخ لك فيه من الروح[2].

قوله: «طهر فرْجك»: أي كلما انفرج لك من عالم الغيب ومغاليق الأمور فطهرها منك، ولا تسلكها بك. قوله «ينفخ لك فيه من الروح»: أي ترجع لك أرواحا وملائكة.

لا تظهر الفرْج، وانظر ما ارتقم في الدَّرْج[3].

قوله: «لا تظهر الفرج»: أي القلوح التي رميتها إنما رميتها لكونك لم تر وجه الحق فيها. قوله «وانظر إلى ما ارتقم في الدرج»: أي انظر ما فيها من وجه الحق.

نادِ في الظلمات، تُبعَث بين الأموات.

قوله: «ناد في الظلمات»: أي ناد في مواطن الغفلات التي أظلمت على المحجوبين فلم يرو فيها وجه الحق. فإذا ذكرت أنت الله فيها صرت روح تلك الظلمة ونورها، فحَيِيَتْ بك[4].

لا تناد في ظلمات الستور، فإنّ النداء في النور.

قوله: «لا تناد في ظلمات الستور»: أي أنّ النداء في الستور لا يصح، اذ هي الحجب والظلمات، ولذلك قيل لك «تبعث من بين الأموات» لأنك عند ندائك لم تكن في

---

(1) القلوح: الأوساخ.

(2) الإشارة هنا إلى الآية 12 من سورة التحريم: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾.

(3) الدَرج: ما يُكتب فيه.

(4) الإشارة هنا إلى نداء يونس -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- وهو في بطن الحوت، قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: 87/ 88].

الشريعة إنما جاءت تبيّن من مظاهر الحق ما تقود به الناس إليه عَزَّوَجَلَّ. قوله «فإنّ الكلام محال»: أي الخطاب الموسوي المرتفع عن الوسائط. قوله «لولا الأسباب ما عُرفت الحقائق»: أي لولاها لكانت الأمور كلها وجهًا واحدا، وإنما بالأسباب تميّزت المرَاتب. قوله «فافتح الباب ولا تفارق»: أي باب النظر في الأسباب، ولا تفارق تعلقها بباريها وواضعها، إذ لو اعتكفت على الأسباب فاتك أمر كثير، فانظر إليها ولا تعتمد عليها.

طهِّر فرْجك من القلوح[1]، يُنفخ لك فيه من الروح[2].

قوله: «طهر فرْجك»: أي كلما انفرج لك من عالم الغيب ومغاليق الأمور فطهرها منك، ولا تسلكها بك. قوله «ينفخ لك فيه من الروح»: أي ترجع لك أرواحا وملائكة.

لا تظهر الفرْج، وانظر ما ارتقم في الدَّرْج[3].

قوله: «لا تظهر الفرج»: أي القلوح التي رميتها إنما رميتها لكونك لم تر وجه الحق فيها. قوله «وانظر إلى ما ارتقم في الدرج»: أي انظر ما فيها من وجه الحق.

نادِ في الظلمات، تُبعَث بين الأموات.

قوله: «ناد في الظلمات»: أي ناد في مواطن الغفلات التي أظلمت على المحجوبين فلم يرو فيها وجه الحق. فإذا ذكرت أنت الله فيها صرت روح تلك الظلمة ونورها، فحَيِيَتْ بك[4].

لا تناد في ظلمات الستور، فإنّ النداء في النور.

قوله: «لا تناد في ظلمات الستور»: أي أنّ النداء في الستور لا يصح، اذ هي الحجب والظلمات، ولذلك قيل لك «تبعث من بين الأموات» لأنك عند ندائك لم تكن في

---

(1) القلوح: الأوساخ.

(2) الإشارة هنا إلى الآية 12 من سورة التحريم: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾.

(3) الدَرج: ما يُكتب فيه.

(4) الإشـارة هنا إلى نداء يونس -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- وهو في بطن الحوت، قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: 87/ 88].

الستور. ولو كنت فيها لكنت محجوبا مثلهم، وإلى هذا ينظر قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: 80]، ولذلك قال: «فإنّ النداء في النور»، وإذا كان في النور فقد خرج صاحبه من الستور[1].

أنت الواحد الفرد، إن ضربتَ الفرد في الفرد.

أي: إذا ضربت الخلق في الحق، فخرج لك إمّا الحق وإمّا الخلق، فحينئذ يُعلم أنك في مقام الأحدية. وإن خرجا كلاهما، فلست بموحِّد.

لا سبيل إلى ضرْبه، لثبوت ما أراد أن يوجده في غيبه.

قوله: «لا سبيل إلى ضربه»: أي إن ضربت الواحد في الواحد لم يخرج شيء سوى الواحد. لكن اضرب واحدا في اثنين يخرج اثنين: أنت وهو، لأنك لمّا ضربت الواحد في الواحد فعلى الحقيقة أنك ضربت الواحد في أحديته، وهنا ضربتها في شفعيتك، فبرزتْ عينك. وإذا ضربت واحدا في عشرة فخرج عشرة، فأعطه الوحدانية بإبرَازك الواحد له، تبقى التسعة وهي حقيقة واحدة، فهي أنت، وأنت هاهنا تطلب وجودك منه تسع نسب إلهية.

لا تقل: مسَّني الضرّ، وسوِّ بين النفع والضر.

قوله: «لا تقل مسّني الضر[2]، وسَوِّ بين النفع والضر»: أي هذا مقام الأحوال ومشاهدة الرّضا. فإنّ الرّضا عند أكثر أهل الطريقة من الأحوال لا من المقامات، نص عليه القشيري -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى-[3].

إذا مسّك الضرّ فادع بلسان التعليم، فهو مراد الحكيم العليم.

---

(1) إشارة إلى نداء الله تعالى لموسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [القصص: 29-30].

(2) الإشارة إلى أيوب-عَلَيْهِ السَّلَامُ-، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: 86].

(3) حول الرّضا وتركه ينظر في الفتوحات البابان: 128/ 129.

قوله: «إذا مسَّكَ الضر فادْعُ بلسان التعليم، فهو مراد الحكيم العليم»: قال إسماعيل -أخذ الله بيده- سمعت شيخي وإمامي يقول في أثناء شرحه لهذا المعنى: هاهنا وجهان: الوجه الواحد: إنها قولة نبيّ، والنبيّ في مقام الاقتداء، فهو يُعلِّم أمّته الاستناد إلى الله تعالى لا إلى غيره في دفع المكاره عن نفسه. والوجه الآخر من التعلم: يعلم نفسه وينبّهها على أنّ الصبر في هذا الموطن سوء أدب مع الحق، فينبغي له أنْ لا يقاوم القهر الإلهيّ، وليقل: «مسَّني الضرّ»، ولا يقدح ذلك في صبره[1].

لا تعوّد لسانك الحِنث، وبِرّ يمينك ولو بالضِغث،

قوله: «لا تعوّد لسانك الحنث»: أي إذا أقسمت برّ قسمك بما كان ولو بالضغث[2] وهو قبضة الحشيش.

الحنث لا تلتفت إليه، فإنّ أهل الكشف ما عوّلوا عليه.

قوله: «لا تلتفت إليه»: أي لا تدخل ابتداء في اليمين، فإنك إن دخلت في اليمين راعيته، وأوجبت عليك حقا لم يجب عليك، وخُشي عليك الحنث، فلا تلتفت إلى أمر يجب عليك فيه الحنث. قوله «فإنّ أهل الكشف ما عوّلوا عليه»: أي إنهم في كلّ نفَس مع ما يُكشف لهم فيه، فلا يدرون حُكم النفَس الثاني، فلا يحسن لهم التقيّد باليمين على أمر في المستقبل.

لا تعذب الهدهد كما همّ سليمان، حتى يعجز عن البيّنة والسلطان.

قوله: «لا تعذب الهدهد حتى يعجز عن البيّنة»: أي لا تعمل إلا عن بيّنة من ربّك كما فعل سليمان، وقد كان الحق مع الهدهد، فلو عذبه قبل البيّنة لظلمه، فلا تعجل أبدا بصفات القهر منك حتى يتبيّن موطنها، وأمّا صفات الرحمة فأطلقها ولا تقيّدها.

عذِّبه لمّا كُشِف السرّ، وخُرِق الستر.

قوله: «عذِبه لمّا كشف السرّ»: يريد كلّ موطن لا ينبغي أن يظهر السرّ فيه.

---

(1) حول الصبر وتركه ينظر في الفتوحات الباب: 124/ 125.

(2) الإشارة هنا إلى أيوب -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لمّا أقسم أن يضرب زوجته عند زوال ضرّه، فأمره الله -عَزَّوَجَلَّ- أن يبرّ يمينه بضربها بحزمة الحشيش، قال تعالى: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ﴾ [ص: 44].

أرفق على النمل، إذا أوْجَفْتَ[1] بسوابق الخيل.

قوله: «أرفق بالنمل»: أي أنّ الضعيف الذي ليس له قوّة مقاومتك لا ترهب عليه.

فرّقهم أيادي سبًا، واقتلهم مضى السيف أو نبا[2].

قوله: «فرّقهم واقتلهم»: أي إنهم وإن كانوا ضعفاء، فقد يكون لهم رأي قويّ، فاقتلهم حيث أدخلوا رأيهم، وكذلك كلّ ما يعطيه الدليل العقلي بما يقدح في الشرع الصحيح والكشف، فردّ ما يعطيه الدليل العقلي ولا تلتفت.

واتركهم بين مهبّ الشمال والصَّبا[3].

قوله: «واتركهم بين مهبّ الشمال والصبا»: أي في برزخ لا يحكم عليهم أحد الطرفين. قال إسماعيل: سمعت شيخي وإمامي يقول في أثناء شرحه لهذا المعنى: ما عندنا في الطريق أعلى من البرازخ لجمعها بين الطرفين.

لا تشغلنّك الصافنات[4]، عن المناجاة، وامسح بالسوق والأعناق، وشدّ السير إليه والإعناق.

قوله: «لا تشغلنك الصافنات»: أي لا تشغلنك الأعمال، وإذا أعطاك العملُ العلمَ، فاتخذ ذلك العلم مركبا ليصير مركبك روحاني. قوله «وامسح بالسوق والأعناق»: أي أَزِلها، وأمّا على مذهبنا فمسح على الأعناق مسح رحمة، وأمّا على مذهب المفسرين فإزَالة قهر بالسيف لئلا يُشغل بها عنه. قوله «وشدّ السير إليه والإعناق»: أي السير السريع الذي هو سير بين سيْرَين[5].

---

(1) أوجفت: أوجف الفرس إذا اسرع يعدو. والإشارة هنا إلى قصة سليمان- عَلَيْهِ السَّلَامُ- مع النمل في سورة النمل الآيتين20/ 21.

(2) مضى السيف أو نبا: قطع السيف أو لم يقطع.

(3) الصّبا: ريح مهبّها الشرق.

(4) الصافنات: الخيل.

(5) وضح الشيخ هذه المسألة في الباب 124 من الفتوحات فقال: «قول سليمان -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ [ص: 32] لأنه سمّاه خيرا، والخير منسوب إلى الله، فقال: عن ذكر ربي إيّاه بالخيرية أحببته. فطفق يمسح بيده على أعرافها وسوقها فرحًا وإعجابًا بخير ربّه، =

من نظر الفعل للذات، مازال في المناجاة، فلا تمسح بأعناقها، ولا تشدّ في إعناقها.

يريد أنّ من نظر إلى الذات لم تبق له غاية يتطلّبها لينتهي إليها فلا يبالي وقف أو مشى.

لا تدفع الخاتَم[1] إلى أحد، ولا تأمن عليه أمّا ولا ولد، ادفعه إنْ شئت فإنه حجاب، ولا مسخر إلا مسبّب الأسباب.

يريد بالخاتم علم التسخير، إذا حصل عند العبد فإنه من أسرار الله تعالى. قوله «ادفعه فإنه حجاب»: أي هو حجاب عن مَن مقامه العبودية. وفي الموطن الأوّل هو لمن أقيم في مقام الخلافة، فلذلك قال: «ولا مسخِّر إلا مسبّب الأسباب».

لا تعرّج على عرش بلقيس، ولا تلتفت إلى صرحها الممرّد النفيس، إلا إن بدا منها الإسلام، وألقت يد الطاعة والاستسلام[2].

= فإنه أحبّ حبّ الخير، وحبّ الخير إمّا أنْ يريد حبّ الله إيّاه، أو حبّ الخير من حيث وصف الخير بالحبّ، والخير لا يحبّ إلا الأخيار فإنهم محلّ وجود عينه. فكذلك سليمان -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- قال: ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾، أي أنا في حبّي كالخير في حبّه. ولهذا لما تَوارَتْ بِالْحِجابِ، أعني الصافنات الجياد، اشتاق إليها لأنه فقَد المحلّ الذي أوجب له هذه الصفة الملذوذة، فإنها كانت مجلى له، فقال: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ [ص: 33]. وأمّا المفسرون الذين جعلوا التواري للشمس، فليس للشمس هنا ذكر ولا للصلاة التي يزعمون. ثم إنهم يأخذون في ذلك حكايات اليهود في تفسير القرآن، وقد أمرنا رسول الله -ﷺ- أنْ لا نصدّق أهل الكتاب ولا نكذبهم... وأمّا مساق الآية فلا يدلّ على ما قالوه بوجه ظاهر ألبتة. وأمّا استرواحهم فيما فسّروه بقوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ [ص: 34] فليس تلك الفتنة، وهو الاختبار إذا كان متعلّقه الخيل ولا بد، فيكون اختباره إذا رآها هل يحبّها عن ذكري لها؟ أو هل يحبّها لعينها؟ فأخبر -ﷺ- أنه أحبّها عن ذكر ربّه إيّاها لا نفسها مع حسنها وجمالها وحاجته إليها، وهي جزء من المُلك الذي طلب أنْ لا ينبغي لأحد من بعده، فأجابه الحق إلى ما سأل في المجموع، ورفع الحرج عنه وقال له: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ [ص: 39] وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنا -يعني في الآخرة- لَزُلْفى وَحُسْنَ مَآبٍ، أي ما ينقصه هذا الملك من ملك الآخرة شيء».

(1) يشير إلى خاتم سليمان الذي كان كالرّمز لتصرّفه في ملكه.

(2) صرحها: قصرها. الممرّد: المسوّى المصقول. والإشارة هنا لإسلام بلقيس مع سليمان -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-، قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ =

قوله: «لا تعرّج على عرش بلقيس»: أي لكونه مضافا إليها، فلا ينبغي أن يعرّج على شيء هو مضاف للكون. قوله «إلا إن بدا منها الإسلام»: أي إلا إنْ أبان ذلك الأمر عن وجه الحق فيه فحينئذ انظره والتفت إليه فإنه لا يكون حينئذ حجاب.

عرّج عليها متى ظهر منها الإذعـان، في حالتيْ الإيمان والكفران، تكن من أهل الإحسان.

قوله: «عرّج عليها إلى آخر المعنى»: أي متى ظهر ذلك الوجه فقد حصل المقصود في كلّ شهود.

لا تقدِّم اسمك على اسم مولاك[1]، وإنما كان ذلك لعلّة هناك.

قال إسماعيل: سمعت شيخي وإمامي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يقول في شرحه لقوله: «لا تقدّم اسمك على اسم مولاك»: قال: انظر في السنّة كيف جاء في السنّة تقديم التهليل في شهادة التوحيد على ذكر الرسول- عَلَيْهِ السَّلَامُ-. وقوله إنما كان ذلك اصطلاحهم في ذلك الزمان، فلم تقتضِ الحكمة أن تخرج عن عادة أهل الزمان.

قدِّم اسمك فهو الشرع المتّبَع، وإن لم تفعل فلست بمتّبِـع.

قوله: «قدِّم اسمك إلى آخر المعنى»: أي بالنظر إلى أهل ملّتك وزمانك، كما فعل سليمان- عَلَيْهِ السَّلَامُ- في وقته، فذلك هو أدب وقته وشرع وقته.

لا ترغب في ملك لا ينبغي لأحد من بعدك[2]، بل قل كلّ هذا سبحانك من عندك.

قوله: «لا ترغب في ملك لا ينبغي لأحد من بعدك»: يعني ملكا يكون فيه ربّا سيّدا مطاعا.

ارغب في ملك لا ينبغي لسواك، تتخلق في ذلك بصفات مولاك.

= صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: 44].

(1) الإشارة هنا إلى سليمان الذي قدّم اسمه على اسم الله تعالى في بسملة كتابه إلى بلقيس: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾ [النمل: 30].

(2) الإشارة هنا إلى قول سليمان- عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص: 35].

قوله: «ارغب في ملك لا ينبغي لسواك»: أي لا يكون ملكك سواك، بل يكون ملكك عبوديتك، فتكون أنت عين ملكك، وتكون نفسك في ملكك تردّها وتحكم عليها، فهذا الملك الذي لا يُشارَك فيه، فلمثل هذا فليعمل العاملون، وفي مثله فليتنافس المتنافسون[1].

انشر البساط، واترك الناس في هِياط ومِياط[2].

قوله: «انشر البساط»: إي قل ما عندك ولا تبالي، وهذا لا يكون إلا مع غلبة الأحوال، وأمّا الحكيم فلا يقول إلا في موضع القول.

اطو البساط، واعدل إلى الانقباض من الانبساط.

قوله: «اطو البساط إلى آخر المعنى»: أي كن حكيما، ولا تعط الحكمة غير أهلها.

الزم المحراب، يأتك الرزق بغير حساب[3].

قوله: «الزم المحراب»: أي الزم موضع عبادتك، وموضع عبادتك هو ذاتك، فكأنه يقول: الزم نفسك لتعرف قدرك. قوله يأتك رزقك بغير حساب»: أي من حيث لا تحتسب، أي إذا اشتغلت فهو يعطيك من العلوم والمعارف ما تحب وتريد.

لا تلزمه سببًا متمّما، واتخذ إلى التوحيد سُلّما.

قوله: «لا تلزمه سببا متمما إلى آخر المعنى»: أي لا تجلس مع الرزّاق من كونه رازقا، بل اتكلْ عليه مطلقا ولا تقيّده بطريق الرزق ولا غيره، واجلس معه من حيث هو، لا من حيث أنت.

---

(1) وفي هذا المعنى ورد الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِوَاللَّهُعَنْهُ- مرفوعاً بلفظ: «جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ-، فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ، فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ، أَفَمَلِكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ، أَوْ عَبْدًا رَسُولًا؟ قَالَ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ. قَالَ: «بَلْ عَبْدًا رَسُولًا»] -رواه في مسانيدهم أحمد وأبو يعلى والبزّار وابن حبّان وابن أبي الدنيا-.

(2) في هياط ومياط: أي في اضطراب وجلبة.

(3) الإشارة إلى مريم -عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ-، قال تعالى عنها: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٧﴾ [آل عمران: 37].

لا تهزّ الجذع[1] في كل وقت، فإنه مقت.

قوله: «لا تهز الجذع في كل وقت»: أي لا تقم الدليل في كلّ وقت على ما تقول، بل قل الحق إذا علمت أنه حق، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. فإن كان القائل نبيّا فحينئذ يلزمه إقامة الدليل، وأمّا الوليّ فلا يلزمه إقامة الدليل. قوله «فإنه مقت»: أي في طريق الله تعالى إذ الوليّ لا يلزمه ذلك.

هزّه فهو المراد، وهو الدليل على أهل الإفك والإلحاد.

قوله: «هزه فهو المراد»: أي هذا مخصوص للنبيّ، فإذا اتفق للوليّ أن يكون في مسألة مع قادح في الشريعة ممّن لا يؤمن بها، فقد رخّص له أن يدلّ على صدق نبيّه بما يُظهره من خرق العادة على وجه التحدّي، فيكون ذلك في حق الغير، لا في حق نفسه، وهذا مذهب الشيخ أبي مدين -رحمه الله تعالى-. ولذلك قال في تتمّة المعنى: «فهو الدليل على أهل الإفك والإلحاد»[2].

---

(1) الإشارة إلى مريم- عَلَيْهَا السَّلَامُ- في قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ۝٢٥﴾ [مريم: 25].

(2) يقول الشيخ في الباب 185 من الفتوحات في هذا السياق: (يستحيل تبدّل الحقائق، فالعبد عبد، والربّ ربّ، والحق حق، والخلق خلق. فإذا ظهر خرق عادة على مثل هذا فما هي كرامة عندنا، لأنّ الكرامة تعود على من ظهرت عليه. وإنما يتفق لمن هذا مقامه مثل ما اتفق لنا في مجلس حضرنا فيه سنة ست وثمانين وخمسمائة، وقد حضر عندنا شخص فيلسوف ينكر النبوّة على الحد الذي يثبتها المسلمون، وينكر ما جاءت به الأنبياء من خرق العوائد وأنّ الحقائق لا تتبدّل. وكان زمان البرد والشتاء، وبين أيدينا منقل عظيم يشتعل نارا. فقال المنكر المكذب: إنّ العامّة تقول إن إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ألقِيَ في النار فلم تحرقه، والنار محرقة بطبعها الجسوم القابلة للإحراق، وإنما كانت النار المذكورة في القرآن في قصة إبراهيم الخليل عبارة عن غضب نمرود عليه وحنقه، فهي نار الغضب، وكونه ألقي فيها لأنّ الغضب كان عليه، وكونها لم تحرقه أي لم يؤثر فيه غضب الجبّار لما ظهر به عليه من الحجّة بما أقامه من الأدلة فيما ذكر من أفول الأنوار، وأنها لو كانت آلهة ما أفلت، فركّب له من ذلك دليلا. فلمّا فرغ من قوله قال له بعض الحاضرين ممّن كان له هذا المقام: «فإن أريتك أنا صدق ما قاله الله تعالى في النار أنها لم تحرق إبراهيم، وأنّ الله جعلها عليه كما قال بردا وسلاما، وأنا أقوم لك في هذا المقام مقام إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- في الذبّ عنه، لا أنّ ذلك كرامة في حقي؟ فقال المنكر: هذا لا يكون، فقال له: أليست هذه هي النار =

كن في المُحاق ثلاث، تفز عند المقابلة بثلاث.

يعني كالبدر الذي يمتحق. وللإنسان المؤمن العارف للحق تجلي يضيء به ليل وجوده، فلا يشاهد فيه من نفسه شيئا سوى ثلاث مراتب كما يضيء الليل بالبدر ثلاث ليال، وهي الليالي البيض. وفي مقابلة هذه الثلاث ثلاث تجليات على باطنه مثل هؤلاء من اسمه «الباطن» في قبالة التجلي الآخر الذي من اسمه «الظاهر»، لتتحقق الموازنة بين الظاهر والباطن. ثم على قدر ما ينقص من التجلي في الظاهر يكون مثله من التجلي في الباطن، فلا يزال العارف كامل التجلي دائما أبدا، إمّا من وجه واحد، وإمّا من وجهين. فتحقق[1].

إنْ وقفت على الموائد الثلاث، جُزت مقام الضحك والاكتراث.

يريد بالموائد الثلاث، الأولى: عالم الشهادة، والثانية: عالم هو الأوسط عالم البرزخ، والثالثة: عالم الملكوت[2]. قوله «جزت مقام الضحك والاكتراث»: أي إذا وقفت عليها حكمت عليها، فلا تفرح بعد ذلك ولا تحزن. وفي هذا المقام تحقق أبو يزيد -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- فقال: «فأنا اليوم لا أضحك ولا أبكي». وإذا حلّ العبد في عالم الجبروت، وهو

= المحرقة؟ قال: نعم، قال تراها في نفسك، ثم ألقى النار التي في المنقل في حجر المنكر، وبقيت على ثيابه مدة يقلّبها المنكر بيده، فلمّا رآها ما تحرقه تعجّب، ثم ردّها إلى المنقل، ثم قال له: قرّب يدك أيضا منها، فقرّب يده فأحرقته. فقال له: هكذا كان الأمر، وهي مأمورة تحرق بالأمر، وتترك الإحراق كذلك، والله تعالى الفاعل لما يشاء. فأسلم ذلك المنكر واعترف. فمثل هذا يظهر على تارك الكرامات، فإنه يقيمها في زمانه نيابة عن الرسول -ﷺ- في المعجزة والآية على صدقه. فجاء بها لإقامة الدليل على صدق الشارع والدّين، لا على نفسه إنه وليّ لله بخرق هذه العادة. فهذا معنى ترك الكرامات، ولها رجال وهم الملامية خاصة. وأمّا الصوفية فيظهرون بها، وهي عند الأكابر من رُعونات النفوس إلا على حدّ ما ذكرناه).

(1) سبق الكلام عن التناسب بين منازل القمر ومقامات السلوك بين الظاهر والباطن. ولمزيد التوسع العميق في هذه المعاني يُنظر في الفتوحات الباب 292 من الفتوحات المتعلق بسورة الليل وهو في معرفة اشتراك عالم الغيب والشهادة والباب 293 المتعلق بسورة الشمس وهو في معرفة منزل وجود سبب عالم الشهادة وسبب ظهور عالم الغيب.

(2) يمكن القول أيضا إنها موائد المعارف المتعلقة بحضرات الأفعال، وحضرات الأسماء والصفات، وحضرات الذات.

العالم الأعظم عندنا، بقي العالمان يتجاذباه، فلا يؤثران فيه، فعالم الملكوت يطلبه بالسرور، وعالم الشهادة يطلبه بالحزن، فيمتنع من هذا بمشاهدة هذا، ومن هذا بمشاهدة هذا. ومن سعة عالم الجبروت -وهو عندنا عالم الخيال- أنّ الرّوحانيات به تسلّطت، ووسع تجلي الحق والخلق، والحق هو الواسع، فهو العالم الأعظم عندنا بحُكمه على جميع العوالم. فتحقق ترشد، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل[1].

سلِّم أمرك لصاحب السّما، تعلم معالم الأسماء. لا تسلِّم فلست بثاني، فلا تحجبك المثاني.

قوله: «سلم» ثم قوله «لا تسلم فلست بثاني»: أي أنّ التسليم لا يثبت حتى يصح لك أمر ثم تسلِّمه، وأنت فما ثبت لك شيء فما الذي تسلّمه؟ فلا ترى نفسك، ولا يغرّك شبحك الظلّ الزائل الذي لا حقيقة له، والأفياء الأصائل لا تدوم.

اقصد الحج المبرور، وطهر البيت المعمور، تُنادَى من جبل الطور.

قوله: «اقصد الحج»: الحج هو المعاودة في طلب التجليات، والبيت المعمور: القلب. وقوله «تنادَى من جبل الطور»[2]: أي يحصل لك الميراث الموسوي. والطور هو

---

(1) حول عالم الخيال والسمسمة يُنظر في الفتوحات الباب المستغلق الذي خصصه له وهو الباب الثامن وهو في معرفة الأرض التي خُلقت من بقيّة طينة آدم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وما فيها من الغرائب والعجائب وتسمّى أرض الحقيقة. ويُنظر شرحه في القسم الأخير من كتابنا «الحقائق الوجودية الكبرى في رؤية ابن العربي».

(2) الإشارة إلى موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٢٩ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٠﴾ [القصص: 29/ 30]. وتكلم الشيخ عن رمزية الطور في الباب فقال: (فـ«الطور»: الجسم لِما فيه من الميل الطبيعي لكونه لا يستقل بنفسه في وجوده. و﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢﴾ عن إملاء إلهي ويمين كاتبة بقلم اقتداري، في «رقّ» وهو عينك -من باب الإشارة لا من باب التفسير- «منشور» ظاهر غير مطوي فما هو مستور. و﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤﴾ وهو القلب الذي وسع الحق فهو عامره، ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥﴾: ما في الرأس من القوى الحسية والمعنوية، ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾: رأى الطبيعة الموقدة بما فيها من النار الحاكم الموجب للحركة، ﴿إِنَّ=

الجبل المنحني لا المستقيم الحادّ.

إذا كانت الإشارة نداء على رأس البُعد، فما ظنك بالنداء من بَعد.

= عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴾، أي ما تستعذبه النفس الحيوانية والروح الأمري والعقل العلوي من سيّدها المربّي لها، المصلح من شأنها، «لواقع»: لساقط عليها إذ كانت لها المنازل السفلية من حيث إمكانها مطلقا، ومن حيث طبعها مقيّدا، ﴿ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ ﴾ لأنه ما ثمّ غير ما ذكرنا. فمن عندنا التلقي لتدلّيه، والترقي لتدانيه، وبين هذين الحكمين ظهور البرازخ، التي لها المجد الشامخ، والعلم الرّاسخ).

وفي الباب 90 تكلم الشيخ عن اختيار الله تعالى من البيوت البيت المعمور فقال: (وأمّا اختياره البيت المعمور، فلأنه مخصوص بعمارة ملائكة يخلقون كل يوم من قطرات ماء نهر الحياة الواقعة من انتفاض الروح الأمين، فإنه ينغمس في نهر الحياة كل يوم غمسة لأجل خلق هؤلاء الملائكة عمرة البيت المعمور، وهم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لا يعودون إليه أبدا. وبقي السرّ في المكان الذي يعمرونه هؤلاء الملائكة، وما ثم خلاء، والعالم كله قد ملأ الخلاء، فابحث عليه فإنه علم جليل يوقفك على علم استحالات الأعيان في الأعيان، وتقلب الخلق في الأطوار).

وفي الفصل 21 من الباب 198 تكلم الشيخ عن التناسب بين البيت المعمور في السماء السابعة والقلب فقال: (وهذا البيت له بابان، يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك ثم يخرجون على الباب الذي يقابله، ولا يعودون إليه أبدا. يدخلون فيه من الباب الشرقي لأنه باب ظهور الأنوار، ويخرجون من الباب الغربي لأنه باب ستر الأنوار المذهبة، فيحصلون في الغيب، فلا يدري أحد حيث يستقرّون. وهؤلاء الملائكة يخلقهم الله في كل يوم من نهر الحياة من القطرات التي تقطر من انتفاض جبريل، لأن الله قد جعل له في كل يوم غمسة في نهر الحياة. وبعدد هؤلاء الملائكة في كل يوم تكون خواطر بني آدم. فما من شخص مؤمن ولا غيره إلا ويخطر له سبعون ألف خاطر في كل يوم، لا يشعر بها إلا أهل الله. وهؤلاء الملائكة الذين يدخلون البيت المعمور يجتمعون عند خروجهم منه مع الملائكة الذين خلقهم الله من خواطر القلوب، فإذا اجتمعوا بهم كان ذكرهم الاستغفار إلى يوم القيامة. فمن كان قلبه معمورا بذكر الله مستصحبا كانت الملائكة المخلوقة من خواطره تمتاز عن الملائكة التي خُلقت من خواطر قلب ليس له هذا المقام، وسواء كان الخاطر فيما ينبغي أو فيما لا ينبغي. فالقلوب كلها من هذا البيت خُلقت، فلا تزال معمورة دائما، وكل ملك يتكوّن من الخاطر يكون على صورة ما خطر سواء).

وفي هذا الموضوع ينظر أيضا 405 وهو في معرفة منازلة «من جعل قلبه بيتي وأخلاه من غيري، ما يدري أحد ما أعطيه، فلا تشبّهوه بالبيت المعمور فإنه بيت ملائكتي لا بيتي، ولهذا لم أسكن فيه خليلي إبراهيم – عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ –».

أي كلاهما بُعد، وهو التجلي في الاسم «البعيد»، الذي قيل فيه ﴿يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فصلت: 44]. والإشارة على قسمين: إشارة تقتضي البُعد، وتبلغ ما لا يبلغ الصوت؛ وإشارة تقتضي القرب ولكن بحضور ثالث أو أكثر. فالبعد الذي يكون فيه كون الأغيار حاضرين، وهو الذي يُسمّى «خائنة الأعين»، وهذا لا يكون في هذا الطريق. ويأتي هذا في التجلي، هو تجلي الخيال. ومن تحقق في العبوديّة لم تكن له خائنة أعين، ولا مكر ولا غيره، لأنّ مقام العبوديّة لا يصحّ إلا لمن دامت مشاهدته، لأنّ حقيقتها تقتضي ذلك. ومتى أردت المكر بعبد فقد خرجت من مقام المشاهدة، ولم تكن عبدا. ومتى طرأ على المتحقق في مقام العبودية طارئ يناقض مقامها في ظاهر الحس، فهي تفيده ذوقا كيف التحقق في ذلك، وكيف الجمع بين الأمرين. فتحقق ترشد[1].

---

(1) في الباب 280 من الفتوحات المتعلق بمنزل سورة الهمزة قال الشيخ عن خائنة الأعين: (ومن هذا المنزل قيل للنبي -ﷺ- في فتح مكة لمّا وقف بين يديه رجل ممّن كان النبي -ﷺ- يريد قتله، فلمّا قضى حاجته منه وانصرف قال النبي -ﷺ-: لِمَ لمْ تقتلوه حين وقف بين يدي؟ فقال له أصحابه: هلا أومأت إلينا بطرفك؟ فقال -ﷺ-: «ما كان لنبي أن تكون له خائنة عين». وهي حالة لا يُسلم منها، وغاية أن يسلم منها من سلم في الشر. وأمّا في الخير فإنهم ربما اتخذوها في الخير طريقا محمودة، فيومئ الكبير في حق الحاضر إلى بعض من يمتثل أمره أن يجيء إليه بخلعة أو بمال يهبه لذلك الحاضر، يكون ذلك إيماء بالعين لا تصريحا باللفظ، من غير شعور من يومي في حقه بذلك الخير. ولا يقع مثل هذا -وإن كان خيرا من نبي-، وسببه أن لا تعتاده النفس، فربما تستعمله في الشر لاستصحابها إيّاه في الخير، إذ كانت النفس من طبعها أن تسترقها العادة. وإنما سُميت «خائنة عين» لأن الإفصاح عمّا في النفس إنما هو لصفة الكلام، ليس هو من صفة العين، وإن كان في قوة العين الإفصاح بما في النفس بالإشارة، ولكن إنما لها النظر، والذي عندها من صفة الكلام إنما هو أمانة بيدها للكلام، فإذا تصرّفتْ في تلك الأمانة بالإيماء والإشارة لمن تومئ إليه في أمر مّا فقد خانت الكلام فيما أمّنها عليه من ذلك، فلهذا سميت «خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ»، فوُصفت بالخيانة، والخيانة التصرف في الأمانة. فإنّ الأمانة ليست بملك لك، وإنك مأمور بأدائها إلى أهلها، فإذا اقتضى المنزل الأمر بخير وشر في حق شخص، وفي قوّة العين الإفصاح عن ذلك لمن يشير إليه به، فعلمت أنّ ذلك صفة للكلام فلم تفعل، وردت تلك الأمانة إلى اللسان فنطق، فقد أدّت هذه العين الأمانة إلى أهلها ولم تخن فيها. قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ أي يعلم أنها خيانة، وكيف هي خيانة، ولم يقل «يعلم ما أشارت به الأعين، وما أومأت»، فإنّ المشار إليه يعلم ذلك، فلا يكون مدحا. ولكن لا يعلم كل أحد أنها خيانة إلا من أعلمه الله بذلك، وقد أُعلِمْنا بها

إنْ سرتَ بأهلك آنستَ نارا، وكلّمتَ العزيز جهارا.

قوله: «إنْ سرتَ بأهلك آنستَ نارا»: أي ميراثا موسويا، أي إذا جئت إلى الحق فلا تترك منك مع الكون شيئا، بل احضر بجميعك، فلا يكون لك خاطر تفرّقه أبدا، بل تكون مجموع الهمّ في الدخول على الله تعالى. وإذا خرجت من الحق اترك الكون عنده، واخرج بالحق إلى الحق.

لو لم تسر بأهلك لرأيت النار نورا، وكشفنا في أوّل نظرة عن عينك أغطية وستورا.

قوله: «لو لم تسر بأهلك لرأيت النار نورا»: أي أنك هناك أضفت الأهلية إليك، وصرت مالكا فخرجت عن مقام العبوديّة. ففي هذا المقام الثاني حيث وجدت معك الجميع من غير إضافة، وما أظلم الكون إلا بإضافة بعضه إلى بعض، وهي ظلمة الدّعوى. وفي الأوّل حصل الحجاب بنسبة الإضافة، فافطن للدقيقة بينهما[1].

لا تطلب رداء[2] سواه، فمن توكّل عليه كفاه. اطلب الرّداء من جنسك، فإنه قد شاء أن يكون أقوى لنفسك.

قوله: «لا تطلب ردْءًا سواه»: أي معينا. وقوله: «اطلب الرِّدْأ من جنسك»: أي لخور الطبع، فإذا كنت في مقام لا تقوى فيه على ما يقتضيه المقام الأوّل فانزل إلى المقام

فعلمناها، فهي في الخير خيانة محمودة، وفي الشر خيانة مذمومة، وما زالت عن كونها خيانة في = = الحالين. وبعد أن بيّنا لك هذا الأمر فتحفظ منها ما استطعت أن تفعلها مع الحضور، فإنك لست بمعصوم، فاستعمل الحضور عسى تفوز بهذا المقام).

(1) أي إذا رأيت كلّ شيء- كالأهل وغيرهم من كلّ بعيد وقريب- من الله تعالى وبه وإليه، فإنك لا ترى سوى النور، إذ هو سبحانه نور السماوات والأرض وإليه يُرجع الأمر كلّه.

(2) الرداء هنا هو المساعد المعين، ففي الباطن لا ترى العون إلا منه تعالى، إذ لا فاعل سواه، وأمّا في الظاهر فاستعمل الأسباب التي وضعها الحق تعالى في بساط حكمته، كما طلب موسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وزيرا وردءا من جنسه، فقال: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ [القصص: 34].

الثاني، فهو بمنزلة قوله- عَلَيْهِ السَّلَامُ-: (اعقلها وتوكّل)[1] ليكون القلب مطمئنا.

ألق تابوتك في اليمّ مطبقا[2]، فإنه لا بدّ من اللقا.

أي: لج في الغمرات فالمقدّر كائن.

لا تلقه بحال، وأخلص لربّ المِحال.

أي: إنما ولجت الغمرات لتعظيمك الأكوان، فإذا أخلصت لله تعالى فإنه لا تجد من تعظمه سواه، فلا تبقى معك غمرات تخوضها، بل تسلِّم ولدك موسى تسليما. و«المِحال»: الشدّة والقوّة فلا تهولنّك الشدائد، وقف مع الشديد.

إن خفت القَسْوَرَة في القفر، فاضرب بعصاك متن البحر، فإن انفتح لك طريق، فاعلم أنك على منهاج التحقيق[3].

قوله: «إن خفت القَسْوَرَة في القفر»، والقسورة: الأسد، إي إذا خفت أمرا هائلا فوازن بينه وبين ما هو أهول منه، وارم نفسك في ذلك الذي هو أهول، فإنّ الهول الذي ألقيت نفسك فيه إذا طلب الهول الآخر أهلكه، وخلصت أنت منه، فذلك قوله «فاضرب بعصاك البحر». فطلبك في المكان الذي التجأت إليه لتخفر ذمّة الحق فيك، فتهلكه الذي استندت إليه. ويُنظر إلى هذا ذمّة الإسلام وقوله: (يسعى بذمّتهم أدناهم)، فما ظنك بذمّة الحق. قوله «فإن انفتح لك طريق»: أي إذا رميت نفسك فوجدت سكونا وطريقا فاعلم أنه قد قبِلك، فحينئذ من طلبك أهلكه.

لا تَخَفْ ولا تضرب، واثبت ولا تهرب.

قوله: «لا تخف»هذا مقام القوّة[4]، والأول مقام الاضطراب.

يا عجبا كيف السلامة والبحر مديد، والقسورة في البيد. لا ملجأ ولا وَزَر، وإلى ربّك يومئذ المستقرّ.

---

(1) الحديث أخرجه الترمذي من حديث أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وابن حبان وأبو نعيم في الحلية.

(2) إشارة إلى إلقاء أمّ موسى التابوت الذي فيه موسى في اليمّ.

(3) الإشارة إلى موسى- عَلَيْهِ السَّلَامُ- لمّا ضرب بعصاه البحر فانفلق، ومن وراء قومه فرعون وجنده المشبه بالقسورة الذي هو الأسد الهائج.

(4) من هذا المقام قوله تعالى لموسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴾ [طه: 68].

أي يا عجبا كيف يسلم الإنسان والطريق بعيد والآفات كثيرة. والقسورة هاهنا هو الهوى، وهو غالب، فلذلك لا ملجأ لك إلا الله الذي إليه مستقرّك.

إذا توكلت عليه في يقظتك ونومك، وعلمت أنه لا بد من يومك، فلا تعجل عن قومك(1).

قوله: «إذا توكلت عليه إلى آخر المعنى»: أي إذا تحققت بمعرفة القدَر فلا يؤثر فيك الحذر ولا غير الحذر، فلا تطلب غدا أبدا، واترك غدا هو الذي يطلبك بما فيه من التجليات. قوله «فلا تعجل عن قومك»: لمّا عجل موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إنما عجل للأمر ليكون من المسارعين إلى الخيرات. وإلا لو عجل من غير أمر لكانت عجلته إلى هواه، وهو -عَلَيْهِ السَّلَامُ- كان من العارفين بالله المحققين، وإنما عجل للأمر الإلهيّ.

واعجل للنور المبين لعلّ قومك يُفتنون.

قوله: «اعجل للنور المبين»: أي أنت في دار التكليف، فإذا جاءك الأمر فبادر إليه. فمتى وردت على الحق فلا بد من ضيافة يضيفك بها، فلم تكن ضيافة أعلى عند الله تعالى في حقك أن تُفتَن رَعيّتك من بعدك في دينهم. فإذا رجعت إليهم ووجدت ما وقع بعدك من فتنتهم تألّمتَ. فالذي يحصل لك في ذلك التألّم هو ضيافتك عند الله تعالى. فإن لم تجد ذلك الألم عند ذلك الأثر فاعلم أنك مبعود ولو رأيته من الحق. ولمّا أضاف الحق سبحانه لموسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بكلامه، بقي من كمال النعمة أن يضيّفه ظاهرا، فابتلاه بالألم الداخل على قلبه من عبادة قومه للعجل، ليجعل ذلك البلاء سببا للضيافة الظاهرة لتتمّ النعمة.

لا تستخلف على أمّتك، فيأخذ بعض الناس في هِمّتك.

أي أنزل الحق خليفتك عليهم كما قال -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: (اللهم أنت الخليفة في الأهل)(2). وأمّا موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فمن فرحه وسروره بوعد الحق له استخلف أخاه

---

(1) الإشارة إلى قوله تعالى عن موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ۝٨٤﴾ [طه: 83/ 84].

(2) الحديث: «اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل» -رواه مسلم وغيره من حديث ابن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-.

لفرط سروره بالوعد.

استخلف ولا تعرف.

أي استخلف الحق في الحقيقة، ولا تبالي حينئذ بمن تختاره من عالم الحس، فإنك إذا توكلت على الحق واستخلفته، وفّق خليفتك الذي هو في عالم التكليف، وهي سنّة الله تعالى.

لا تطلب مائدة حتى تعرف شرطها، ولا تقصد رفعها وحطّها حتى تعرف معناها، وما أراد بها مولاها[1].

أراد بالمائدة أيّ حاجة طلبت، فلا تطلبها حتى تعلم ما يترتب عليك من الحقوق من جانب الله تعالى. فإن علمت أنك تقوم به فحينئذ، وإنْ لَمْ فدعه سبحانه يختار لك ما يعلم فيه صلاحك. وانظر قوله تعالى في شرط المائدة: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة: 115]، وذلك بمنزلة من يطلب الإمارة فيُوكَل إليها، وإن جاءته من غير طلب بعث الله إليه ملكا يسدّده[2].

لا تطلبها ما بقِيْتَ، واشتغل بما به نودِيتَ.

أي اشتغل بما أُلزِمت به من غير طلب.

إن اتّبعتَ النصّ، أحييت الموتى وأبرأت الأكمه والأبرص[3].

أي إذا وردت عليك مسألة شرْعية في طريق المعاملات، فتركت ظاهرها، وعملت على التأويل، فكأنك شرعت لنفسك شرعا، وهذا في المعاملات الظاهرة. وأمّا

(1) الإشارة إلى طلب الحواريين من عيسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- نزول مائدة من السماء.

(2) روى البخاري في صحيحه عن عبد الرحمن بن سمرة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قال قال لي رسول الله -ﷺ-: «يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة، فإن أعطيتها عن مسألة وُكِلتَ إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أُعِنْتَ عليها، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك». وفي نفس المعنى وردت روايات أخرى.

(3) الإشارة إلى عيسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-، قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [آل عمران: 49].

الكشوفات العلميّة فلا يأخذ منها إلا المعاني فقط، واعدل عن الصور والألفاظ التي تحتاج إلى التأويل، فإنّ المعاني لا تتداخل، وهي نصوص التجلّيات.

جَنِّبِ النَّص، وعليك بالبحث والفحص.

أي هذا لأجل قوله تعالى: ﴿انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: 101]، وقوله: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: 191]. فهاهنا ننظر امتثالا لهذا الأمر. وإذا وفّيت هذا الأمر حقه حينئذ تطلب من الحق الفائدة التي ينتجها الحق سبحانه، لا من الفكر. وكذلك إذا سمعت كلام المخلوقين فسمعته منه سبحانه، وتطلب منه أن تتّبع القول، فتجتنب نص الكلام الظاهر المسموع الكوني، وتأخذ منه الحق فيه أحسن ما تحمله وجوه ذلك القول(1).

لا تجعل الغراب دليلك فتشقى، ولا تترك أخاك على ظهر الأرض لَقَى(2).

أي لا تجعل الغيب دليلا على الظاهر، فإنه لا يصحّ وأنت في الظاهر في الاختيار. فإن كنت في مقام السمع عن الله تعالى، ويكون ذلك اللفظ قد وضع لأمر آخر، وفي قوّته أن يعطي ما يرده عليك، فقد يكون في هذا الموضع الظاهر دليلا على الباطن.

هو أسدّ دليل، على أرْفع سبيل.

قوله: «هو أسدّ دليل» أي الغيب دليلا على نفسه، والشيء إذا كان دليلا على نفسه كان أوضح الأشياء.

لا يغلَبْ على مقلتك النوم، فتـنفُشَ غنمُك في حرث القوم(3).

أي إذا لم تراقب خواطرك فإنها تتصرّف في ما لا ينبغي، والنفش هو الرّعي ليلا،

---

(1) للتوسع في موضوع السماع المطلق ينظر في الفتوحات البابان 18/ 2/ 183 وهما في السماع وأسراره وتركه.

(2) لقى: مُلقى، والإشارة إلى قابيل، قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائدة: 31].

(3) الإشارة إلى حُكم داود وسليمان- عَلَيْهِمَا السَّلَامُ-، قال تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: 78/ 79].

وهو محلّ الظلمة والغيب.

نَمْ فيه تؤتى الفهم.

أي إذا نمت صرت في عالم البرزخ، وهو موضع البيّنة للوقائع والمشاهد، هو عالم الفناء.

لا تكن جبّارا فيخدعك الطريق، حتى يصيّرك ضجيع الغريق.

أي لا تتصف بالتكبّر والجبروت من غير أن يعطيك الحق ذلك، فتضلّ عن طريق الحق، كما فعل بفرْعون لمّا تكبّر بغير حق فأغرقه الله تعالى.

كن جبّارا على من تمرّد واستكبر استكبارا.

أي ذلك الوقت لِلَابس خلعة الحق، كقوله تعالى: ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ﴾ [التوبة: 73].

اجعل الأصنام جذاذا[1]، واعتصم بالله عياذا.

أي لا تستند إلى غير الله تعالى، بل إلى الله وحده ربّ الأرباب.

لا تترك الكبير، وقارنه في الهلاك بالصغير.

أي أنّ إبراهيم -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- ما ترك الكبير إلا ليقيم الحجّة على خصومه، وأنت لا خصم لك، فلمن تترك الكبير؟ وما ثمّ إلا الحق وأنت.

اترك الوجود على ما هو عليه، فكلّ ميسَّرٌ إلى ما يُسِّر إليه.

هذا مقام مذهب سهل (التستري)، أي إذا كان الأمر في غيرك، فدع حكمة الله تسري في عباده، واشتغل بنفسك. وأمّا إذا كان في نفسك فاجعل الأصنام جذاذا كما تقدّم.

غمّض عن الكوكب والقمر، وإذا رأيت الشمس فلا تقل هذا أكبر[2].

---

(1) الإشارة إلى إبراهيم -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- وتحطيمه أصنام قومه، قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنبياء: 58].

(2) الإشارة إلى إبراهيم -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- ومحاجّة قومه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: 76/ 79].

أي لا تطلب الله تعالى بالدليل، بل سله يعرّفك بنفسك.

لا تقف مع السابع من الأفلاك، وارغب إلى الله في التاسع حيث الاستواء والإملاك[1].

أي إن أوقفك الحق مع موجود من الموجودات، فارْغب في آخر موجود حتى لا يكون بينك وبين الحق كون آخر يتعرّض إليك، وأنت آخر موجود، فاعلم ذلك.

ارفع الهمم، واستعدّ لتحلّة القسَم.

أي لا تترك همّتك تتعلق بغير الله. وقوله «استعدّ لتحلّة القسَم»: يريد أنّ الإنسان إذا كان يطلب معالي الأمور، فلا بدّ له من الشدائد والابتلاء، وذلك حظ الأنبياء والأولياء وكلّ من لا يدخل النار، من النار[2].

إنْ حلّ الشمس في حَمَلِك أمِنتها، وذاقها غيرك وعاينتها.

الحَمَل بيت شرف الشمس، أي حينئذ تأمن من النار، لأنّ الشمس نور، ومن عادة النور أن يُخمِد النار. وانظر إلى الحكاية المعروفة من الذي قال إنّ العين التي كنت أعاينها حملت عنّي الألم، فلمّا غابت عني أحسست بالألم. قوله «وذاقها غيرك وعاينتها»: أي ترى غيرك من المحجوبين الذين هم بغير نور إلهي كيف يذوقونها وأنت تعاينها ولا تؤذيك.

فإنْ تنزّه رَبْعُك عن القِدم.

أي تتنزّه ذاتك أن تتصف بصفة واجب الوجود.

وأتاك جميع الكَلِم والحِكم.

أي أعطاك الميراث النبوي، فحينئذ:

---

(1) سابع الأفلاك هو السماء السابعة، والثامن هو الفلك المكوكب، والتاسع هو العرش المحيط الذي استوى عليه الرحمن.

(2) أي أنّ شدائدهم في الدّنيا هي حظهم من النّار، وفي الآخرة لهم النعيم المقيم. أمّا أهل النار فأوصافهم مخلوقة منها، قال تعالى: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ [الأنعام: 139]. ويقول الشيخ في الباب 367 من الفتوحات:

فالنار منك وبالأعمال توقدها	كما بصالحها في الحال تطفيها
فأنت بالطبع منها هارب أبدا	وأنت في كل حال فيك تنشيها

فأنشِد كما أنشدتُ ولا تهتم:

يشير إلى النظم الذي يلي هذا الكلام، وهو:

بدني أضحى إلى الأمم ... نائبا عن كعبة الحَرَم

قوله: «نائبا عن كعبة الحَرَم»: يشير إلى ما قال- عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- مخبرا عن الله تعالى: (لا يسعني شيء، ووسعني قلب عبدي المؤمن) الحديث[1]. فكان القلب هنا أوسع، فلو شرع الطواف بالعارف لكان الطواف به أوْلى من البيت. وذكر كعبة الحرم تشريفا. وكونه جمع «الأمم» في أوّل البيت: يقول كلّ بيت لأمّة من الأمم يُطاف به، فبدني يغني عنه لجمعي لسائر المقامات[2].

فما من ملّة من الملل، ولا لأهل نِحْلة من النِّحَل، إلا ولها وجه إلى الحق في نِحلِها، إذ لا ناصب لها إلا الله تعالى، فلا يخرج عنه شيء[3]. قال أبو العتاهية - رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

وفي كلّ شيء له آية ... تدلّ على أنه واحد

كعبة للسرّ[4] طاف بها ... كلّ من يمشي على قَدَم

---

(1) الحديث القدسي: «ما وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن» له شاهد عند أحمد والطبراني وابن ماجه. واستشهد به الشيخ في العديد من أبواب الفتوحات وكتب له أخرى.

(2) في هذا السياق وردت روايات حديث متطابقة المعنى منها قول عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا-: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ وَيَقُولُ: «مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ، مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكِ مَالِهِ وَدَمِهِ وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا». وفي الباب 72 من الفتوحات المتعلق بأسرار الحج يُنظر مدى تعظيم الشيخ للكعبة المشرّفة، وله كتاب في مخاطبة الكعبة بأسمى عبارات الإجلال والحبّ، سمّاه «تاج الرسائل ومنهاج الوسائل» يتضمّن سبعة رسائل، لكلّ شوط من الطواف رسالة.

(3) قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۢ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأنعام: 108]. وقال تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ [الحج: 67].

(4) أي أنّ الوارث المحمديّ في عالم الأسرار والأرواح يقصده طلّاب طريق الحق كما يقصد الحجّاج الكعبة المشرّفة.

أي دخل فيها كلّ دابّة لقوله «كل من يمشي على قدم». قال تعالى: ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: 38].

مـن أراد الـحـج يـقـصِـدهـا ... مـن جـمـيـع الـعُـرْب والـعَـجَـم

الحج هاهنا مخصوص بالسالكين. وقوله «من جميع العرب والعجم»: أي من يعلم ومن لا يعلم.

أنـا سـرّ الـخـلـق كـلِّـهـم ... وأنـا الأقْـسِـمَـةُ[1] الـكَـلِـم

قوله: «أنا سرّ الخلق كلهم»: أي من كوني إنسان كامل، والخلق بقية كلّ ما سوى الإنسان. وقوله «أنا أقسمة الكلم»: أي أنا ألسنة جميع العالم، فبي يترجم الجميع[2].

إنـنـي شـفـع وَوَتـر إذا ... لـم يـكـن بـالـرّبـع مـن إرَم[3]

يريد بالشفع رؤية الإنسان في وجوده في محلّ الشفعية، وإذا كان بالحق فما في الدّار حينئذ إلا الله.

أنـا: «كُـنْ»،[4] لكنني شبَح ... قـابـل لـلـجـهـل والـحِـكـم

يقول: أنا كلمة الحضرة لكنني شبح قابل للجهل والحِكَم، كما أنّ «كن» تتعلق بإيجاد الجاهل والعالم.

فـيـكـون الـجـهـل فـي صَـبَـب ... ويـكـون الـعِـلـم فـي عَـلَـم

أي يكون العلم في ارتفاع، ويكون الجهل في سفل.

إنـنـي لَـوْحـان قـد رُقـمـا ... غـيـر أنّ الـوَتـر فـي الـقـلـم

الرقم هو من الوجهين الواحد في عالم الغيب والآخر في عالم الشهادة، والقلم الرّاقم واحد.

أنـا وصـف الـوصـف فـاتـصـفـوا ... أنـا ذات الـذات فـالـتـزم

---

(1) الأقسمة: جمع أقسومة، وهي الحظوظ المقسومة بين العباد.

(2) المتكلِّم هنا هو لسان الحضرة المحمّديّة. والإنسان الكامل ذو الخُلُق العظيم هو سيدنا محمد-ﷺ-، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الزخرف: 81].

(3) من إرم: من أحد.

(4) أي أنا موجود بأمر الله «كن»، فأنا مَظهر لها.

قوله: «أنا وصف الوصف»: أنا معنى الوصف الذي هو حُكم الصفة. وحُكم الصفة أن يقال عالم لمن قامت به صفة العلم. وقوله «أنا ذات الذات فالتزم»: وإنما قال في الذات «التزمْ» للواحد، لأنه ليس للذات سوى وصف واحد ثبوتي، وأمّا الصفات فكثيرة فلذلك جمع فيها وأفرد في الذات.

أنا سرّ السرّ مذ عدلت همّتي عن موقف الهمم

سرّ السرّ هو الغيب الذي يدلّ عليه السرّ، وهو ممّا لا يُعلم ممّا سيُعلم بعد ذلك.

أنا نور النور مذ برزتْ بوجودي درّة الظلم

قوله: «نور النور»: أي أنا الذي أضاء النور به. وعني بالنور الذي كنّاه هاهنا النور المضاف إليه نور السماوات والأرض، وهو النور الذي ظهر به عالم التدوين والتسطير. ونور هذا النور الذي أضاء به النور الذي انصبغ به العماء الذي خلق فيه -الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- الكروبيون. وقوله «درّة الظلم»: هو النور الذي وُجد عنه عالم الخلق وانصبغ به، وهو النور الثاني[1]، فتحقق ترشد.

أنا عزّ العزّ ما ملكتْ نفسي ذات الدلّ والعَنم[2]

قوله: «أنا عزّ العزّ»: أي بي يحتمي الأحمى، إذ الحِمَى الذي للملك: أنا أحتمي بالملك، كقوله «نور النور». فلم تملكني الحِكم المعارف الأسمائية الإلهية لتحققي بعبوديتي، فالعبودية «ذات الدلّ والعنم»: فالدلّ منها ما لها من الإمداد في العالم، وهو من الجارية بمنزلة غدائر شعرها، لأنّ «الدلّ» في اللغة هو الشعر المدلّى. والعنم ما لعالم الطبيعة فيها من التأثير لأنها مطلوبة بالنزول إليها، كما طلبت هي الحق للنزول إليها.

من رآني قد رَأى ما خفى في مثال النور والقِدَم[3]

---

(1) لمعرفة تفصيل نشأة مراتب الوجود من عنصر النور المحمّديّ الأول وما يضاهيها في الإنسان، يُنظر كتاب الشيخ «عنقاء مغرب»، وشرحنا عليه. ويُنظر أيضا كتابه «عقلة المستوفز» والباب السادس من الفتوحات وهو في معرفة بدء الخلق الروحاني.

(2) العَنَم في اللغة نبات أملس دائم الخضرة يُتّخذ منه خضاب، والعنم يقال أيضا على الخيوط التي يتعلق بها الكرم في تعاريشه.

(3) روى الترمذي قوله-ﷺ-: «من رآني فقد رأى الحق». وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 10].

قولـه: «في مثال النـور والقدم»: هو ما ظهر، والقِدم نفي الأوّليّـة. وإن كان «القَدَم» -بفتـح القـاف- فهـو العنايـة السـابقة. وأراد بـ«مثال»قولـه في التشـبيه: ﴿ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ [النور: 35].

بـلـغ الـغـايـة قـلـب فـتـى ليمين اللّـه مستلم

قوله: «ليمين الله مستلم»: أي أخذ العهد على أن لا يدّعي شيئا من الرّبوبيّة.

قـد أبحـنـا لـثـمـهـا فـمـه علـيّـة فـي سـابـق الـقِـدم

قوله: «عليّة في سابق القِدم»: كأنّ الحق يقول: لعلوّ منزلته عندنا منحناه بهذه الصفة السابقة القِدم أنّ له قدَم صدق عند ربّه.

سـعـد نـفـسـي إنـهـا سـعـدت بـسـلـوك الـواضـح الأمَـم

قوله: «الواضح الأمَـم»: أي منهج الشريعة الذي سلكت عليه لهذه المرتبة. و«الأمَم»: الطريق المستقيمة.

لـم يـنـلـهـا غـيـرُ عـاشِـقِـهـا مـثـلـهـا فـي سـالـف الأُمـم

أي سلكتها بعشق ومحبّة، يعني أنه كان في مقام المحبّة، وهي إرادة خاصّة.

يـا رجـالا غـيـرنـا طـلـبـوا أيـن جـود الـبـحـر مـن كـرمـي

يريد أنّ كرمي لا يشبّه بالأكوان.

ارجـعـوا واسـتـلـمـوا كـفّ مَـن إنْ يـهـب لـم يـخـش مـن عـدم

قوله: «لم يخش من عدم»: أي أنّ له الغنى المطلق في عبوديّته عن كلّ ما سوى الله تعالى.

كـلّ طـرْف فـي الـعُـلـى سـانـح نـحـونـا، وجـدانـنـا يرتمي[1]

كـلّ سـرّ خـافـض رافـع لـوجـودي رغـبـة يـنـتـمـي.

يقول: كلّ براقات معارج الهمم إلينا ترتمي، وكلّ سرّ، أي كلّ ما في العالم من العلوم والأسرار ينتمي إليّ يقول: «أنا من فلان».

مـذ حـلّ الـشـمـس فـي حَـمَـلـي أمـنـوا تـحِـلّـة الـقَـسَـم

(1) وجداننا يرتمي: أي يطلب وجودنا في وُجْده.

قوله: «حلّ الشمس في حملي»: أي طلوع الحق في برج السعد، وهي صفات التنزيه.

وقوله «أمنوا تحلّة القسَم»: أي من عالم العقل أنْ يؤثِّر فيه عالم الطبيعة[1].

لـم نـزل ولا نـزال غـدا فـي نـعـيـم غـيـر مـنـصـرم

قوله: «لم يزل في نعيم»: أي استمرار المشاهدة في وجه الحق حيث كان.

وشـمـوس الـوصـل طـالـعـة وخـسـوف الـهـجـر فـي عـدم

الوصل عبارة عن الوجود، والهجر عبارة عن العدم.

انـظـروا قـولـي لـكـم فـلـقـد عـيـن كـلّ الـنـاس عـنـه عَـمِـي

أي ما كلّ أحد يرى هذه المعاني التي رأيناها. وأراد بالعين أو الطرف عين اليقين.

تـجـدوه واضـحـا حـسـنـا مـنـبـئـا عـن رتـبـة الـكـرَم

يريد برتبة الكرم: العطاء الذاتي.

ثمّ قال: يا بنيّ، فإذا ظهرت لمستوَى، وأُيِّدتَ بالأسرار الإلهية والقُوى.

قوله: «لمستوى»: أي لأمر يستوي عليه كائنا ما كان. ومعنى «ظهرت له»: أي كان تحت قهرك، ولذلك قال بعده: «أُيِّدتَ بالأسرار الإلهية والقُوى».

سمعت صريف القلم، في لوح المحو بالقِدم.

قوله: «سمعت صريف القلم»: يريد ترجمة المسطر المعبّر عنه بالقلم. وقوله «في لوح المحو بالقِدم»: أي أثبت لك المعرفة بأنك محو، أي فلا تطمع بالنور الذي عندك فهو عارية للحق. وكذلك خلق الله القمر محوا في الأصل، وسُمِّي بمجاورة الشمس له: «نور»، لا من أصالته.

هنالك إذا لم تر شيئا فقد رأيتَ، وإذا لم تسمع شيئا فقد سمعتَ.

أي يرى حينئذ الحق لأنك أتيت بالعجز لعدم الإدراك، وكذلك قوله في السماع.

فإذا رُفِع لك سرّ الستر، واتصل الشفع بالوَتر، كان هو ولا أنت، وظهر الحق وخفيت، وغبت عن البيت، وعن صاحب البيت، فرأى نفسه بنفسه، وعاد العدد إلى أُسِّه.

---

(1) برج الحمل هو برج الشرف للشمس، يعني هنا أنّ بإشراق نور التوفيق والمعرفة الإلهية في ذات السالك المحمّدي يأمن عالم عقله من تأثير ظلمات الطبيعة.

قوله: «إذا رُفع لك عن سرّ الستر»: أي تعلم لأيّ شيء حُجبتَ. قوله «واتصل الشفع بالوتر»: أي ظهر الحق فيك، واتصل اتصال مجلى الشمس في البدر: اتصال من غير اتصال، وانفصال من غير انفصال. قوله «كان هو ولا أنت»: أي لا يصح ظهوركما معا قط، فإذا ظهر الحق خفيتَ، وذلك عند تجليه لك فتغيب عنه وعن العلم به لخفائك فيه، فلذلك قال: «فرَأى نفسه بنفسه، لأنني لمّا استترت بي عنه إجلالا له، استترتُ فيه عني جزاء لاستتاري بي عنه إجلالا له. وذلك أنّ العبد في حضوره في مقام العبودية مستور عن الحق تنزيها للحق، لا يرى في عبوديته منه شيئا. فلمّا أخذه الحق من عبوديته لهذا المشهد استتر العبد في الحق عن وجود نفس العبد، جزاء لِما تقدّم وفاقا. فتحقق ترْشد وقل: ربّ زدني علما.

فإن قضى لك بالرّجوع، ومفارقة ذلك المكان المنيع، ولا بدّ ذلك للوارث فإنه من تمام النعمة، ولطيف الحكمة، حتى يتنعم الظاهر والباطن، ويُقْرَى الرّاحل والقاطن، فاجهد في سلوك هذه المقامات، واعلم أنه من أراد اللقا مات[1]، فسلِّم الأمر إليه، وتوكّل في سلوكك عليه، حتى تقف بين يديه.

قوله: «فإن قضى لك بالرجوع»: إي إلى عالمك. قوله «ومفارقة ذلك المكان المنيع»: أي الذي لا يُنال. قوله «ولا بد للوارث من الرّجوع»: أي الوارث للرّسل في التبليغ عن الله تعالى، لأنهم رجعوا من عند الله تعالى إلى العوالم، وبالله التوفيق.

قال السالك:

ثمّ قال لي: اسبرْ هذه الوصيّة في محلّ النظر، ومجاري العِبَر، وتخلّق بها على الطرد والعكس، تارة مع العقل وتارة مع النفس. ففرحت بوصيّته[2]، ورغبتُ في استدامة صحبته.

قوله: «اسبر هذه الوصيّة»: أي اختبرن والمسبار هو المرْود الذي يُختبر به عمق الجرح.

---

(1) أخبر النبي -ﷺ- أنه لن يرى أحد ربه حتى يموت، أخرجه مسلم في صحيحه.

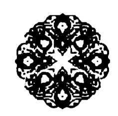
(2) أي وصيّة الوصيّ قطب الشريعة.

فقال: آلَى العبد أن لا يصحب سوى مولاه، وأن لا ينظر سواه. ولم يزل يُطنب في الدّعاء، ويَجتهد في الثناء.

قال السالك:

فقام أهل المجلس وقالوا على لسان واحد:

يا سيّدنا أدَرّ الله دَرَّك، وألحق بك الحق ودرّك، لله أنت من خطيب ما أفصح لسانه، وأحسن بيانه، وأطلق في شأو البلغاء عَنانه، وأكنَّ من الدُّرّ جَنانه، وأكتب للبدائع بنانه، وأعذب كلامه، وأشهى إلى الأسماع نثره ونظامه، لقد بالغتَ في الوصيّة، وأوضحتَ المقامات السنيّة، وأعربت عن أسرار الصوفية، ودللتَ على الطريق الأقوم، والمنهج الأقدم، جازى الله سبحانه مجدكم على ما منح، ووهب له جزيل المِنح.



بسم الله الرحمن الرحيم

قال السالك:

ثمّ أنشأني نشأة أخرى، وتلى: ﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَا﴾ [المؤمنون: 44]، فسوّيتُ جناح اللطائف، وامتطيتُ متون الرّفارف[1].

قوله: «الرفارف العلى»: يريد بها هاهنا المراتب.

وطرتُ في جوّ المعارف، كالبرق الخاطف، وإذا هي ثلاثمائة رفرف، تُدْعَى بالملإ الأشرف.

قوله: «ثلاثمائة رفرف»: أي ثلاثمائة خُلُق إلهية، وهو خبر عن النبيّ -ﷺ-: (إنّ لله ثلاثمائة خلق، من تخلّق منها بخُلق فقد سعد)[2].

---

(1) كلمة «رفرف» تعني عند الشيخ المقامات العلوية بين الكرسي والعرش، أو مدارج الجنان، أو المراتب الملائكية.

(2) الحديث روى مثله الطبراني، وله روايات أخرى متقاربة المعنى. وقد تكلم الشيخ عن معنى هذا الحديث في الباب 73 من الفتوحات في جوابه عن السؤال 46 من أسئلة الحكيم الترمذي: كم عدد الأخلاق التي منحه عطاء؟(أي منحها لآدم -عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ-). الجواب: ثلاثمائة خلق، وهي التي ذكر النبي -ﷺ- «أنّ لله ثلاثمائة خلق من تخلق بواحد منها دخل الجنة». ولهذا قال في الثلاثمائة إنهم على قلب آدم -عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ- يعني هذه الأخلاق التي منح الله آدم. فمن كملت نشأته من بنيه قبل هذه الثلاثمائة من الخُلق. ومن لم يكمل كمال آدم فله منها على قدر ما أعطي من الكمال، فمنهم الكامل والأكمل. وهذه الأخلاق خارجة عن الاكتساب، لا تكتسب بعمل، بل يعطيها الله اختصاصا، ولا يصح التخلق بها لأنه لا أثر لها في الكون، وإنما هي إعدادات بأنفسها لتجليات إلهية على عددها، لا يكون شيء من تلك التجليات إلا لمن له هذه الأخلاق، فناهيك من أخلاق لا تعلق لها لمن كان عليها واتصف بها إلا بالله خاصة، ليس بينها وبين المخلوقين نسب أصلا. فقول النبي -ﷺ-: «من تخلق بواحد منها» أراد من اتصف بشيء منها، أي مَن قامت به. فإنّ الأخلاق على أقسام ثلاثة: منها أخلاق لا يمكن التخلق بها إلا مع الكون كالرحيم، وأخلاق =

فعاينتُ من علم الغيوب عجائبا تصان عن التذكار في رَأي من وَعى

قوله: «فعاينتُ من علم الغيوب عجائبا»: أي في سفره هذا، وهو السفر في الله. وهي ثلاثة أسفار: سفر منه، وسفرإليه، وسفر فيه. فالسفر منه هو الخروج من حضرة الشهود إمّا لتجلّ آخر، وإمّا إلى الكون. والسفر إليه قد يكون منه، وقد يكون من كون مّا، إمّا النفس أو غيرها. والسفر فيه لا يصحبه حجاب، وليس للكون دخول فيه أصلا. ويريد بالغيوب هاهنا الغيوب الذاتية، التي ترجع إلى الحق تعالى، والغيب علينا مثل الستر، وهو ظلّ الله تعالى. قوله «تصان عن التذكار»: أي لا تحملها العبارة ولا تجد إليها سبيلا.

فمن صادحات فوق غصن أرَاكة يُهِجْن بلابيل الشجيّ إذا خلا[1]

قوله: «فمن صادحات»: أي خطاب مشاهدة، وهي بمنزلة صلصلة الجرس، وهي تورث الصعق، ولها من كتاب الله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾ [سبأ: 23].

ومن نيّرات سائلات ذواتها أفيضوا علينا النور من فرصة المَها

= يتخلق بها مع الكون ومع الله كالغفور، فإنه يقتضي الستر لِما يتعلق بالله من كونه غيورًا، ويتعلق بالكون، وأخلاق لا يُتخلق بها إلا مع الله خاصة، وهي هذه الثلاثمائة. ولها من الجنات جنة مخصوصة لا ينالها إلا أهل هذه الأخلاق، وتجلياتها لا تكون لغيرها من الجنات. ولكن هذه الأخلاق هي لهم كالخلوق الذي يتطيّب به الإنسان، فإنه وجود الريح من الطيب لا تعمّل فيه للمتطيّب به، فإنه يقتضي تلك الريح لذاته، والتخلق تعمّل في تحصيل الخُلق، وهذا ليس كذلك، فالثناء على الطيب لا على من قام به. فكذلك هذا الخلق إذا ريء على عبد قد اتصف به لم يقع منه ثناء عليه أصلا، وإنما يقع الثناء على الخُلق خاصة. فكل خُلق تجده بهذه المثابة فهو من هذه الأخلاق الثلاثمائة. فإنّ الكرم خُلق من أخلاق الله، ولكن إذا تخلق به العبد أثني عليه بأنه كريم، وكذلك الرحمة يقال فيه رحيم. وهذه الأخلاق لا ينطلق على من اتصف بها اسم فاعل جملة واحدة، لكن ينطلق عليه اسم موصوف بها. وسبب ذلك لأنه لا تعلق لها بالكون إلا بحُكم الاشتراك كالغفور، ولا بحكم الاختصاص كالشديد العقاب، ويعطيها الاسم «الوهّاب» من عين المنّة لا غير.

(1) الصادح: هو من رفع صوته بالغناء. والأراكة: شجرة كثيرة الأغصان والأوراق. وبلابيل: جمع بلبال وهو شدّة الهمّ. أي كلما خلا المهموم أهاجت الصادحات همومه. هذا المعنى الظاهر، أمّا الباطن المقصود فهو ما ذكره ابن سوكين.

«النيّرات» هنا يريد بها الأسماء تخاطب ذوات الأكابر من الرّجال، وأضافها إليها لأنها تكوّنت من الأسماء. قوله «سائلات ذواتها»: أي أنفسنا هي ذواتها، وأضيفت الأنفس إليها إضافة تشريف، وهو بعض وجوه قوله تعالى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾ [المائدة: 116]، أراد عيسى نفسه. قوله «أفيضوا علينا النور»: أي كونوا لنا مرَائي مجلوّة، حتى نرى فيكم ذواتنا فتنعكس أنوارنا علينا، فإنه لا يحمل أنوارنا غيرنا. ولذلك فإنّ العارفين إذا أخبروا بما حصل لهم من هؤلاء النيّرات أحدا من أهل الأكوان ممّن ليس له هذا المقام لم يحملوه واحترقوا كما تحترق الصوفة التي تُجعل مقابلة المرآة التي تقابل بها شعاع الشمس، فينعكس شعاعها على الصوفة فتحترق. فلذلك قال: رُدّوا أنوارنا علينا حتى لا يحترق الكون. فانظر إلى ما يُعطوا العارفين من القوّة حتى يقابلوا ذلك الجناب.

قال المُفاض عليه هذه المعارف الإلهية، المستجلي بكارة الجوْهريّة، الوارث من والده حقا، وإمامه صدقا، ما أعطته الرّحِم الرّحمانيّة: إسماعيل- حققه الله بهذا النسب الأعلى-: قد شاهدت جماعة احترقوا بشعاع مقام إمامي وقدوتي، عندما أضاء لي ما قابله بمرآة قلبه، واتصلت الأشعة بواهي أذهانهم الضعيفة التي هي بمنزلة الصوفة لوهنها وخفتها، فكانت لي نورا ولهم نارا، فاحترقت منهم الأحلام قبل الأجسام.

ومـن نَـقْـرِ أوتــارٍ بـأيـدي كـواعـبَ   عِـذاب الثنايا طاهرات من الخَنا

قوله: «من نقر أوتار- البيت بكماله»: يريد تجلي سرور، وهو تجلي السماء التي تؤدّي إلى الفرح والابتهاج في عالم الطبيعة وفي عالم الأرواح كلّ على قدر مزاجه. وأراد بقوله «عِذاب الثنايا» هو ما يكون منها من القبول الفهواني. وأراد بقوله «طاهرات من الخنا»[1]: أي مقدّسة عن التغيير.

ومن نافثات السِّحْر في غسق الدّجى   عسى ولعلّ الدّهر يسطو بهم غدا

قوله: «ومن نافثات السحر في غسق الدّجى»: الدّجى هذه من الأسماء السليمانيّة التي تسخّر بها الأرواح ويُستنزل بها الملأ الأعلى، وأسناها وأعلاها في الأثر الأسماء التي تكون عنها معجزات الأنبياء-عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ-. قال عليم الأسود -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في هذا المقام وقد ضرب بيده إلى أسطوانة كانت في المسجد، فأُبصِرتْ ذهبا، فقال للناظر: «يا

---

(1) الخنا: هو الفحش.

هذا إنّ الأعيان لا تنقلب، وإنما رأيت هذا بحقيقتك لربّك».

قوله: «عسى ولعلّ الدّهر يسطو بهم غدا»: أي لمّا كان هذا من السحر الحق، قال «عسى ولعلّ» يرجّح صحّة النظر إلى ذوات الحقائق من غير تقليب، فتبقى العصا عصا والأصطوانة أسطوانة، فلذلك قال «عسى»: أي عسى أتحقق أنّ الأعيان لا تتبدّل، ويزول عن عيني أثر السحر، وأنظر إلى طيور عيسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- كيف رجعت إلى أصلها لمّا كانت من معجزات الأنبياء، وهي من هذه الأسماء، وليس في قوّة الخلق شيئ من ذلك بخلاف السحر[1].

---

(1) يقول الشيخ في الباب 25 من الفتوحات عن استنزال الأرواح وتسخيرها ما خلاصته:
وقد أجمع أصحابنا أهل الكشف على صحة خبر عن النبي -ﷺ-- أنه قال في آي القرآن: «إنه ما من آية إلا ولها ظاهر وباطن وحدّ ومطلع». ولكل مرتبة من هذه المراتب رجال، ولكل طائفة من هؤلاء الطوائف قطب، وعلى ذلك القطب يدور فلك ذلك الكشف. فرجال الظاهر هم الذين لهم التصرف في عالم الملك والشهادة، وهم الذين كان يشير إليهم الشيخ محمد بن قائد الأواني، وهو المقام الذي تركه الشيخ العاقل أبو السعود بن الشبل البغدادي أدبا مع الله. أخبرني أبو البدر التماشكي البغدادي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- قال لمّا اجتمع محمد بن قائد الأواني -وكان من الأفراد- بأبي السعود هذا قال له: يا أبا السعود إن الله قسّم المملكة بيني وبينك فلم لا تتصرف فيها كما أتصرف أنا؟ فقال له أبو السعود: يا ابن قائد وهبتك سهمي، نحن تركنا الحق يتصرف لنا وهو قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [المزمّل: 9] فامتثل أمر الله. فقال لي أبو البدر قال لي أبو السعود: إني أعطيت التصرف في العالم منذ خمس عشرة سنة من تاريخ قوله، فتركته وما ظهر عليّ منه شيء. وأمّا رجال الباطن فهم الذين لهم التصرف في عالم الغيب والملكوت، فيستنزلون الأرواح العلوية بهممهم فيما يريدونه، وأعني أرواح الكواكب لا أرواح الملائكة، وإنما كان ذلك لمانع إلهي قوي يقتضيه مقام الأملاك. أخبر الله به في قول جبريل -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- لمحمد -ﷺ- فقال: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: 64]، ومن كان تنزله بأمر ربه لا تؤثر فيه الخاصية ولا ينزل بها. نعم أرواح الكواكب تستنزل بالأسماء والبخورات وأشباه ذلك، لأنه تنزّل معنوي، ولمن يشاهد فيه صورا خيالي، فإن ذات الكواكب لا تبرح من السماء مكانها، ولكن قد جعل الله لمطارح شعاعاتها في عالم الكون والفساد تأثيرات معتادة عند العارفين بذلك، كالري عند شرب الماء، والشبع عند الأكل، ونبات الحبة عند دخول الفصل بنزول المطر والصحو، حكمة أودعها العليم الحكيم جل وعز. فيفتح لهؤلاء الرجال في باطن الكتب المنزلة والصحف المطهرة وكلام العالم كله، ونظم الحروف والأسماء من جهة معانيها ما لا يكون لغيرهم اختصاصا إلهيّا. وأمّا رجال الحد فهم =

وأبـصـرت أقـوامـا كـرامـا تبـرقعـوا ولو حسَروا أضحتْ على أرضها السماء

قوله: «وأبصرت أقواما كراما تبرقعوا»: أي أبصرت أسماء إلهيّة مبرقعة، أي مستورة عنّا تعرّفنا أنّ ثَمّ أشياء لا نعرفها. قوله «ولو حسروا»: أي لو كشفت سُبُحات وجهها لسقطت السماء على الأرض واحترق الكون بأسره.

وبقيّة أبيات هذه القصيدة تُنظر ألفاظها من ألفاظ الصوفيّة.

فمن سالك نهج الطريق مسافر إلى سفر يسمو وفي الغيب ما سما

ومـن واصـل سرّ الحقيقة صامت ولـو نطق المسكين عجّزه الـورى

= الذين لهم التصرف في عالم الأرواح النارية، عالم البرزخ والجبروت، فإنه تحت الجبر، ألا تراه مقهورا تحت سلطان ذوات الأذناب، وهم طائفة منهم من الشهب الثواقب، فما قهرهم إلا بجنسهم. فعند هؤلاء الرجال استنزال أرواحها وإحضارها، وهم رجال الأعراف. والأعراف سور حاجز بين الجنة والنار، وهؤلاء الرجال أسعد الناس بمعرفة هذا السور، ولهم شهود الخطوط المتوهمة بين كل نقيضين فلا يتعدون الحدود، وهم رجال الرحمة التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، فلهم في كل حضرة دخول واستشراف، وهم العارفون بالصفات التي يقع بها الامتياز لكل موجود عن غيره من الموجودات العقلية والحسية. وأمّا رجال المطلع فهم الذين لهم التصرف في الأسماء الإلهية، فيستنزلون بها منها ما شاء الله، وهذا ليس لغيرهم، ويستنزلون بها كل ما هو تحت تصريف الرجال الثلاثة رجال الحد والباطن والظاهر، وهم أعظم الرجال، وهم الملامية. هذا في قوّتهم وما يظهر عليهم من ذلك شيء. فهم والعامة في ظهور العجز وظاهر العوائد سواء. وكان لأبي السعود في هؤلاء الرجال تميز، بل كان من أكبرهم، وسمعه أبو البدر على ما حدّثنا مشافهة يقول: «إنّ من رجال الله من يتكلم على الخاطر وما هو مع الخاطر»، أي لا علم له بصاحبه، ولا يقصد التعريف به. قال لي أبو البدر: كان كثيرا ما ينشد بيتا لم نسمع منه غيره وهو:

وأثبـت فـي مستنقع الـموت رجله وقـال لها مـن دون أخمصك الحشر

وكان يقول: ما هو إلا الصلوات الخمس وانتظار الموت. وتحت هذا الكلام علم كبير. وكان يقول الرجل مع الله تعالى كساعي الطير: فم مشغول وقدم تسعى. وهذا كله أكبر حالات الرجال مع الله، إذ الكبير من الرجال من يعامل كل موطن بما يستحقه. وموطن هذه الدنيا لا يمكن أن يعامله المحقق إلا بما ذكره هذا الشيخ. فإذا ظهر في هذه الدار من رجل خلاف هذه المعاملة علم أنّ ثم نفسا ولا بد، إلا أن يكون مأمورا بما ظهر منه، وهم الرسل والأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وقد يكون بعض الورثة لهم أمر في وقت بذلك، وهو مكر خفي، فإنه انفصال عن مقام العبودية التي خلق الإنسان لها.

ومن قائم بالحال في بيت مَقْدِسٍ ... فلا نفسه تظمأ ولا سرّه ارتوى

ومن واقف للخلق عند مقامه ... ورتبته في الغيب مرتبة الأسى

ومن ظاهر وسط المكان مبرّز ... له مُكْنة تسمو على كلّ مستمى

ومن شاطح لم يلتفت لحقيقة ... قد أنزله دعواه منزلة الهَبا

ومن نيّرات في القلوب طوالع ... تدلّ على المعنى، ومن يتصل يرى

ومن عاشق سرّ الذهاب متيّم ... قد أنحله الشوق المبرّح والجوى

وصاحب أنفاس تراه مسلّطا ... على نار أشواق بها قلبه اكتوى

ومن كاتم للسرّ يُظهر ضدّه ... عليه لطلاّب المشاهد بالتّقى[1]

ومن فاضل والفضل حقّ وجوده ... ولكنّ ما يرجوه في راحة النّدى[2]

ومن سيّد أمسى أمين زمانه ... يقابل من يلقاه من حيث ما جرى

ومن ماهر حاز الرّياضة واعتلا ... فصار يُنادى بالأسنّة واللُّها[3]

ومن متجلّ بالصفات التي حدا ... بأجسادها حادي[4] المنيّة للبِلا

ومن متخلّ طالب الأنس بالذي ... تأزّر بالجسم الترَابيّ وارتدى

ومستيقظ بالانزعاج[5] لعلّة ... أصابته مطروحا على فُرُش العمى

فقام له سرّ التجلّي بقلبه ... فلم يفن في الغير الدنيّ ولا الدّنا[6]

ومن شاهد للحق، بالحق قائمٌ ... له همّة تفني الزوائد[7] والفنا

ومن كاشف وهو الأتمّ حقيقة ... ولولا أبو العبّاس ما انصرف القضاء

---

(1) بالتقى: أي بالتقيّة، كتم السرّ والحال.

(2) الشخص نديّ الكفّ: أي سخيّ كريم.

(3) أي بالترّهيب وبالترّغيب. اللها: جمع لهوة وهي العطيّة من مال أو غيره.

(4) حادي: سائق.

(5) حول حال الانزعاج ينظر الباب 208 من الفتوحات.

(6) الدنيّ: القريب. الدّنا: المنحط.

(7) حول الزوائد ينظر في الفتوحات الباب 225

قوله: «ولـوْلا أبو العبّاس ما انصرف القضاء»: أي لولا الخضر-عَلَيْهِ السَّلَامُ- ما انصرف القضاء عن أبوي الغلام الذي أراد أن يرْهقهما طغيانا وكفرا، وعن أهل السفينة التي أراد الملك غصبها.

ومـن حـائـر قـد حيّـرتـه لـوائـح	تقـول لـه: قـد أفلح اليـوم مـن رقا
ومن شارب حتى القيامة ما ارتوى	ومـن ذائـق مـا لـذة الطوى[1]
ومن غربة والمكر[2] فيها مضمّن	ومن اصطلام حلّ في مضمر الحشا
ومـن واجـد قـد قـام مـن متواجد	فأبدى له الوَجدُ الوجودَ وما نهى[3]
ومـن سائر عَلْمَـاءِ، وهـو إشـارة	إلى عارف فوق الأقاويل والحِجَى[4]

قوله: «ومن سائر علماء وهو إشارة»: أي إلى المقام الذي هو فوق طور العقل، وهو لمن عمل بأحكام الشريعة. وقوله «علماء»: أراد على الماء.

ومـن نـاشـر يـومـا جـنـاح يقينه	يطير ويسـري فـي الهواء بـلا هوى

قوله: «جناح يقينه»: يقول باليقين تُنال الأشياء، واليقين استقرار ما حصل من التجلي في نفس المُتجَلَّى له.

ومـن بـاسـط كـفّـيْه وهـي بخيلة	ولولا وجود القبض[5] ما مُدح النّدى
وصـاحـب أنـس لـم يـزل ذا مهابة	وصاحب محو عن نسيم قد انبرى
وصـاحـب إثـبـات عـظيـم جلاله	تتوّج بالجوزاء وانتعل السُّهى[6]

قال السالك:

(1) الطوى: السقاء الذي يُجعل فيه الماء.

(2) حول الغربة والمكر ينظر في الفتوحات البابان: 230 و231.

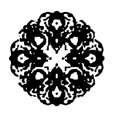
(3) حول الوجد والتواجد والوجود ينظر في الفتوحات الأبواب: 235/ 239/ 237.

(4) الحجى: العقل.

(5) وفي نسخة أخرى: الفيض.

(6) الجوزاء: البرج الثالث بعد الحمل والثور. والسهى: كوكب خفي.

فما زلت أخترق بهذه الرّفارف، وأنظر في بدائع هذه الطرائف واللطائف، حتى أتيت على آخرها، وعرفت باطنها من ظاهرها، فنوديت: إلى أين؟ فقلت: إلى «قاب قوسين»، حيث يزول الكيف والأين، وتتضح الأسرار لذي عينين.



مناجاة قاب قوسين

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السالك:

فنزل إليّ المَلَك بالسلام الأسنى، فرقيتُ إلى المستوى الأعلى[1]، فلمّا أنزلني «قاب قوسين»[2]، قال: لا تطلب أثرا بعد عين. ثمّ تكفّن في جناحيه، ونكص على عقبيْه.

قوله: «فنزل إليّ الملك»: الملك هاهنا مرتبة فوق مرتبة سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- إلا إن استُدعي فيمشي بحكم العرض وموضعه معروف. قوله «بالسلام الأسنى»: يريد ترقي من الترقيات. و«قاب قوسين» هو النقطة المتوهّمة بين قطري الدّائرة. قوله «ولا تطلب أثرا بعد عين»: أي قد صرت في مقام المعاينة، وهو مقام يعطي حُكمه في الدنيا والآخرة حيث كان. فمتى أقومْتَ فيه تحققتَ به، وهو قوله: (ما تجلى الله لشيء ثم احتجب عنه)، وفيه أنشدوا:

يا مُؤنِسي إنْ هجع الورى ومحدّثي من بينهم بنهار

قوله: «ثم تكفن ونكص»: أي أنّ المقام يُعطي زوال الواسطة بالخاصّيّة.

قال السالك:

فلمّا بقيت، نوديت: سلّم يُردّ عليك، وسلْ ما شئت يوهب إليك، فسلّمتُ بما يجب، وجثيتُ على الرّكب.

قوله: «سلْ ما شئت يوهب إليك»: يريد أنّ المحلّ محلّ تقريب يقتضي الكرَامه. قوله «جثيت على الرّكب»: أي لزمت الأدب والتيقظ والحضور.

فسمعت كلاما منّي، لا داخلا فيّ ولا خارجا عنّي، وهو يقول:

---

(1) المستوى الأعلى: من المحتمل أن يعني به العرش، والله أعلم.

(2) قال تعالى في معراج النبيّ -ﷺ-: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: 8/ 9].

للّه دَرّ عصابة سارت بهم   نُجُبُ الفناء بحضرة الرّحمن

قال إسماعيل- رفق الله به-: سمعت شيخي وإمامي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يتكلم في شرح هذه الأبيات، بآيات بيّنات، وأسرار سرْيانيات، هنّأ الله بها أهلها، ورضي عن مظهر الكمال ومعدن الجمال، جامع مكارم الأخلاق، والمفيض بهذه النفائس والأعلاق. فما قال في أثناء فيضه عليّ في ذلك- أيّده الله-:

«العصابة» هاهنا عبارة عن الأسماء الإلهيّة. وقوله «نجب الفناء»: أي لولا حظوظ أنفسهم لرأوا لها أحكام جميع الأسماء من العزّة والسلطان. فلمّا رأوا أنّ الحق سبحانه عيّن من الأسماء: «الله» والاسم «الرحمن»، بأنه: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: 110]، حينئذ ركبوا نجب الفناء عن أنفسهم أدبا مع الله تعالى ومع الرّحمن، اللذيْن قدّمهما الله عليهم. فإن قيل: فلِمَ لا كان «الله» مقصودهم دون «الرحمن»؟ فيُقال: إنه في مدلول «الرحمن» رائحة من حيث الاسم بما يوافق أغراضهم، و«الله» ليس كذلك، فإنه ليس فيه ممّا يُناسب هذا الأمر شيء. ألا ترى أنّ العبد يتحكّم على «الرحمن» بما يريد لمّا أعلمه بسعة رحمة هذا الاسم، ولا يقدر أنْ تكون له هذه الحالة مع الاسم «الله»، لأنّ الأمور المتقابلة في مرتبة الاسم «الله» على السواء، وهي في «الرحمن» ليست كذلك، بل الغلبة والظهور للرحمة، فتحقق ترشد.

قطعوا زمانهُمُ بذكر حبيبهم   وتخلّقوا بسرَائر القرْآن

قوله: «قطعوا زمانهم بذكر حبيبهم»: الزّمان هنا عبارة عن الدّهر الأوّل، فإنّ «الدّهر» اسم من أسماء الله تعالى، ففي هذا الاسم قطعوه، فإنه للأسماء بمنزلة الزّمان فينا. قوله «وتخلّقوا بسرَائر القرْآن»: كلامه سبحانه، والأسماء من كلامه، ولإنما كانت له الأسماء من كونه متكلّما، وإنما حدثت النِّسب التي للأسماء لحدوث الممكن، ولم يزل الحق سبحانه محققا بذلك لشهوده العدم في عدمه، فاعلم.

ورثوا النبيّ الهاشميّ المصطفى   من أشرف الأعراب من عدنان

قوله -رضي الله عنه وأرضاه- «ورثوا النبيّ الهاشميّ المصطفى»: يريد نبيّنا محمدا- ﷺ- لكونه أوتي جوامع الكلِم. والأسماء الإلهية التي عندنا كالصور للأرواح. فالذي بأيدينا صُوَر، غير أنّ الرّوح ملازم للصورة، ولذلك دلّت هذه الصور على تلك الأرواح، فالصور ميراث الأرواح، والأرواح أعطتها من المعاني ما أحْيَت به الحروف،

بحيث صارت الحروف دليلا على معانيها وأرواحها. ولو لا كمال الاسم بروحه وصورته ما أعطى ما أعطى الدلالة على الله عَزَّوَجَلَّ. فلو لا تلك الأرواح ما صحَ للصور أنْ تكون دلائل. ولولا الصور ما تميّزت أعيان الأسماء التي هي أرواح لهذه الأسماء الصورية. وحُكم موطن الدنيا الذي حقيقته التركيب، يُعطي أنْ يكون التجلي على هذه المطابقة، إذ التجليات تظهر بحُكم الموطن. فمن نظر إلى أرواح الأسماء قال: إنّ الاسم المسمّى، ومن نظر إلى صور الأسماء التي بأيدينا قال: إنّ الاسم غير المسمّى. فتحقق ترشد، وبالله التوفيق.

ركبوا بُـرَاق الحبّ في حَـرَم المُنى ... وسَـــرَوْا لـقـدس الـنـور والـبـرهـان

يريد مسرَاهم إلى طلب الغاية، لأنه لمّا كانت هذه الأسماء التي بأيدينا وتلك أرواحها كما تقدّم اشتاقت أن تكون في الدلالة على الحق كدلالة أرواحها التي هي تنزل الوسائط. قوله «لقدس النور والبرهان»: أي تمنوا أن يحصل لهم من الطهارة مثل ما لأرواحهم التي هي أسماء الحق، والنور المُظهر لهم في ذواتهم، والبرهان هو مطلوبهم أنْ يكون لهم من الدلالة ما للأرواح. ولهذه الأمنية منهم أشار بقوله «حرَم المُنى»، أي في الأمنية كان ركوبهم، وحبّهم لهذه المرتبة المأمولة اقتضى لهم أنْ يتمنّوا.

وقـفـوا على حجر الصفا فأتاهمُ ... لـبـن الـهـدى مـن مـنـزل الـفـرقـان

قوله: «حجر الصفا»: أراد بالحجر تمكّن العبوديّة، لأنه لا يطلع بطبعه أبدا، بل لا يزال يطلب الهبوط، بخلاف النبات فإنّ فيه دعوى. وكذلك كلّما نزل العبد كان صفاؤه أكمل، فلذلك قال «حجر الصفا». قوله «فأتاهم لبن الهدى»: أي على البيان بانت لهم الأشياء. قوله «من منزل الفرقان»، ولم يقل «القرآن»، أي أنه فرّق لهم بين الأشياء ووقع به الامتياز، فلذلك ذكر الفرقان وجعل النسبة إليه دون القرآن الذي هو الجمع.

قرعوا سماء جسومهم فتفتّحتْ ... أبـوابـهـا فـبـدت لـهـم عـيـنـان

أي قرعوا ذواتهم التي هي صور الألفاظ المركّبة من قولك «رحمن رحيم». قوله «فتفتحت أبوابها»: يريد سماء آدم- عَلَيْهِ السَّلَامُ-. قوله: «فبدت لهم عينان»: أي عين السعادة، وعين أهل الشقاء.

ثمّ أخذ يصف ترتيب أهل الرّحلة على ما تقدّم:

عـيـن تـبـسّـم ثـغـرُهـا لـمّـا رَأتْ ... أبـنـاءهـا فـي جـنّـة الـرّضـوان

وشمالها عين تحدّر دمعها ... لمّا رأتهم في لظى النيران
قرعوا سماء الرّوح لمّا آنسوا ... جسما ترابيّا بلا أرْكان
فبدا لهم لاهوت عيسى المجتبى ... روحا بلا نفس ولا جثمان
كمُل الجمال بيوسف فتطلّعوا ... لمقام إدريس العليّ الشأن
طلبوا الخلافة إذ رأوا هارون قد ... أرْبتْ منازله على كيوان
نالوا الخلافة عندما نالوا مُنى ... موسى كليم الرّاحم المنّان
سجد الملائكة الكرام إليهم ... دون اعتقاد وجود ربّ ثان
طمحت بهم همّاتهم فتخلّلوا ... في حضرة الزّلفى قِرى الضيفان
كملت صفاتهم العليّة وارتقوا ... عن سدرة الإيمان والإحسان
للذات كان مصيرهم فحباهُمُ ... بشهودها عينٌ بلا أكوان
وصلوا إليه وعاينوا ما أضمروا ... من غيب سرّ السرّ كالإعلان
سبحانه وتقدّست أسماؤه ... وعن الزّيادة جلّ والنقصان

قال السالك:

ثم قال لي: أخبرني يا زهرة المحبّين، ويا جمال الوارثين، ماذا لقيت في طريقك إلينا، وبماذا وفدت به علينا؟

قوله: «يازهرة المحبّين»: لأنّ الزهرة إن لم يكن لها ثمر فهي مطلوبة لنفسها، ولإن كان لها ثمر فهي مطلوبة لغيرها، وهي علوم الأدلّة، فهي كالبرزخ بين ثمرتها وشجرتها، وهي من كونها زهرة علوم وهب، ولذلك نُسِب التين إلى علم النبي -ﷺ-، إذ ليس له زهرة، لكون علمه -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- موهوب لا مكسوب، وهو -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- أرسل رحمة، فلا عجم فيه ولا خشونة.

قال السالك:

لمّا فارقت الماء، عُرج بي إلى أوّل سماء، فرَأيتها مزيّنة بالنجوم، فمنها اهتداء ومنها رجوم[1]. ورأيت مقامات الخلفاء، ومصابيح الظّلماء، فوجدتها ثمانية وعشرين،

(1) ذكر الشيخ هذه الأوصاف الثلاثة للنجوم كما في الحديث النبوي: «خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يُهتدَى بها" -رواه البخاري-.

وحضراتهم اثنتي عشرة لتتميم الأربعين. فقيل لي: هذه منازل السالكين، وينابيع حِكم المخلصين[1].

قوله: «هذه منازل السالكين»: يشير إلى الاثني عشر برجا وإلى الثمانية والعشرين منزلة، والجملة أربعين وهي منازل السالكين، بقوله: (من أخلص لله أربعين صباحا)[2]. والسبعة التي هي روحانيات الأنبياء تقطع في أرواح هذه المنازل، والسبعة الدرّاري تقطع في جسمانيتها.

ثمّ لحظتُ السبعة الخلفاء في الأفلاك يسبحون، فحملتها على السبعة المودعة في الفلك المشحون. ونظرتُ في الجدي والفَرْقدَيْن، فإذا هم الأئمّة في العالميْن.

أراد بالفلك المشحون: وجود العبد. وأراد بالسبعة المودعة فيه الصفات السبع: الحياة والإرادة وغيرهما[3]. وقوله «الجدي والفرقدين[4]»: أي بمنزلة القطب والإمامين، وهي في الإنسان الروح والنفس والعقل، أو السرّ مكان العقل كيف شئت.

فاستفتحت سماء الأجسام، فرأيت آدم-عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-، وعلى يمينه أسْودَة القَدَم، وعلى يساره أسودة العدم، وهو يتردّد بين بكاء الجلال، وضحك الجمال، لمعاينة النقص والكمال.

قوله: «أسودة القَدَم»: أراد به أهل العناية من قوله تبارك وتعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ [يونس: 2].

فرأيت جميع الأبناء أمواتا، حين رأيتهم أشتاتا.

أي من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾ [هود: 118/ 119]،

(1) يشير الشيخ هنا إلى التناسب بين مواقع النجوم، ومراتب الأولياء، وآيات القرآن الكريم التي هي ينابيع حِكم المخلصين.

(2) لقد سبق الكلام عن هذا الحديث.

(3) الخمسة الأخرى هي: العلم والقدرة والقول والسمع والبصر.

(4) الجدي: نجم إلى جنب القطب تُعرف به القبلة، ويقال له: جدي الفرقد؛ والفرقد نجم قريب من القطب الشمالي يُهتدَى به.

فكان موتهم لنظرهم من مقام التفرقة، فلو نظروا من مقام الجمع لعاشوا واستراحوا[1].

وطلبتُ الحقيقة، فقيل لي: حتى تفنى عن الطريقة.

أي الحقيقة في ذهاب عينك، لأنك أنت الطريق، فإذا فنيتَ ظفرتَ بالحقيقة.

فإنه لا يبدو كمال الصورة لأهل المعراج والنّهى[2]، حتى يبلغوا سدرة المنتهى. هنالك تنتهي حقائقُ نفوسهم، ويُكشف لهم عن موادّ شموسهم، وذلك أوّل مقامات الثلاثمائة[3]، والفناء عن كلّ فئة.

معناه: تكمل نشأتهم.

وأمّا حقيقة الذات، فلا يشاهدها سواه[4]، وغاية كلّ سالك أن يُشاهد معناه[5]، فلا غاية فيما فيه الغاية، ولا نهاية لموارد البداية.

أي باب الذات مغلق، وإنما الوصول للأسماء المُتخَلَّق بها. وغاية كل واصل أن يشاهد معناه، أي يشهد حقيقته.

فعُرِج بي إلى سماء النفوس، وانتقلت عن العالم المحسوس، فنُفِخ في الصورة الرّوح، بمشاهدة المسيح. فأظهر فتقا في سماء وأرض كانت رتقا[6].

فنطقت بالحمد والثناء، فأُعطيتُ الحُسن والغنى، فرأيت يوسف في سماء جمال القلوب، فأتحفني بموارد الغيوب، فشكرته شكرا سَنيّا، فرفعني مكانا عليّا.

فرأيت في الرّابعة إدريس، وتقدّس السرّ عن التخييل والتلبيس. فقلت: هذا المنتهى،

(1) أي أنّ الحياة الحقيقية في شهود قيّوميّة الحق تعالى لكلّ شيء، والموت هو الجهل بهذه الحقيقة.

(2) النّهى: العقل.

(3) أي الرفارف أو الأخلاق الإلهية الثلاثمائة السابق بيانها.

(4) أي لا يشاهدها سوى الحق تعالى.

(5) أي أنّ المخلوق لا يُدرك من معرفة الله تعالى وشهوده إلا على قدر استعداده. واستعداد المخلوق مقيّد محصور، والحق تعالى لا نهاية لكمالاته.

(6) أي سماء الروح وأرض الجسم.

وهذا مقام الكمال والبهاء.

فطلبت الخلافة على الأنام، فُرُفعت إلى هارون- عَلَيْهِ السَّلَامُ-، فقيل لي: أتعرف ما جزاء من استُخلِف في مقام الإحسان؟ أن يأخذ بلحيته كليم الرّحمن.

قوله: «أتعرف ما جزاء من استخلف، إلى قوله الرحمن»: أي أنّ العبد ما دام في عبوديّته كانت السلامة له مستصحبة، فإذا قبل النيابة في الخلافة فقد تلبّسها وظهر بها وصانها وأبطن عبوديته، فحينئذ يُبتلى بمن يأخذ برَأسه ولحيته للاختبار، ليظهر الفرق بين الخليفة المتحقق بالمرتبة وبين النائب الذي هو في المقام الثاني الذي ليس هو متحقق بذلك. ونسب ذلك إلى موسى لأنّ الكلام هو أصل الخلافة إذ فيها البيان والتمييز، وبها سمع المستخلَف. وأصل المعجزة للرسول، هو يقوم مقام الحق: هذا رسولي، فكان الكلام أصلا في الخلافة. فلذلك نسب الاختبار إلى موسى صاحب الكلام - عَلَيْهِ السَّلَامُ-.

فعُرج بي إلى سماء الكلام، فرأيتُ موسى- عَلَيْهِ السَّلَامُ-، فرحّب بي وأقعدني، وعلى موضع الرّفق نبّهني، ثم قال لي: أنا الكليم للمكلِّم القديم، لو لم تُلْق الألواح، ما جررتُ برؤوس الأشباح، أنت عبد مكرّم، ولدينا مُعظّـم.

قوله: «لو لم تُلْق الألـواح، ما جـررتُ بـرؤوس الأشباح»: أي كان في الألواح مكتوب: «هدى ورحمة»، فلمّا رميتها حينئذ قام الغضب والقهر، فلو كانت بيده أنت تمنعه بما فيها، ولذلك جاء التنبيه بقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ﴾ [الأعراف: 154]، لأنه بالضدّ يزول الضدّ.

قلت له: أريد الخُلّة(1)، قال: هي لمن سدّ عن الأنام الخَلّة(2)، قلت: أنا ذلك.

قال: فارِق إلى السماء السابعة أيها السالك، فهي سماؤها، وعليه قام عمادها وبناؤها. فرأيت صاحبها مسندا ظهره إلى البيت المعمور، فأدركني الجذل والسرور، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك، ليحيى من يحيى عن بيّنة ويهلك من هلك.

أراد بالبيت المعمور القلب. قوله «يدخله كل يوم سبعون ألف ملك»: يريد أنّ هؤلاء إنما يدخلون إلى القلب ليكونوا بمنزلة الشهود عليه. فإن كان حاضرا مع الله تعالى

(1) أي مقام إبراهيم الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ-.

(2) الخلّة: الخلل والنقص.

شهدوا له بالحضور والحياة والمراقبة، وإن كلن غافلا عن الله حاضرا مع الأكوان شهدوا عليه بالغفلة ليحيى من حيَّ عن بيّنة، وهي شهادتهم، ويهلك من هلك كذلك[1].

وأقيمَ في السدرة نهران ظاهران، ونهران باطنان، فالظاهران: فرات الكتاب ونيل السُّنّة، والباطنان: التوحيد والمنّة[2].

ثم بلغت سدرة المنتهى، وقلت: هذا هو الانتهاء، فتلا عليّ الرسول الكريم[3]: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ١٦٤﴾ [الصافات: 164]، **ولا بدّ لك من التداني والترقي والتدلّي والتلقّي. بالمقام المحمود، وحضور الشاهد والمشهود.**

قوله: «التداني»: هو دنوّ العبد من حضرة الحق. و«الترقي»: هو ترقيه بالهمّة عن الأكوان. و«التدلي»: هو للحق سبحانه وهو التنزّل الإلهي. و«التلقي»: هو تلقيه سبحانه لهذا العبد بالقبول والترحيب. فالتداني والترقي من العبد، والتدلي والتلقي من الحق[4].

ثم اختطفتُ من تلك السّدرة العليّة، وأنزلتُ بكرسيّ الشفعيّة، فحفظت بها الوصيّة السنيّة.

ثمّ أُنشِأ لي جناح اللطائف، وامتطيتُ ظهور الرّفارف، فمررت بثلاثمائة حضرة، ما نظرت إليها نظرة، فسمعت صريف القلم باليمين، في ألواح صدور الوارثين. فلمّا دنوت من الصريف، قيل لي: تـقَنّـعْ بالنّصيف.

قوله: «صريف القلم باليمين»: أي صوته وهو لغته ولسانه. وقوله «تقنّع بالنصيف»: أي احتجب بالخِمار، إذ النصيف هو الخِمار، أي اطلب الحجاب لئلا يبهرك المقام.

---

(1) سبق الكلام عن الملائكة التي تدخل البيت المعمور كلّ يوم وتخرج منه، وتناسبها مع الخواطر التي تمرّ بالقلب كلّ يوم.

(2) هذه الأنهار الأربعة تتناسب مع أنهار الجنان الأربعة: الماء واللبن والعسل والخمر.

(3) هو رسول التوفيق الذي رافق السالك من بداية المعراج إلى سدرة المنتهى.

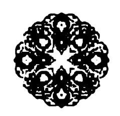
(4) هذا مصداق للحديث القدسي: «إذا تقربَ إليَّ العبدُ شبرًا تقربتُ إليهِ ذراعًا، وإذا تقربَ إليَّ ذراعًا تقربتُ منه باعًا، إذا أتاني مشيًا أتيتُه هرولةً» – رواه البخاري في صحيحه، ومثله في صحيح مسلم–.

فاطلب ما تقِي به سطوة المقام من بهاء ذلك النور. ولكلّ حضرة حجاب تقتضيها تلك الحضرة.

قال السالك:

فلمّا سمع منّي هذه اللفظة، لَطّني[1]، وفي ثوب العبوديّة غطّني[2]؛ ثم قال لي:

يا عبدي، لا تَحْـدُ الكلام[3]، فإنّي المكلِّم والمُكلَّم ومنّي الكلام، فلا تجعل كلامي سوائي[4]، كما لم تسَعْني أرضي ولا سمائي.



(1) لطّني: سترني.

(2) غطّني: أي ضغطني بشدّة.

(3) لا تحْد الكلام: لا تحوّل الكلام إلى حداء تتغنّى به.

(4) لأنّ كلام الله تعالى صفته، والمُكلَّم- اسم مفعول- لا يسمع كلاما لولا تجلي الحق تعالى على سمعه باسمه «السميع»، إذ لا قيام لسمع سامع إلا بالله تعالى.

مناجاة «أو أدنى»

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السالك:

ثمّ أنشأ لي جناح الفناء، وطرت به إلى حضرة»أو أدنى«.

قوله: «أو أدنى»: أي «إلى حضرة أدنى»، لأنّ «أو» هاهنا بمعنى «الواو»، كأنه قال «وأدنى»، وليست هي للشك. وأراد بالقرب نفي المقدار في قوله «قاب قوسين»، وهو قرب قدْر، لا قرب مقدار.

فلمّا نزلت بفِنائها، وسقطتُ على حيطان أسمائها، أنشدت:

قوله: «حيطان أسمائها»: لمّا كانت الحيطان سترا على الدار، استعار ذلك للأسماء إذ هي ستر على الذات، فلذلك قال: «حيطان أسمائها»، فاعلمْ.

مِن الذي لم يزل يُنادي إلى الذي لم يزل مُجيبا

أي لم تزل الأعيان الثابتة تنادي بلسان حالها تطلب وجود الحق في وجودها، لأنها في حال عدم نفسها، ولهذا وُصِف المنادي بالأزل، والمجيب فهو نداء أزلي، وذلك حين سألتها الأسماء في ذلك، إذ لم يكن للأسماء ظهور إلا بوجودها، فتحقق ترشد والسلام[1].

أسْهرْتَ عيني، أطلتَ بيْني أورثتني الوجد والنحيبا

قوله: «أطلت بيْني»: أي شوقي إلى ذلك الوصف الخاص، الذي تقدّم طلبه وتعيينه.

صيّرتني في الهوى فريدا مُتيّما هائما غريبا

قوله: «صيّرتني فريدا غريبا»: يريد نفي المِثل، فإنه لا مِثل له، وهذا إمّا لسان العالَم

(1) لمعرفة سبب بدء العالم ونشئه، ومراتب الأسماء الحسنى في العالم يُنظر في الفتوحات الباب الرّابع.

بأسره، وإمّا لسان الإنسان من بين سائر المولّدات[1].

قال لي[2]: ذلك إرادتي فسَلِّمْ، وإلى جرْي مقاديري عليك فوّض أمرك واستسلمْ.

أيّها السالك: أريد أن أمحِّصك في حضرة «أو أدنى»، هل اطلعتَ على حقائق الإشارات في آيات جواهر القرآن ودُرّه الأسنى، سورة سورة، حتى يصح لك كمال الصورة[3].

قوله: «أمحِّصك»: أي أختبرك، لكون العبد صاحب دعوى، ولا يُبتلى قط إلا صاحب دعوى.

أناجيك بلسان الترجمان بأوضاحه وغُرَره، كمناجاتي للإمام أبي حامد في جواهره ودرره[4]، وكنت قد برّزته في زمانه، سابقَ ميدانه، سرَّ شمسه وهلاله، لم يُنسج في أوانه على منواله، إلى أن وصل زمانك المبهج، وأوانك الملهج، فغزَلنا لك أرقّ من غزله،

---

(1) المولّدات هي ما تولّد من تفاعل الأفلاك العلوية مع العناصر السفلية والأرضية، وهي المعادن والنبات والحيوان والجنّ والإنسان.

(2) القائل هو لسان الإلهام الربّاني في سرّ السالك.

(3) في العديد من نصوصه يؤكّد الشيخ على أنّ كمال التحقق بالمعرفة هو التحقق بالقرآن جمعا وتفصيلا. وفي الباب 325 من الفتوحات المتعلق بسورة الحشر وعنوانه «معرفة منزل القرآن من الحضرة المحمدية» يتكلم عن تنزل القرآن جمعا، والفرقان تفصيلا، على قلوب الأولياء فيقول: فالقرآن والإنسان الكامل أخوان؛ وليس ذلك إلا من أنزل عليه القرآن من جميع جهاته ونِسَبِه. وما سواه من ورثته إنّما أنزل عليه من بين كتفيه، فاستقر في صدره عن ظهر غيب، وهي الوارثة الكاملة. حكي عن أبي يزيد أنّه ما مات حتى استظهر القرآن، وقال-ﷺ- في الذي أوتي القرآن بأنّ النبوة أدرجت بين جنبيه. وهذا هو الفرق بين الأنبياء والأولياء الأتباع. لكن من أدرجت النبوة بين جنبيه، وجاءه القرآن عن ظهر غيب، أعطي الرؤية من خلفه كما أعطيها من أمامه، إذ كان القرآن لا ينزل إلا مواجهة. ولمّا ذقنا ذلك، لم نر لأنفسنا تمييز جهة من غيرها، وجاءنا بغتة فما عرفنا الأمر كيف هو إلا بعد ذلك. فمن وقف مع القرآن من حيث هو قرآن، كان ذا عين واحدة أحدية الجمع. ومن وقف معه من حيث هو مجموع، كان في حقه فرقانا، فشاهد الظهر والبطن والحدّ والمطلع. ولمّا ذقنا هذا التنزل الفرقاني، قلنا هذا حلال وهذا حرام وهذا مباح، وتنوعت المشارب، وتميزت المراتب، وظهرت الأسماء الإلهية والآثار الكونية.

(4) يعني كتاب «جواهر القرآن» للإمام أبي حامد الغزالي، توفي سنة 505 هـ.

ورفعناك عن نسيب الوجود[1] وجِدّ غزله وهزْله، فنسْجتَه بناء على منوال مُخترَع، وألبستَه حُلّة صافية الأرْدان[2]، مختلفة الألوان، درّة بكر عَيْنا لم تُفتَرَع[3]، فوجود الفرق بينكما واضح، وطريق انتظام شملكما لائح[4]، وذلك أنّا نظمنا لك الدّرر والجواهر في السلك الواحد، وأبرزنا له ذلك النظم في حضرة الفرق المتباعد، ولهذا ترى الواقف عليه، يكاد لا يعثر على سرّ النسبة التي أودعتها لديه، وفي مناجاتك يلوح لك سرّ نَسَبه، وعلوّ منصب سَببه.

قوله: «سرّ نسبه»: أي أنّ الموجودات لها صفتان: صفة يقع بها الاشتراك وصفة يقع بها الامتياز، وما به يقع به الامتياز لا يجوز أن يكون الذي به يقع الاشتراك. فإذا ناجاه في صفة الامتياز لا يعرف أنّ بين الموجودات نَسَبٌ رابط يُعبَّر عنها بصفة اشتراك، فلا يعرف المناسبات بين الأشياء، وهي التي عَلمها آدم -عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ-، ولم تعلمها الملائكة. وإذا وقع الخطاب بصفة الاشتراك، عُرفتْ المناسبة بين الشيئين، فعُرف كيف يُنسب هذا الاسم لهذا المسمّى، وهي من بعض النِّسَب.

فاسمع ما يُلقي عليك الرّحمان، بلسان الترجمان، من أسرار القرآن، وجواهر الفرقان، ودُرر السّلوك، وجواهر السلوك[5]، وقلائد النحور[6]، وفرَائد صَدَف البحور، ورُموز الكباريت[7]، وإجْلاء اليواقيت.

---

(1) أي أزلنا عنك دعوى الوجود المستقلّ، والله أعلم.

(2) الأردان: جمع رَدَن وهو المغزول أو نوع منه. ويُقال فلان طاهر الأردان: أي شريف طاهر.

(3) أي عذراء لم تُمس.

(4) أي بين الغزالي وبين السالك محمد ابن العربي فرق واضح في مستوى بيان الحقائق، واشتراك في كونهما من أهل الإلهام الربّاني في فهم القرآن.

(5) السلوك: جمع سِلك.

(6) النحور: جمع نحر وهو أعلى الصدر.

(7) الكباريت: جمع كبريت، وهو المادّة التي لها دور أساسي في الكيمياء بمفهومها الأصيل، وخصص الشيخ لمعرفة مبادئ أصولها بداية الباب 167 من الفتوحات وهو في معرفة كيمياء السعادة.

قوله: «قلائد النحور»: أراد به المَيل، وهي الحنيفية، مثل منزلة منطقة البروج التي هي حمائلية، لإظهار الزيادة والنقص في الزمان، وذلك لا يكون إلا في الشرائع. ولهذا يُقال: ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [آل عمران: 95]، أي مائلا إلى الحق، وا ثمّ إلا حق، فأراد حقا مخصوصا، وهو قوله: ﴿رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنبياء: 112]، ومعلوم أنه بكلّ وجه لا يحكم إلا بحق، ولكن أراد الحق المخصوص الذي قرّره الشارع عنده، لا يعدل إلى غيره. قوله «فرائد صَدف البحور»: أراد الأسرار المستورة في العلوم. و«رموز الكباريت وإجلاء اليواقيت»: أراد برموز الكباريت أحد الأبوين[1]: العلم والعمل، أو العقل أو النفس. وأراد بإجْلاء اليواقيت إزالة الصدإ عن الياقوتة التي هي عين القلب صاحبة الكشف.

فألْق السمع أيّها السالك لإدراك غوامض الأسرار، وجِدّ إدراك البصيرة إلى إدراك مشارق الأنوار، وافن عن الكلّيّة الأبديّة، بالكلّيّة الأزليّة.

أراد بالكلية الأبدية نفس العبد، أو العالم، فإنّ له الأبد.

وقد لخّصنا لك عيونها[2]، وكم رامها غيرك فقُطِع به دونها، وزوينا لك الشُقّة، ووهبناها لك من غير مشقّة، فاغترف من بحار الحضرة الإلهيّة، وأنشِء بها القوالب القوالب الطينيّة، فالقشر مع اللبّ، كالجسم مع القلب.

قوله: «فاغترف»إلى قوله «كالجسم مع القلب»: أي أنّ مأخذنا عن الأمر المشروع الظاهر والباطن، كما قال الجنيد: (علمنا مقيّد بالكتاب والسنّة)، وليس كما هو عند الحكماء لبّ فقط.

فشتان بين محلّ الأسرار والغيوب، ومحلّ الصّبا والجنوب.

قوله: «محل الأسرار والغيوب»: أراد به عالم اللبّ. وقوله «مهبّ الصبا والجنوب»: يريد القشر.

وإذ ولا بدّ من الاختيار، في معاني هذه الأسرار، فما قصدك: الإطالة أم الاختصار؟

---

(1) قرن الكبريت بأحد الأبوين، لأنّ المعادن في الكيمياء القديمة تتولّد من التفاعل بين الكبريت والزئبق، فهما الأبوان، مع تأثير الكواكب السيّارة السبعة، حسبما بيّنه الشيخ في الباب 167 من الفتوحات.

(2) عيونها: أي عيون الأسرار.

فإنّ هذه حضرة «أو أدنى»، ليس فيها إلا دقيق سرّ أو لطيف معنى، مِن هنا أُرسِلتْ الفرائد، لمُناجاة الإمام أبي حامد. فقلت له: إنّ الطالب إذا فهم وقْع الإشارة، أُوجِز له في العبارة، فإن كان من أهل التحصيل، فسيُوفّق للتفصيل، فسلني عن المعاني الكثيرة باللفظ الوجيز، وخلّصه لي كالذهب الإبريز.

قال السالك:

فقال لي: نَعم نُخَلِّص، ونُعرب عن القصد ونلخّص، وها نحن نُشخِص إليك ترجمانا يلقي عليك أسرار الكتاب، ويقدِّم لك القشر على اللباب. ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ [الشورى: 51].

أي: يقدّم لك الخطاب، وهي الكلمات التي تحوي على المعنى، ولذلك قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ [الشورى: 51]. فإنّ الأمور إمّا لفظ يدلّ على معنى، وهو هذا، ومعنى يدلّ عليه لفظ مّا من غير تخصيص. فالأوّل لمقام المريد المتعلّم، والثاني مقام المعلّم.

وقد أمرْناه أنْ يسألك عنها ما بين زراعة وحصاد، وسبيل وجهاد، وتجلّ وتحلّ، وبداية وغاية، وارتقاء ولقاء، وغرْس وجَنَى، وحرف ومعنى، وتجارة وربح، وصلاح ونجح، وقرْع وفتْح، وسلك ووصول، وجُمَل وفصول، وأرض وسماوات، وألفاظ وإشارات، إلى أمثال هذه الإشارات الحقّيّة، واسألك عن رموزها الرّسميّة، حتى ينتظم السلك، ويرتبط المُلك.

قوله: «ما بين زَرْع وحصاد»: أي ما تنتجه أوامر تؤدّي إلى نتيجة.

قال السالك:

فقلت له: موْلاي أمّا العبد فبصره بك حديد[1]، وقد ﴿أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ۝٣٧﴾ [ق: 37]، فإنْ أيّدته بالحكمة وفصل الخطاب، فسيُوفّق للإصابة في ردّ الجواب. فقال لي: ما ولّيناك، حتى أيّدناك. ثم قال لترجمانه: أوّل ما تفاتحه به من سرّ الوحي ولُبابه، وتفتح له من أبوابه، فاتحة الكتاب.

---

(1) يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ۝٢٢﴾ [ق: 22].

قال السالك:

فدخلنا مجلس المحاضرة، وفرشنا بساط المناظرة، وجرّد الترجمان عن ساعده، وقال: هات الجواب عن فرائد أسرار القرآن وقلائده.

آيات مناجاة الإمام أبي حامد، ركن المعالم والمحامد:

قلتُ: سألتَ والله حديد عيان الجَنان، ماضي سنان اللسان.

قال الترجمان: ما تقول في فاتحة الكتاب؟ قلت: قسّمها الباري نصفين[1]، حتى لا يصحّ في الوجود إلهين اثنين.

قال: ما فيها من الإشارات والرّموز والدّرَر؟ قلت: الياقوت الأحمر والأصفر، والعنبر الأشهب والعود الرّطب الأنضر[2]. أيّها الترجمان: أمّ الكتاب، ليس لها انتساب، بل هي الإمام المبين، لجميع العالمين، فمنهم من علم الإمام فاتبعه ورفعه، ومنهم من جهله فحطّه ووضعه، هي الأصل الثابت، فرْعها في السماء، تؤتي أُكلها كلّ حين بإذن ربّها، مع استغنائها عن الماء. وهي المثاني، بالنظر إلى المباني، والفاتحة بالنظر إلى الطريقة الواضحة، وأمّ القرآن، لمن تخلّق بالفرقان[3].

قوله: «الفاتحة»: فاتحة الكتاب، يعني كتاب الوجود. وقوله «قسّمها الباري نصفين»: أي افتتحه بوجود عبد وربّ. ولو كان ثمّ إلهين لكان الوجود ينقسم قسمين بين ربّين، والأمر على خلاف ذلك. قوله «أم الكتاب ليس لها انتساب»: أي هي الأصل، والأصل لا ينتسب، إنّما تنتسب الفروع. قوله «بل هي الإمام المبين لجميع العالمين»: أي لأنّ الحق مجلى الوجود، فأبان بوجوده صورة كلّ موجود. قوله «فمنهم من رفعه،

(1) يشير إلى الحديث المشهور: «قسمت الفاتحة بيني وبين عبدي» الحديث.

(2) هذه المصطلحات الرمزية المشيرة إلى تصنيف الآيات القرآنية استعملها الغزالي في كتابه «جواهر القرآن».

(3) يُنظر في بعض أسرار الفاتحة الباب الخامس من الفتوحات والباب 383 وهو في معرفة منزل العظمة الجامعة للعظمات وهو من الحضرة المحمدية الاختصاصية، ويُنظر أيضا كتابه حول إشارات حروفها وكلماتها في كتابه «كتاب العظمة»، وكتابنا «شروح على تفاسير ابن العربي للبسملة والفاتحة».

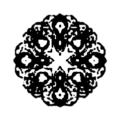
ومنهم من وضعه»: يريد أنّ الذي علمه قال: (لا أحصي ثناء عليك)، والذي جهله قيل فيه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: 91]. فإذا نطق الجاهل قيل له: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾. وإذا نطق العالم قال: (لا أحصي ثناء عليك). قوله «هي الأصل الثابت فرعها في السماء»: إشارة إلى ما لها من العلوّ والرّفعة. قوله «تؤتي أكلها كلّ حين»: هو ما يظهر عنها من الأسماء والمعارف في كلّ شيء. قوله «مع استغنائها عن الماء»: أي أنّ علم الحق ما يحتاج إلى مادّة. قوله «هي المثاني بالنظر إلى المباني»: أي لأنها تظهر في أول منزلة، وما عداها أولاد لها، أي تظهر في كلّ ولد، والمباني هي المنازل. وقوله «والفاتحة بالنظر إلى الطريقة الواضحة»: أي فتح لك عن الطريق، أو المعنى، فمهما كان الفتح كان معه الوضوح. وقوله «وأمّ القرآن، لمن تخلّق بالفرقان»: أي من تخلّق بمقام الفرق كانت نتيجته الجمع، معناه: من ميّز نفسه من ربّه، وبقي مع عبوديّته، خلع الحق عليه من خِلع الرّبوبيّة، وجعله إماما يُقتدى به.

قال السالك:

فما يزال يسألني عن جواهر القرآن ودُرَره، سورة سورة، حتى أتى على آخره.

قال السالك:

فلمّا أكمل الترجمان سؤاله عن جواهر القرآن، ودُرر الفرقان، طوى بساط المناظرة، وسدّ باب المحاضرة، وتجلّى في المطلوب، وقال: جئت على المرغوب، أنت الإكسير، والهَمْهَمُ النحرير[1]، ركبت جوادا لا يكبو، وضربت بحُسام ماضي الضربة لا ينبو، وهذا اللوح بين يديك[2]، فاتلُ ما أوحي إليك.



(1) الهمهم: السيد الشجاع. النحرير: الحاذق الفطن.

(2) هو اللوح الأعلى. وكلّ ما في تفاصيله مرجعها إلى القرآن، والفاتحة هي أمّ الكتاب، فاكتفى في هذا الباب بذكر لمحة تخص الأمّ.

مناجاة اللوح الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السالك:

ثمّ جذبني إليه بيد التمجيد، وأنزلني في حضرة لوح التوحيد، وهو القلم الإلهي، العلم الربّاني، فرأيت مسطّرا في ذلك اللوح، مقامات أهل الريحان والرّوْح[1].

قوله: «بيد التمجيد»: أي بيد التشريف جذبني ليشرّفني. قوله «حضرة لوح التوحيد»: أي التوحيد الذي يجيء إلى الأشياء من جهة النفوس من الوجه الخاص. قوله «والعلم الربّاني»: أي المنسوب إلى حضرة الرّبوبيّة، وكذلك انظر إلى كلّ اسم تقيّد به المرتبة فأضفها إليه. قوله «مسطرا فيه مقامات أهل الريحان والروح»: أي مقامات المقرّبين، فالرّوْح ما يستريحون إليه، والرّيحان الرّزق، وهو ما يتغذون به من العلوم الإلهيّة والتجلّيات.

فرفعت حجاب النعمة، فلاح لي توحيد الرّحمة[2]**. ثمّ رفعت حجاب الأبديّة، فلاح**

---

(1) أخص ما في اللوح هو القرآن المجيد، وأخص ما في القرآن آيات التوحيد بعبارة التهليل: «لا إله إلا»، ولهذا اختارها الشيخ في مشهده هذا، وظهرت في القرآن في 36 صيغة، فصّلها الشيخ في الفصل التاسع من الباب 198 من الفتوحات، وفيه يقول: «ولا نزيد على ما ورد في القرآن من ذلك، وهو ستة وثلاثون موضعا، وهي عُشر درجات الفلك الذي جعل الله إيجاد الكائنات عند حركاته من أصناف الموجودات، من عالم الأرواح والأجسام والنور والظلمة. فهذه الستة وثلاثون حق الله مما يكون في العالم من الموجودات، فإنها ممّا تكوّن في عين التلفظ الإنساني بالقرآن، فهو كالعُشر فيما سقت السماء، وهو المسمّى «الأعلى» من قوله: «سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى». فالتهليل عُشر الذكر وهو زكاته، لأنه حق الله، فهو عشر ثلاثمائة وستين درجة ثمّ فصّل هذه المواضع الستة والثلاثين.

(2) سمّاه في الفتوحات: «توحيد الواحد بالاسم الرحمن»، وهو في قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: 163].

توحيد القيّوميّة[1]. ثمّ رفعت حجاب الأنوار، فلاح توحيد الأسرار[2]. ثمّ رفعت حجاب النّسيئة، فلاح توحيد المشيئة[3]. ثمّ رفعت حجاب الإفادة، فلاح توحيد الشهادة[4]. ثمّ رفعت حجاب الشفع، فلاح توحيد الجمع[5]. ثمّ رفعت حجاب الخلق[6]، فلاح توحيد الحق. ثمّ رفعت حجاب الأمر، فلاح توحيد السرّ[7]. ثمّ رفعت حجاب الترك، فلاح توحيد المُلك[8] ثمّ رفعت حجاب السيادة، فلاح توحيد العبادة[9]. ثمّ رفعت حجاب التولّي، فلاح توحيد التجلّي[10]. ثمّ رفعت حجاب الـوراثـة،..........................

---

(1) سمّاه في الفتوحات: «توحيد الهويّة، وتوحيد الابتداء، وهو في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: 255].

(2) سمّاه في الفتوحات: توحيد حروف النفَس- بفتح الفاء-، وتوحيد الابتداء، وهو في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢﴾ [آل عمران: 1/ 2].

(3) النسيئة هي التأجيل، وسماه في الفتوحات: توحيد المشيئة، وهو في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾ [آل عمران: 6].

(4) سماه في الفتوحات: توحيد الهوية والشهادة على الاسم المقسط وهو العدل في العالم، وهو في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ [آل عمران: 18].

(5) سماه في الفتوحات: توحيد الابتداء، وهو توحيد الهوية المنعوت بالاسم الجامع للقضاء والفصل، وهو في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [النساء: 87].

(6) سماه في الفتوحات: توحيد الرب بالاسم الخالق، وهو توحيد الهوية فهذا توحيد الوجود لا توحيد التقدير، فإنه أمر بالعبادة، ولا يأمر بالعبادة إلا من هو موصوف بالوجود، وهو في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ [الأنعام: 102].

(7) سماه في الفتوحات: توحيد الاتباع، وهو من توحيد الهوية، فهو توحيد تقليد في علم، وهو في قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٦﴾ [الأنعام: 106].

(8) سماه في الفتوحات: توحيد الهوية في الاسم المرسل، وهو توحيد الملك، ولهذا نعته بأنه يحيي ويميت، وهو في قوله تعالى: ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ [الأعراف: 158].

(9) سماه في الفتوحات: توحيد توحيد الأمر بالعبادة، وهو في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١﴾ [التوبة: 31].

(10) سماه في الفتوحات: توحيد الاستكفاء وهو من توحيد الهوية، وهو في قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ =

فلاح توحيد الاستغاثة[1]. ثمّ رفعت حجاب الإسلام، فلاح توحيد الإمام[2]. ثمّ رفعت حجاب قرع الباب، فلاح توحيد المتاب[3]. ثمّ رفعت حجاب الأعمال، فلاح توحيد الإنزال[4]. ثمّ رفعت حجاب المُسمّى، فلاح توحيد الأسماء[5]. ثمّ رفعت حجاب الاختيار، فلاح توحيد الإجبار[6]. ثمّ رفعت حجاب الاطّلاع، فلاح توحيد الاستماع[7] ثمّ رفعت حجاب الرّيب، فلاح توحيد الغيب[8]. ثمّ رفعت حجاب العدم، فلاح توحيد الكرم[9]. ثمّ رفعت حجاب التسليم،...

= ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝١٢٩﴾ [التوبة: 129].

(1) سماه في الفتوحات بتوحيد الاستغاثة ثم قال عنه: وهو توحيد الصلة، فإنه جاء بـ«الذي» في هذا التوحيد، وهو من الأسماء الموصولة، وجاء بهذا ليرفع اللبس عن السامعين كما فعلت السحرة لما آمنت بربّ العالمين فقالت: «رَبِّ مُوسى وَهارُونَ» لرفع اللبس من أذهان السامعين، وهو في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس: 90].

(2) سماه في الفتوحات: توحيد الاستجابة وهو توحيد الهو، وهو في قوله تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٤﴾ [هود: 14].

(3) سماه في الفتوحات: توحيد الرجعة وهو توحيد الهوية، وهو في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ۝٣٠﴾ [الرعد: 30].

(4) سماه في الفتوحات: توحيد الإنذار وهو توحيد الإنابة، وهو في قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ [النحل: 2].

(5) سماه في الفتوحات: توحيد الإبدال فإنه أبدل «الله» من «الرحمن» لأنهم أنكروا «الرحمن»، وهو في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه: 7 – 8].

(6) سماه في الفتوحات: توحيد الاستماع وهو توحيد الإنابة، وهو في قوله تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾ [طه: 13/ 14].

(7) سماه في الفتوحات: توحيد السعة من توحيد الهوية، وهو في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۝٩٨﴾ [طه: 98].

(8) سمّاه في الفتوحات: توحيد الاقتدار والتعريف وهو من توحيد الإنابة، وهو في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: 25].

(9) سمّاه في الفتوحات: توحيد الغم وهو توحيد المخاطب وهو توحيد التنفيس، وهو في قوله تعالى: =

فلاح توحيد التعظيم[1]. ثمّ رفعت حجاب النعلين، فلاح توحيد الكونين[2]. ثمّ رفعت حجاب المُنَى، فلاح توحيد الفناء[3]. ثمّ رفعت حجاب المُنّة، فلاح توحيد المِنّة[4]. ثمّ رفعت حجاب العَرْض، فلاح توحيد الخفض[5]. ثمّ رفعت حجاب العفو والأمر بالعُرْف، فلاح توحيد الصّرْف[6]. ثمّ رفعت حجاب السرير، فلاح توحيد المصير[7] ثمّ رفعت حجاب المِلك، فلاح توحيد الإفك[8]. ثمّ رفعت حجاب الخلاص، فلاح توحيد

= ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء: 87].

(1) سمّاه في الفتوحات: توحيد الحق وهو توحيد الهوية، وهو في قوله تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المؤمنون: 116].

(2) سمّاه في الفتوحات: توحيد الخبء وهو من توحيد الهوية، وهو في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النمل: 26].

(3) سمّاه في الفتوحات: توحيد الاختيار وهو من توحيد الهوية، وهو في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [القصص: 70].

(4) سمّاه في الفتوحات: توحيد الحكم بالتوحيد الذي إليه رجوع الكثرة إذ كان عينها وهو توحيد الهوية، وهو في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ ﴾ [القصص: 88].

(5) سمّاه في الفتوحات: توحيد العلة وهو من توحيد الهوية، وهو في قوله تعالى: ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ ﴾ [فاطر: 3].

(6) سمّاه في الفتوحات: توحيد التعجب وهو توحيد الله لا توحيد الهوية، وهو في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الزمر: 6].

(7) سمّاه في الفتوحات: توحيد الصيرورة، وهو في قوله تعالى: ﴿ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ [غافر: 3].

(8) سمّاه في الفتوحات: توحيد الفضل، وهو من توحيد الهوية لأنه جاء بعد قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾، فيكون هذا التوحيد شكرا لما تفضل به الله على الناس، وهو في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [غافر: 62].

الإخلاص[1].

ثمّ رفعت حجاب العبادة، فلاح توحيد السيادة[2]. ثمّ رفعت حجاب النار، فلاح توحيد الاستغفار[3]. ثمّ رفعت حجاب الشرك، فلاح توحيد الملك. ثمّ رفعت حجاب السِّلم، فلاح توحيد العلم[4]. ثمّ رفعت حجاب الإشراف، فلاح توحيد الأوصاف[5]. ثمّ رفعت حجاب الإحسان، فلاح توحيد الإيمان[6]. ثمّ رفعت حجاب الكفالة، فلاح توحيد الوكالة[7].

قال السالك:

فلمّا ناجاني في هذه المشاهد الكرام، والمقامات الجِسام، ورأيتُ فيها ما لا عين رأتْ، ولا أذن سمعتْ، ولا خطر على قلب بشر، ولا عثرت عليه غوامض[8] الفِكَر قال لي: أيّها السالك، أين هذه المقامات من أولئك؟ قلت له: ما بينهما نسبٌ ولا سببٌ، قال:

---

(1) وهو في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [غافر: 65].

(2) سماه في الفتوحات: توحيد البركة، وهو توحيد الله، وهو في قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾ [الدخان: 8].

(3) سماه في الفتوحات: توحيد الذكرى، وهو في قوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد: 19].

(4) سماه في الفتوحات: توحيد العلم وهو من توحيد الهوية وهو توحيده من حيث التفرقة لأنه ميّز بين الغيب والشهادة وجمع بين العلم والرحمة وهذا لا يكون إلا في العلم اللدني، وهو في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: 22].

(5) سماه في الفتوحات: توحيد النعوت وهو من توحيد الهوية المحيطة، وهو في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ﴾ [الحشر: 23].

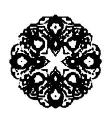
(6) سماه في الفتوحات: توحيد الرزايا والرجوع فيها إلى الله ليزول عنه ألمها، وهو في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن: 13].

(7) سماه في الفتوحات: توحيد الوكالة، وهو في قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل: 9].

(8) أي وارد الإلهام الرباني.

صدقتَ[1].

ثمّ قال: أيّها الرّسول قرّب إليه الفَرَس[2]، حتى أناجيه في الجَرَس.



(1) أي لا مقارنة بين المراتب الكونية المخلوقة الحادثة، وآيات التوحيد القرآنية التي هي من كلام الله تعالى القديم.

(2) الفرس هنا عبارة عن همّة السالك الطالبة لمزيد من الترقي.

مناجاة الرّياح وصلصلة الجرس وريش الجناح

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السالك:

فامتطيت متن الجواد العتيق، وقلت: الرّفيق الرّفيق.

قوله: «مناجاة الرياح»: لقوله -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: (إني لأجد نفَس الرحمن من قِبل اليمن)[1]. و«صلصلة الجرس»: هو العلم الإجمالي، كما جاء: (إذا تكلم بالوحي فكأنه سلسلة على صفوان)[2] وهو أشدّ الوحي على المزاج. و«ريش الجناح»: عبارة عن مناجاة القوّة، أي في الاقتدار الإلهي؛ فكأنّ السلسلة من الاقتدار، وهذا الآخر هو عين الاقتدار.

واخترقت بين دقائق ولطائف، ورقائق ومعارف، إلى أن وقف بي الفرس، في «حضرة الجَرَس». فسمعت صلصلة الألحان، بوقوع الامتحان، فاقشعرّ جلدي، وزال كلّ ما كان عندي.

قوله: «بوقوع الامتحان»: أي خطاب الابتلاء.

ثمّ هبّت عليّ عواصف رياحه، فسترني بريش جناحه.

أي سترني بقوّته وردّاني به، ولم يكن في قوّتي ذلك. والجناح عبارة عن لطفه كما قال تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ [الإسراء: 24].. و«الريش»: هو ما فيه من الاقتدار.

ثمّ نفّس عنّي، فرأيت العوالم يتساقطون على الأغيار[3]، تساقط النسور على

---

(1) الحديث أخرجه الطبراني في مسند الشاميين.

(2) أخرجه أبو داود وابن حبان.

(3) الأغيار: جمع غير، وهو كلّ ما سوى الله تعالى.

الملاحم[1]**، وتمثلتُ عند ذلك بقول الواصل الحاكم:**

تسـتّرتُ عن دهـري بظلّ جناحه فعيني تـرى دهـري ولـيس يراني

فلو تُسـألُ الأيام: ما اسمي؟ ما دَرَتْ وأيـن مكانـي؟ مـا درَيْـــن مكاني

قوله: «تستّرتُ عن دهـري بظلّ جناحه»: أي نزلتُ إلى الخلق في مقام الرّحمة واللطف، فلم يعرفوا قدري لأنهم عبيد العصا، إذا رأوا القهر ذلّوا. قوله «فلو تُسألُ الأيام: ما اسمي؟ ما دَرَتْ»: هذا لسان حقيقة الإنسان التي لا تتحيّز ولا تقبل المكان ولا الزّمان. قوله: «وأين مكاني؟ ما درَيْـن مكاني»: أي أنّ نسبة المكان لي نسبة الاستواء على العرش، وكلّ من لا يتحيّز لا يقبل المكان، ونسبة المكان إليه مكانته لا استقرَار.

قال السالك:

فلمّا ذهبت تلك الرّياح العواصف، وسكنت صلصلة الرّعود القواصف، وقد تفصّد الجبين عرَقا، وذبتُ خوفا وفرَقا، بسط لي الجناح، وقال لي: قد مرّت الرّياح. هذه الرّيح لا تمرّ بشيء إلا جعلته هباء منثورا، ودمّرته تدميرا، لأنها ريح الغيرَة، فليست تُبقي مع مالكها غيره، وإنها لترمي بشرر، ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝٢٩﴾ [المدثر: 28/ 29]، صرّحنا بها في الكتاب الكريم: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ۝٤١ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ۝٤٢﴾ [الذاريات: 41/ 42].

قوله: «الريح العقيم»: أي التي تهبّ لتزيل عن القلب كلّ ما سوى الله تعالى، وتذهب بالأغيار، غيرة أنْ يكون في محلّ قد اصطفاه الحق غيره.

فجعلتُ هذا الجناح لأصحاب هذا المقام وقاية وجُنّة[2]**، فربّما اعترتها لذلك حماية وجِنّة**[3]**، فترميه حين تمرّ عليه بكلّ مصيب مَريش**[4]**، فيتعلق بأهداب تلك الرّيش، فربّما فلت منها سهم وسقط، فأصاب بعض أهل العناية فاغتبط؛ فترتاح قلوبهم مسرعة**

(1) الملاحم: جمع ملحمة، وهي الحرب حيث يكثر القتلى والجرحى.

(2) جـُنّة: أي ستر.

(3) أي اعترت ريح الغيرة حماية وإخفاء.

(4) المريش من السهام هو ما انضاف إليه الريش لحمله في الهواء كالطائر.

إلى راميها، إسراع السهام إلى مراميها، فعند ذلك يُنشدون، الواجدون والمتواجدون:

رمـــانـــي بـســـهـــم أصـــاب فـــؤاد الـــوالـــه الـــدّنـــف[1]

إلى مثل هذا من الأبيات.

قوله: «جعلت هذا الجناح وقاية وجُنة»: أي أنّ هذه ريح الغيرة، لولا رحمتي لأذهبت الأثر القائم بالقلب من الأغيار، وأهلكت المحل الذي هو القلب، فجعل الجناح رحمة خاصة تحمي القلب، وإلا كانت الرّيح العقيم كالسُّبُحات. قوله «ربّما فلت منها سهم فأصاب»: أي ربّما أدركه سهم من بعض خلل ريح الجناح، أي ربّما قويت الغيرة على القلب فأخذته وصعق صاحبه. فإن سلم من الصعق والموت، فربّما حصل له أثر كالصعق الذي حصل لموسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ولم يكن فيه الموت الكلّي.

فعندما تتعلق تلك السهام بريش الجناح، يَسْلم من تحت كنفه، بعدما أيقن بذهابه وتلفه، وربّما بطل دعواه في وَجده بحضرة «أوحى» وكَلَفِه. فإن بطلت دعواه، لم نزده على ما أريناه، وأنزلناه أسرع ما يُمكن و«أوحى»، وحِلنا بينه وبين حضرة «أوحى». وربّما يتخيّل في خَلَدِه، أنّ مفاتيحها بيده.

قوله: «وربّما بطل دعواه»: أي هي رياح ابتلاء تظهِر حقيقة ما في المحلّ. قوله «وربّما يتخيّل أنها بيده، إلى آخر الفصل»: عبارة عن أرباب الدّعاوي الممكور بهم.

كلاّ إنّ بينها وبينه مهامه وسباسب، تنقطع فيها أعناق الرّكائب، ثمّ لا يصلون إليها من بَعد، ويتيهون في أرضها بين وعيد ووَعْد، وهي منهم مناط الثريّا. وإنْ اشتكى أحد منهم وجده تقول: تعسا لك لقد جئتَ شيئا فريّا. فيا له من جواب ما أقطعه، وكلام ما أفحمه، يُنظَرون ولا يَنظرون، ويسترْحِمون ولا يُرْحمون، ويستصرخون فيُجابون: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ [المؤمنون: 108]، ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٨﴾ [النحل: 118].

قوله: «اخسؤوا فيها»: أي في عالم الطبيعة، لأنّ كثيرا يدّعي محبّة الله تعالى وهي

(1) الدنف: المريض الذي لزمه المرض الشديد.

محبّة طبيعيّة[1].

قال السالك:

ثمّ قال: فإذا ذهبت الرّياح نفّستُ عنهم الجناح.

أي: زال الأمر الذي كانوا يحذرونه ويخافونه ونفّس عنهم.

وروّحتُ على قلوبهم وسقيتهم الرّاح. فعندما تروح على أسرارهم لطفا، يهبّ من نسيم ذلك النّفَس على بعض قلوب أحرقها الشوق والاصطلام حنانا وعطفا.

أي: ريح لطف ورحمة بالمحبّين أصحاب العناية، وهم الذين يسمّونهم أهل الحقائق: «أصحاب الأنفاس». وقوله-عَلَيْهِ‌ٱلسَّلَامُ-: (إني لأجد نفَس الرحمن من قِبَل اليمن)، أي يأتيني من جهة اليمن ما ينفِّس به عين الكرب الذي أجده باطنا وظاهرا.

فيُسكِّن عنهم ذلك النفس، بعض ما يجدونه من لهيب ذلك القبس. فعندما ينطفئ ذلك النبراس[2]، يسمّونه أهل الحقائق: «صاحب الأنفاس»، وقد أشرتُ إليه في المقصورة المتقدّمة:

وصــاحــب أنــفــاس تــراه مسلطا ... علــى نــار أشــواق بهــا قلبــه اكتوى

قال السالك:

ثمّ قال لي: قد رأيتَ هنا ما رأيت، ونلت الذي تمنّيتَ. فقلت له: نعم رأيتُ بعض ما نويت، ونلت قليلا ممّا اشتهيت، وعزّتك ما وقفت مع حضرة، ولا نظرتُ إليها نظرة، فإنّ كلّ جزء من الكون حجاب، والصفات أسباب. فقال: لك ما أردت، وسأريك ما اعتقدتَ. قلت: الآن زال غمّي، وانجلى ليلُ همّي.

قال: إني أوصلك إلى مستقرّ قلبك، ومقرّ لبّك، فقلت: ليس له مقرّ، قال: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢﴾ [القيامة: 11 - 12]. قلت: اللهَ أريد، فإنّ في الرّبوبيّة يوحّد العبيد.

(1) لمعرفة مقام المحبّة وأسراره والفرق بين الحبّ الطبيعي والحبّ الروحاني والحبّ الإلهي يُنظر في الفتوحات الباب 178.

(2) النبراس: المصباح.

قال لي[1]: لقد «سبق» لك طريقة لا تُسلك، وهمّة لا تُلحَق ولا تدرَك، لم تدع حجابا إلا خرقته، ولا سترا إلا مزّقته، ولا غينا[2] إلا أذهبته ومحقته، فتنادي: إلى أين إلى أين؟ فتفني من مُناديها الأثر والعين، فهي لا تستقرّ بمنزل، ولا توجد عن رَحْله بمعزل.

إني أناجي كلّ سالك ووَاصل في مقام، فيظنّ أنه قد بلغ النهاية والختام، فيقول عندما يسمع الخطاب: هذا مقام «أوحى إلى عبده» قد وصلته فيرجع بالتبليغ من عنده، ولم يعلم أنّ الخطاب كان من حَدِّه[3]، فيطلب الرجوع إلى عالم الشهادة والمثال، رغبة في الميراث والكمال، فربّما يعجز في التمثيل، ويلوح له النقص فيطلب الرجوع للوصول والتحصيل، فأقطع دونه السبيل.

وأنت قد ناجيتك في كلّ حضرة، ونظرتُ إليك فيها نظرة، بين هشيمه ونضره، وفي هذا كله لا تشبع ولا تقنع، إلا تحيط وتجمع، وتقول هذا ثِماد[4] من بحور، وقليل من كثير.

فقلتُ: مِن أين كان للعبد أن يعرف مولاه، لولا ما قلت ما نفدت كلمات الله، والعبد ليست له إرادة، يطلب بها الرّجوع إلى الشهادة، إنما هي الإفادة والزيادة، فإن وقع منك لا منّي، نطقتُ عنك لا عنّي[5]، وكانت لي الحُجّة، واتضح لي سُنن المحجّة، فوعزّتك لو أبقيتني أبد الآباد، ما طلبت إلا الازدياد، فإنّي علمت أنّ النهاية مُحال، فكيف أرجع عن هذه الحال؟

فإنْ أردتَ منّي الرّجوع إلى المُلك[6] فأشترطُ، وحينئذ تقرّ عيني وأغتبط. قال: وماذا

(1) أي قال وارد الإلهام الربّاني.

(2) غينا: حجابا وغيرا.

(3) كان من حدّه: أي كان من نفسه لا من الحق تعالى.

(4) ثماد: ماء قليل.

(5) أي إنْ وقع الأمر من الحق تعالى إلى السالك الواصل بالرجوع إلى الخلق ليدعوهم إلى الله تعالى على بصيرة.

(6) أي الرجوع إلى الخلق وعالم الشهادة.

تشترط؟ قلت: يكون نوري عليهم منبسط، أرَقِّيهم بالهمّة، وأنا خارج عن كَوْر العِمّة[1]،

أي: أبيّن لهم ولا أتقيّد بهم.

أناجي بواطنهم بقلبك، وأنا مخبوء في خزانة غيبك.

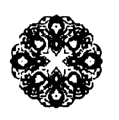
قوله- رضي الله عنه وأدّبنا بآدابه- «أناجي بواطنهم بقلبك»: أي بقلبي الذي هو متعلق بك، فأنت بعثته إليهم مقتديا لأمرك لا صاحب هوى.

يجدون أثرًا ولا يرون عينا.

أي: إني أتبرّأ ممّا أوصلت إليهم، وأعلمهم أنه من عند الله،، إني عبد لا أثر لي، فيشهدون أثر الحق في ذواتهم، ولا يرون عين المؤثّر.

ويطلبون أيْنًا فلا يجدون أينا، فتكبر همَمُهم، وتقوى أمَمُهم، حتى أكون في ذلك الإرشاد والهداية، صاحب نهاية وبداية، فأخترق وأنّى يُخترَق، ونُطلَبُ فلا نُلحق، كما تُطلبُ فلا تُلحق. فإن صحّ لي هذا الاشتراط، وتقوّى هذا الارتباط، فأنا أنشر البساط، وأسير بين الانقباض والانبساط.

قال[2]**: ارْق إلى حضرة «أوْحى»، أناجيك فيها بما يكون، وأهب لك بها سرّ القلم والنون، حتى تقول للشيء: «كن» فيكون**[3].



(1) كور العمّة: لفّة العمامة، إشارة إلى عدم احتجابه بالخلق عن الحق تعالى.

(2) أي قال وارد الإلهام الربّاني.

(3) قول العبد الربّاني للشيء: «كن» فيكون عبارة عن استجابة الله تعالى لدعائه، إذ لا فاعل إلا هو عَزَّوَجَلَّ، كما جاء في الحديث القدسي الصحيح: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ» -رواه الإمام البخاري-.

حضرة «أوْحى»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

قال السالك:

فاختُطِفتُ منّي، والإنِّيتُ عنّي، واتفقتْ أمور وأسرار، غطّى عليهنّ إقرار وإنكار، جلّت عن العبارة، ودقّت عن الإشارة، فهي لا تُنعتُ ولا توصف، ولا تُحدّ ولا تُنصف.

وغاية العبارة عنها أن يُقال: زال قلتُ وقال، وانعدم المقام والحال، ولم يبق مِثلٌ ولا ضدّ، ولا مطلع ولا حدّ، وذهبت الجنّة والنار، وفنيت الظلم والأنوار، وفني كلّ قاب ورفرف، ولم يبق جناح ولا ملأ أشرف، واتحد السؤال والجواب، وزال المكتوب والكتاب، وكان المجيب هو المُجاب، ومضت البحار وأحجارها، والحدائق وأزهارها، ومارت السماء وطُمِست أنوارها، فلم أرجع إلى البقاء بالحق، بعد ذهاب العين والمَحْق، حتى وجدتُ في غيابات لُباب سرّ أسرار روح معنى قلب النفس، ما كنت أمّلته بالأمس[1].

ثمّ توّجني بتاج البهاء، وإكليل السناء، وأفرغ عليّ حُلّة الكبرياء[2]، وأذِن لي أنْ آذن على سواء[3]، وذلك على الشرط الذي اشترطته في مناجاة حضرة الرّياح، والعقد الذي ربطته بحضرة الجرس والجَناح[4].

---

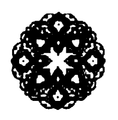
(1) كأنّ في هذه الفقرة تعبير عن حضرة الأحدية، ففي الحديث النبوي: «كان الله ولم يكن شيء غيره» -رواه البخاري في صحيحه-.

(2) أي تمّ للسالك الإذن في إمامة الدعوة إلى الله تعالى كما في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: 24].

(3) على سواء: على المخلوقات.

(4) وخلاصة هذا الشرط هي أن لا يحتجب بإمامته وخلافته عن عبوديته.

فأنا اليوم أنادِي وأنادَى، وأُهادِي وأهادَى، وأسْري ويُسْرى إليّ، وأتوكّل ويُتوكّل عليّ، ووهب لي كلّ حضرة تحت علمي، يخترقها السالكون إليّ باسمي، ولا يدركون منّي غير ما أدركته، ولا يملك أحدٌ منهم من وجودي سوى ما ملكته، هذا إذا كانت لهم عندي عناية، وسبق لهم في سابق علمي هداية، وإلا ففي بحر المعارف يسبحون، وفي قفر اللطائف يخبطون، مهّد الله لهم السبيل، وعرّفهم أسرار التنزيل.



باب الإخبار ببعض ما حَدّ لي الستّار، أنْ أصرّح لمن سأل من الأبرار، ممّا تحصّل لي في «حضرة أوْحَى» من الأسرار

مناجاة الإذن

بسم الله الرّحمن الرّحيم

قال السالك:

لمّا أُذِنَ لي أن آذن على سَوا، وأن لا أقف في موقف السُّوى.

قوله: «موقف السُّوى»: هو أنْ يتساوى عند الحضرَتين القديمة والحديثة، ومن قال بالاتحاد فمن هاهنا قال، ومن هاهنا يترقى العارفون إلى الكمال، أو يُحبط بهم إلى الطرد والإهمال، نسأل الله العافية الكاملة في كلّ موطن بمنّه وفضله.

وأن لا أتعدّى في الخطاب حضرة الكرسي، فإنّه مقام التبليغ العليّ، والميراث النبوي.

أي: هو المقام الذي تنقسم فيه الكلمة إلى تقاسيم الخطاب[1].

برزتُ لكم مخبرا، وناهيا وآمرا. فإيّاكم أن تظنوا اتصالي بحضرة «أوْحى»، اتصال إنِّيـة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: 3].

أي: أنه سبحانه ليس له حدّ فيكون الاتصال به في مرتبة دون مرتبة، وإنما ذلك عبارة عن حقيقة من الحقائق، وهذا كلّه سفر فيه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-.

وبرهاني على ذلك، تعريفي لكم فيما تقدّم حتى الآن أنّي سالك، وأنّي ما قبلت منه

(1) أي تقاسيم الخطاب الشرْعي في النواهي والأوامر، بين محظور ومكروه وفرض ونافلة ومباح.

تبليغ القسط، إلا على الشرط المتقدّم والرّبط. فلا تنسبوني إلى الاتحاد الفرد، فإنه السيّد وأنا العبد، وإنما هي رموز وأسرار، لا تلحقها الخواطر والأفكار، إنْ هي إلا مواهب من الجبّار، جلّتْ أن تُنال إلا ذوقا، ولا تصل إلا من هام فيها مثلي عشقا وشوقا.

قال السالك:

لمّا انتهى بي إلى هذه الحضرة القدسية، جرّدني عن الغلائل السندسية. وأوقفني ببابها، لأرغبه متضرّعا أنْ يُطلعني على ما بها، حتى يصح افتقاري، وينكسر فقاري.

قوله: «جرّدني عن الغلائل السندسية» أي: عن كلّ صفة توجب التقييد بوصف خاص. قوله «يطلعني على بابها»: الضمير يعود على «حضرة أوحى». وقوله «حتى يصح افتقاري، وينكسر فقاري»: أي حتى أكون مهيضا، والمهيض هو الجبر بعد الكسر، فإنّ الانكسار الأوّل أعطاه فقري، وجبرني الحق في ذلك الفقر بما أعطاني من صفة العناية -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-. ثمّ أعطاني الغنى بالله فقري إليه جلّ وعزّ، فكسري بعد هذا الجبر، وهذا الكسر لا يقبل جبرًا أبدا، وهو التحقيق بالعبودية عن بيّنة وبصيرة، وهو الفقر إليه بعد الغنى به -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، وهذا هو فقر الأكابر، لأنّ العارفين انتقلوا من الفقر العامّ إلى الغنى بالله تعالى الخاص، ثم إلى الفقر الذي هو خاص الخاص. وبقية الموجودات فلها المرتبة الأولى من الافتقار، وهو افتقار الأكوان. فتحقق ترشد، والله وليّ الإعانة[1].

فلمّا علمتُ ما أراد، أوقر في نفسي صورة الإنشاد، وهزّ البسيط، فاهتزّ التخطيط.

(1) للتوسع في هذا الموضوع ينظر في الفتوحات الباب 304 المتعلق بسورة «عبس»، وهو في معرفة منزل إيثار الغنى على الفقر من المقام الموسوي، وإيثار الفقر على الغنى من الحضرة العيسوية، وفيه يقول: «وهذه طريقة أغفلها أهل طريقنا، ورَأوا أنّ الغنى بالله تعالى من أعظم المراتب، وحجبهم ذلك عن التحقيق بالتنبيه على الفقر إلى الله الذي هو صفتهم الحقيقية، فجعلوها في الغنى بالله بحكم التضمين لمحبتهم في الغنى الذي هو خروج عن صفتهم. والرّجل إنما هو من عرف قدره، وتحقق بصفته، ولم يخرج عن موطنه، وأبقى على نفسه خلعة ربّه ولقبه واسمه الذي لقّبه به وسمّاه فقال: ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾ [فاطر: 15] فلرُعونة النفس وجهالتها أرَادت أن تشارك ربّها في اسم «الغني»، فرأت أن تتسمّى بـ«الغنى بالله» وتتصف به حتى ينطلق عليها اسم «الغني»، وتخرج عن اسم «الفقير»، فانظر ما بين الرّجلين».

يريد بالبسيط: اللطيفة الإنسانية لمّا اهتزّت، ويريد بالتخطيط عالم اللسان وهو عالم الطبيعة الذي هزّته اللطيفة.

وقلتُ قارعًا بابه، قول من فارق أوطانه وأحبابه:

يا مَن إليه تضرّعي كمْ ذا تريد تمنّعي

قوله: «يا من إليه تضرّعي»: يقول مناديا عزّ الهمّة، أنه قرن النِّدا بالضَرَاعة.

قوله: «كم ذا تريد تمنّعي»: كم ذا تعظم الأمر لي لأطلب الرجوع عنه لقلة حملي وضعفي وأنا فما أحمل الأشياء إلا بك.

كم ذا طلبت وصالكم بتبتّل وتخشّعِ

التبتل هو الانقطاع عمّا سوى الله تعالى، ومنه: فاطمة البتول- رضوان الله عليها-. والخشوع هو الذلّة والافتقار.

كم ذا سمعتُ تنفّسي آهِ يا فؤادُ تصدّع

قوله: «آه يا فؤاد تصدّع»: كأنّه يناجي الحق تعالى ويقول: لمّا قلتَ إنّ قلب المؤمن وسعك، ورزقتني الإيمان فعلمت أنك في قلبي، أساء الأدب حيث نزلت إليه بأنه وسعك فما له لا يتصدّع حتى لا يكون في محلّ التقييد والحصر، فلهذا أمرته أنْ يتصدّع. وكان كسر الأمر في الشعر للقافية، وأمّا عندنا في لسان الحقائق فللرّجوع إلى مقام الخفض، وهو النزول، وهذا من نحو الطريق لا من نحو اللسان، فافهم.

قلبٌ يذوب وزفرة تعلو لفرط تولّعِ

قوله: «قلب يذوب»: ولم يقل يحترق، لأنّ سبحات الوجه من شأنها أن تحرق، غير أنّ الحقّ لمّا تجلى لهذا القلب تجلى له بضرب من اللطف، فكانت أنوار فيها رطوبات، كمثل البرق في السحاب من رُطوبات الماء عن احتراق ما يقتضيه سنا البرق، فلهذا قال إنه يذوب ولم يقل إنه يحترق. و«تولّه وزفرة تعلو»: أي حركة شوقية، ومن عادة النار أنها تطلب العلوّ للعنصر الأعظم، فلهذا قال: «تعلو»، أي إلى طلب العالم العلويّ الذي يناسبها، فكان شوقها- وإن كانت في أسْر الطبيعة- شوق الملائكة المهيّمين، إذ وقد عُلِم أنّ نسبة الحق لجميع الأشياء نسبة واحدة، فلماذا لا تزاحم الملأ الأعلى في شوقهم إلى الله تعالى. وقوله «لفرط تولّع»: أي فرط التولّع عليه في وجود الزّفرة، ولهذا جاء في وصف جهنم أنّ لها زفير وشهيق، لفرط تولعها بمن يحصل فيها من الكفّار لأنها عاشقة

في الانتقام من أعادي محبوبها وهو الحق - سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ -.

يـا عـيـن بـالـنـظـر الـذي قـد نِـلـتِ مـنـه تـشـفّـعـي

أقسم على عينه بالنظر الذي حصل لها في تجلّيه أن تشفع لصاحبها.

واهْـمِـي الـدّمـوعَ بـبابـه وتـمـلّـقـي وتـصـنّـعـي

قوله: «واهْمِي الدموع ببابه»: إي إذا شفعت كوني بهذه المثابة، فإنّ الدّموع من صفة العين. وأمّا قوله «وتملقي»: فإنّ الملق في الظاهر كأنه يُظهر خلاف ما يُخفي، وكذلك هو هاهنا، فإنه تحت سلطان اسم من الأسماء وهو حاكم عليه، فلا يمكن أن يتملّق إلى هذا الاسم، إلا أنه هذا المطلوب الذي له يحتاج فيه إلى جميع الأسماء، فهو مع بقيّة الأسماء في معاملته حكم المتملّق حتى يرضى هذا الاسم الحاكم، والجناب العالي يقبل التملق بلطفه سبحانه، وينجز مع التملق. وقوله «وتصنّعي»: أي هو فعل صناعي لبقيّة الأسماء الخارجة عن سلطان الاسم الخاص الذي له حُكم الوقت، فاعلم ذلك.

يـا نـفـس مـوتـي صـبـابـة وعـلـى الـحـبـيـب تـقـطّـعـي

«الصّبابة»: رقة الشوق، فإنها ميل إلى المحبوب، ومنه «ريح الصبا»: أي المائلة، و«صبا فلان إلى دين فلان»: إذا مال إليه. فقال لها: موتي في حال ميلك إليه عن ذاتك وعن كلِّ سوى محبوبك. وقوله «وعلى الحبيب تقطّعي»: أي وجْدًا فيه وشوقا إليه، أي اخرقي الحُجُب الحائلة بينك وبينه.

شـوقـا إلـيـه لـعـلّـه يَـرْثـي لـرَسْـم بـلـقـع

قوله: «العلّه»: كلمة ترجّي. «يرثي»: يحنّ ويحزن ويفجع لِما أصابني، و«الرسم»: الأثر، و«البلقع»: الخراب، إذ لا يقع الشوق لغائب، فكأنه في مشاهدة نفسه عري عن مشاهدة ربّه فنطق بلسان الحال.

لـمّـا وقـفـت بـبـابـه بـتـنـهّـد وتـضـرّع

قوله: «بتنهّد وتضرّع»: يصف بذلك حالته عندما دعاه اسم المطلوب إليه، فلمّا دعاه إليه احتجب عنه احتجاب ابتلاء واختبار ليرى صدقه فيما ادّعاه من محبّته بلزومه الباب أو تركه إنْ انقطعت به الأسباب؛ كالذي جرى لصاحب التلبية بمكّة حيث كان تُرَدّ عليه تلبيته بعدم القبول، حتى كوشف به بعضهم وسأله عن تلبيته مع الردّ عليه بعدم القبول، فقال: يا ولدي هل ثمّ باب آخر أقصده إذا طردت عن هذا الباب، ولي كذا كذا سنة أسمع

هذا الجواب وأنا لا أنصرف عن الباب؛ ثمّ لبّى عقيب ذلك: (لبّيك اللهمّ لبّيك)، فإذا النداء: قد قبلناك بانكسارك وقبلنا تلبيتك فإنّ الله عند المنكسرة قلوبهم من أجْله.

وتحنّن وتعطّف ... لتغصّص وتجرّعِ

أي يطلب منه الحنان والعطف لِما يعانيه من الغُصص والغَصص: الاختناق بالماء، والماء سرّ الحياة العلميّة، فهو قوله: بتغصّصي لعزّة العلم الذي عندي، أن يحول بيني وبين هذا العزّ بمشاهدة العين. وكذلك «التجرّع»: أي أتجرّعه على كراهة ومرارة ولا أعصيه في مراده منّي، كما قيل:

أريد وصاله، ويريد هجري ... فأترك ما أريد لِما يريد

فما قَبِل الهجر إلا على كره يتجرّعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كلّ مكان.

نادى الحبيب: مَن الذي ... بالباب؟ قلتُ: فتى دَعِي

قوله: «فتى»: دعوى منه في مقام الفتوّة فيما يظهر. وإنما قال «فتى» لِما حمل من مقاسات البلوى في رضا المحبوب، فأخبر عمّا هو الحال عليه، وما قال ذلك: بحَوْلي وقوّتي.

قال: ادّعى؟ هل شاهد ... يدريه؟ قلتُ: أدمُعي

قال: هذه دعوى، فهل شاهد يشهد بصحّة ما ادّعيته؟ فقال: معي شهود، وهو قوله:

إنْ كنتُ أكذب سيّدي ... حسبي شهادة أدمعي

قوله: «إن كنت أكذب سيدي»: أي في دعواي. وقوله «حسبي»: أي يكفيني شهادة أدمعي، وهو بكائي للبين.

وتسَهّدي وتبلّدي ... وتوجّعي وتفجّعي

قوله: «تسهّدي»: أي نفي النوم أي للتجلي عند النزول بالليل إلى سماء الدّنيا. وقوله «تبلّدي»: أي عندما يخاطبني فيأخذني الدّهش والحيرة من حبّي فيك، فلا أعي ما تقول، فأنت أشغلتني عنك. قوله «وتوجّعي»: أي ما يصيبني من ألم الحبّ. وقوله «وتفجّعي»: إشارة إلى ما أصاب به فيك مِن أنّي أسمع فيك ممّن لا يعرفك ما لا يليق بك.

وتلهّفي وتحيّري ... وتسرّعي بتشرّعي

قوله: «وتلهفي»: أي حزني. قوله «وتحيّري»: أي لا أدري أين أطلبك وأقصدك،

كلّما قصدت مكانا ناديتني من آخر، فإذا رجعت إليه ناديتني ممّا رجعت منه، فلا أزال متحيّرا، وهذا جزاء من أحبّ من لا يتقيّد، فلا يزال متعوب الخاطر، وسبب ذلك نداؤه لي من كلّ حضرة. فلو لم ينادي لثبتُّ في مظهر من مظاهره، واعتكفتُ عليه، وأجمع همّي، ولكن يفرّقني. وقوله «وتسرّعي بتشرّعي»: أي أنك ناديتني بالأسرار فيما شرعتَ لي، وقد فعلته، فهو أيضا من شهودي على صدق دعواي.

ما زلــت أسـهـر باكـيا　　حـتى بـكـانـي مـضـجـعي

قوله: «حتى جفاني مضجعي»: أي ومن الشهود مضجعي حيث تجافى جنبي عنه، فكنت ممّن قيل فيهم في معرض الثناء الإلهي: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة: 16].

شـهـدتْ بـذلـك زفـرتـي　　وسـنـا الـنـجـوم الـطُّـلَّـعِ

أي شهدت بذلك أشواقي التي هي أسباب الزفرات، «وسنا النجوم الطلّع»: يقول ضوء الكواكب، يعني كواكب الأسماء من مرَاعاتي لها، وجريان حُكمها عليّ واستسلامي لها، لا لأعيانها بل لدلالتها عليك، إذ أنت المسمّى بها.

قـل لـي -صـدقـت- فـمـا الـذي　　تـبـغـيـه؟ قـلـتُ: تـسـمّـعِ

«قل لي صدقتَ» كقوله: ربّ احكم بالحق. وقوله: «فما الذي تبغيه؟»: قال: أن يُسمَع، كأني قمتُ في هذا المقام نائبا عنه إجابة لي: كما ورد في الخبر: (إذا قال الإمام: «سمع الله لمن حمده»[1] فقولوا: «ربنا ولك الحمد»، فإنّ الله قال على لسان عبده: «سمع الله لمن حمده»)، فهذا من ذلك المقام. قوله «تسمّع»: فكسّر ولم يجزم فإنه أمْر، فكسّره لإطلاق القافية، وعندنا فإنّه لطلب النزول لمسألتي، إذ يعزّ جلاله أن ينزل إلى مثلي. فإنْ لم ينزل، فلا أقدر على بث وجدي بين يديه، إذ الحبيب إذا تجلى للمحب في صورة القمر لا يقوى على مخاطبته، فإذا تلطف به وألان له جانبه حينئذ يخاطبه.

قـصـدي الـغـروب وظـاهـري　　يـطـوي الـطـريـق لـمَـطـلـعِ

قوله: «قصدي الغروب»: أي قصدي مشاهدتك وأنت تجلي صفاتك.

يـقِـصّ الـمـهـامـه قـاصـدا　　نـحـو الأعـزّ الأمـنـعِ

(1) مثل هذا الحديث رواه البخاري ومسلم.

«المهامه»: القفار، أي يقطع الأمور الشاقة المهلكة بالرّياضات والمجاهدات. وقوله «الأعزّ»: أي الغالب. و«الأمنع»: ذو الحمى فلا يوصَل إليه.

يا ظاهرا في ظاهر ... كم ذا تقول: تمتّعِ

قوله: «يا ظاهرا»: أي يا من ظهر في المظهر، «كم ذا تقول: تمتع» بالمظهر، وأنا أعرف أنّ وراء المظهر ما لا يظهر. فقد صحّ في هذا الموطن شرف «علم اليقين» على «عين اليقين»، وهو المعبّر عنه بـ«حق اليقين». وذلك أنّ «علم اليقين» يتقدّم»، ثمّ «عين اليقين»، ثم المرتبة الأخيرة بعد عين اليقين: «حق اليقين»، فهي أشرف مرتبة في هذا الموطن.

لا تحجُبَنّ نواظري ... بسنا المحلّ الأرفعِ

أي لا تحجبني بالمظهر وتقول ما ثمّ إلا هذا.

وهَب الذي أمّلتُه ... يا ذا الجلال الأروعِ

قوله: «وهب الذي أمّلته»: أي الذي طلبته منك وكان في أملي. قوله «يا ذا الجلال»: إي إذا وهبتني ما وهبتني فمن حضرة الجلال، حتى لا يستدرجني اللطف إلى إساءة الأدب عند الأخذ، فلهذا طلب الجلال.

أين الحجاب ولم يزَلْ ... ما دُمتُ إنسانا معي

قوله: «أين الحجاب، البيت بكماله»: يقول له لسان الحق عندما يسمع منه هذا البيت ما تقوله العامّة في أمثالها والعرب أيضا في أمثالها. فأمّا العامّة إذا رأوا محبّا يقول لمحبوبه: ما أبالي إذا هجرتَ أو وصلتَ فإنك في قلبي حاضر؛ فتقول فيه: مِن قلبك تصبح نفسك تطمعك نفسك بما ليس في يدك منه شيء، وتقوّي نفسك به، وإلاّ إنْ كنتَ صادقا ما الذي أوقفك في طريقي أو أوصلك إلى بابي، اقنع بما عندك منّي. وأمّا مَثل العرب في هذا فإنهم يقولون فيمن هذه حالته: (عن صبوح يرقق)[1].

(1) أصل هذا المثل أنه كان رجل نزل بقوم ليلًا فأضافوه وغَبَقوه، فلما فرغ قال إذا صبّحتموني غداً فكيف آخذ في حاجتي؟ فقيل عند ذلك: «أعن صبوح ترَقق»؟ والصبوح هو الغداء، والغبوق هو العشاء. وإنما أراد الضيف بهذه المقالة أن يوجب عليهم الصبوح. فأصبح مثلاً لكل من كنّى عن شيء وهو يريد غيره.

لـمّـا حُـبـيـتُ بـأربـعٍ ... بَـرِح الـخـفـاء وأرْبَـعِ

قوله: «لمّا حُبيت بأربع وأربع»: يعني الذات والصفات ثمانية[1]، أي فطرني على صورته، فتنزّه الإنسان في ذاته، وهو بمنزلة من تشاهده في مرآة. وإذا كان الأمر هكذا، فاستمع بنفسك، فإنّ الحق لا يحصل لأحد، ولا يقيّده أحد، ولذلك قال- عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-: (من عرف نفسه عرف ربّه).

علـمي بـعـلـمـك قـائم ... وكـذاك عـيـني ومـسـمـعي
وكـذا الـحـيـاة وقـدرتـي ... والـذات ذاتـك أدّعـي
والـقـولُ قـولـك والإرادة ... مـثـلُـه فـتـطـلّـع
يـا عـين لا تـبـكي عـلـيه مـ ... ـهِ الـيـوم شـوقـا وأقـلـعي
لـو كـان يـتـرك غـيـره ... لـبـكـيـتـه [إذن] فـاسـتـمـتـعي

قال السالك:

فلمّا سمع شعري، المترجم عمّا وقر في صدري، ووقوفي على حقيقة أمري، فُتِح لي الباب، ورُفع الحجاب، وقيل: استمع ما أورده عليك، ويا أيّها الرّسول بلّغ ما أنزل إليك.

مناجاة التشريف والتنزيه والتعريف والتنبيه

بسم الله الرّحمن الرّحيم

على التقويم الأكمل الأحسن، والخُلُق الأجمل الأتقن، المحفوظ المصون، في ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ [السجدة: 1] ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾ [التين: 1][2] الذي نبّهتُ عليه بالقَبَس،

(1) الصفات الثمانية: الحياة والعلم والإرادة والقدرة والكلام والسمع والبصر والبقاء.

(2) يشير بالسورتين إلى ما ورد فيهما من حسنِ خَلق الله تعالى وكماله في الإنسان. ففي الآيات 7/ 9 من السجدة: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩﴾؛ وفي سورة التين الآية 4: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾.

في حضرة القُدُس، حيث قلتُ:

هبّ النسيم مع الإمساء والغلس[1] بعَرْف روْض النّهى من حضرة القدُس

قوله: «هبّ النسيم»: يشير إلى نفَس الرّحمن، وهو الجود الإلهي الذي وُجدت به الأعيان، وذكرها مع الإمساء والغلس، أي هبوبها كان في الأوقات التي ليست موصوفة بشدّة الحرور لطفا بها حال إيجادها، فلم يكن وجودها عن قهر. ثمّ قال «بعَرف روض النهى»: يريد بالعرف الرّائحة، وهو ما تحويه الرّوضة من الأزهار الطيّبة الرّيح، يريد روضة العقل بقوله «النُّهى»، فإنها روضة معاني. وكنّى بحضرة القدس أنها مطهّرة ما فيها شبهة تدنّسها، ولا خيال يصوّرها.

وشـمّ بـريقـا بـأفـق التيـن لاح لنا يدلّ على أنّ عيون الماء في البَلَس[2]

قوله: «وشمّ بريقا»: الشمّ النظر إلى البرق، و«بريقا»: مشهدا ذاتيّا شبّهه بالبرق لأنه لا يثبت فإنه مهلِك. وقوله «بأفق التين»: لأنها السورة التي ذكر فيها أنه خلقه في أحسن تقويم، أي هذه منزلته، ولهذا كانت السورة بالسين. قوله «لاح لنا»: أي ظهر لنا بهذه المنزلة. وقوله «يدلّ على أنّ عيون الماء في البَلَس»: أي أنّ الحياة في العلم اللدنيّ الذي لم يتقدّمه اكتساب، فإنّ التين ثمر ليس له زهر يتقدّمه.

ألـمْ تـروْا لـكـليـم الله كـيـف بـدا له الخطاب من الأشجار في القبَس

قوله: «كيف بدا له الخطاب من الأشجار في القبَس»: أي لمّا كان الكلام لا يقف في حضرة واحدة، ولا على معنى واحد، ويدخل بعضه في بعضه، علّقه بالمناسب له وهي الشجرة لتداخل بعض أغصانها في بعض. وإنما كان قبسًا لأنه كان مطلوبه النار، فكلّمه في مطلوبه، ولو كان غير ذلك لتجلّى له فيه وكلّمه منه.

قال السالك:

فكان بعض ما قيل لي في ذلك التشريف والتنزيه، والتعريف والتنبيه، أنْ قال[3]: عبْدي أنت حمدي، وحامل أمانتي وعهدي، أنت طولي وعَرضي، وخليفتي في أرضي.

---

(1) الغلس: ظلمة آخر الليل.

(2) البلس: ثمر التين إذا أدرك.

(3) القائل هو لسان الإلهام الربّاني، والمخاطَب هو في الحقيقة الروح المحمّدي.

قوله: «أنت حمدي»: أي بك يُثنَى عليّ. وقوله «وحامل أمانتي وعهدي»: أي حمّلتك الصورة، وأخذت عليك الميثاق في العبوديّة، فلا تحجبنّك صورتي عن عهدي، ولا عهدي عن صورتي، فتعامل كلّ موطن بما يليق به. وقوله «وأنت طولي وعَرْضي»: أراد إضافة تشريف، فالطول كلّ علم يتعلق بالعالم العلويّ، والعَرض ما يتعلق بعلم الطبيعة، وهو منحصر في أربعة أصول، وكذلك العرض منحصر في السماوات والأرض في سعة الجنّة، ولم يذكر لطولها حدّ ولا انتهاء، فطولها روحاني معنوي، وعرضها جسماني. وهذا ذكرناه بطريق المعاني. وأمّا ما يتعلّق بتحقيق عرض الجنّة فإنّ شكلها مستدير، والمستدير ليس له بداية ولا غاية، والطول لا يظهر إلا ببداية وغاية. فعرض الجنة هو قطرها إذا قدّرته، وليس لها طول لأنها كُرَوية. فاعلم ذلك، والله وليّ الإعانة.

والقائم بقسطاس حقي، والمبعوث إلى جميع خلقي، عالمُك الأدنى بالعُدوة الدّنيا والعُدوة القصوى.

أراد بـ«العدوة الدنيا»: الأقرب إلينا. العدوتين القريبة والبعيدة.

أنتَ مرآتي، ومجلى صفاتي، ومفصِّلُ أسمائي، وفاطرُ سمائي.

قوله: «أنت مرآتي»: أي إذا كنت على الصورة فأنا أنظر فيك نفسي، وكذلك قولي «مجلى صفاتي». وقوله «مفصِّل أسمائي»: أي ما ظهرت حقائق الأسماء وتفاصيلها إلا بوجودك. وقوله «وفاطر سمائي»: أي أنت الذي فتحتها أبوابا، لأنّ ما فيها عليك ينزل، فمن أجلك تفتّحتْ الأبواب لنزول ما فيها إليك، إذ لولاك لم يكن ذلك.

أنت موضع نظري من خلقي، ومجتمع جمعي وفرْقي.

قوله: «أنت موضع نظري من خلقي»: هذا يخاطب به الإنسان الكامل. وقوله «مجتمع جمعي وفرقي»: أي فيك ظهرت صورتي وصورة العالم الكبير، فأنت جامع الصورتين.

أنت ردائي، وأنت أرضي وسمائي، وأنت عرشي وكبريائي.

قوله: «أنت ردائي»: أي الاسم الظاهر. وقوله «وأنت أرضي وسمائي»: أي من حيث ما يظهر عنك كما يظهر من السماء والأرض. وقوله «وأنت عرشي»: أي الذي استويتُ عليه. وقوله «كبريائي»: أي تعديتي عن الاستواء الموجب للحدود، وقد جعلتك في مقام لا يحصرك حدّ، فكيف أنا.

أنت الدرّة البيضاء، والزّبَرْجَدة الخضراء، بك تردّيتُ، وعليك استويتُ، وإليك أتيتُ، وبك إلى خلقي تجلّيتُ.

قوله: «أنت الدرّة البيضاء»: أي لك مقام القلم الأعلى. «والزبرْجدة الخضراء»: أي لك مقام اللوح المحفوظ. وقوله «بك تردّيت»: أي بظهورك ظهرت. وقوله «وعليك استويت»: أي لكونك ملكي الجامع. وقوله «وإليك أتيت»: هو ما وصف الحق به نفسه في النزول إلى السماء الدّنيا في الثلث الباقي من ليل هيكله[1]. وقوله «وبك إلى خلقي تجليت»: أي لكوْنك على الصورة ومقام الخلافة.

فسبحانك ما أعظم سلطانك، سلطانك سلطاني فكيف لا يكون عظيما، ويدُك يدي فكيف لا يكون عطاؤك جسيما.

قوله: «سبحانك ما أعظم شأنك»: أي تنزيهك رددته عليك[2]. وقوله «سلطانك سلطاني»: أي ليس للعبد سلطان من نفسه. قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنعام: 83]، وما قال حُجّة إبراهيم، سلطان الحّجة. وقوله «ويدُك يدي فكيف لا يكون عطاؤك جسيما»: أي أنّ اليد العليا هي المنفقة، وهو سبحانه ينفق كيف يشاء، ويد العبد محجورة، فكلّما يتصرّف العبد فهي يد الحق –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ–.

(1) يشير الشارح هنا إلى التناسب بين أقسام الليل الثلاثة، وعوالم الإنسان الثلاثة: روحه أو معناه، ونفسه أو خياله، وجسمه أو هيكله. والتنزل الربّاني في الثلث الأخير من الليل يتناسب مع ما ورد في حديث حبّ الله تعالى للمتقرب بالنوافل حتى يكون سمعه وبصره ويده ورجله.

(2) في العديد من نصوصه نبّه الشيخ على أنّ حقيقة التسبيح راجعة إلى المسبِّح– اسم فاعل–. يقول عنه ابن سودكين في كتابه «لواقح الأسرار»: وسمعته –رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ– يتكلم في قول أبي يزيد –البسطامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى–: «سبحاني»، فقال ما معناه: إنه لما نزّه الحق نفسه وقدّسه، قيل له في سرّه: هذا التسبيح والتنزيه الذي سبّحتنا به، هل تعلم أنه يعود علينا منه شيء؟ أو يفيدنا ما ليس عندنا؟ فقال: لا بل لك الكمال المطلق الذي يستحيل عليه النقص؛ فقيل له: فإذن أنت تسبّح نفسك أن يكون فيها الصفة التي أوجبتْ التعطيل في نفس المعطّل. فلمّا تمكن في هذا المقام إلى آخره فاستوفاه، وتقدّس باطنه من صفة تقتضي الجهل، قال: «سبحاني» قولا ذاتيا ضروريا. والسلام. ولقد عجبتُ ممّن تأول أخبار الصفات التي جاءت بها الشريعة وخرّج لها وجها، لما شكت به نفسه خصوص كيْف، ولم يخرج للعبيد الكاملين وجها إذا ادّعوا صفات ربّهم؛ والحقيقة واحدة.

لا مِثْل لك يوازيك، ولا عديل يجاريك.

قوله: «لا مِثل لك يوازيك»: أي أنّ الحق لا يكون مِثلا للإنسان، وإن كان الإنسان قد وُجد على صورته، وقد كنّى عنه بالمِثل، فهو مِثل لا يُماثَل. وهي مسألة عظيمة غلط فيها أكثر العارفين، فإنهم سمعوا إثبات المِثلية في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11]، أي: ليس مِثل مِثله شيء، وسمعوا أنّ الله خلق آدم على صورته، فقالوا هو المعبّر عنه بالمِثل، والمِثل يماثل مِثله، فكما نحن مثل الحق فالحق مثلنا، وها هنا يقع الغلط. وإنما لو قال: «ليس كمماثله شيء» فكان يكون الحق مثلنا ونحن مثل الحق. ولمّا لم يقل هذا، عرفنا أنّا نحن مثله، وهو ليس مثلنا، وهي دقيقة تخفى عنها عيون من لم يعرف خطاب الحق، وترجم عنه بما لا يليق به من سوء عين فهمه، لا من كشفه، فتحقق ترشد وقل: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝١١٤﴾ [طه: 114]. وقوله «لا عديل يجاريك»: أراد بالعديل التشبيه، وهو قول الكفار: ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام: 1]، أي يجعلون له مشابها ومماثلا.

أنت سرّ الماء، وسرّ نجوم السماء، وحياة روح الحياة، وباعث الأموات.

قوله: «أنت سرّ الماء»: أي أنت سرّ الحياة إذ كان الله قد جعل منه كلّ شيء حي. وقوله «وسرّ نجوم السماء»: أي بما جعل فيها وفي حركاتها العجيبة دنيا وآخرة. وقوله «وحياة روح الحياة»: يريد أنه لا شك أنّ الحياة في الصّور سببها وجود الروح فيها، وللروح حياة يُقال لها «حياة الروح» هي حياة ذاتية، والتي في الصور عرضية، وهي هذه الحياة الحسيّة. وأمّا حياة الصور الذاتية فهي التي هي بها مسبّحة لله عَزَّوَجَلَّ، سواء عرضت لها هذه الحياة الحسية أو لم تعرض.

قوله: «وباعث الأموات»: يريد انه لمّا كانت جوارحه ما لم يبعثها موتى عن إقامة ما كُلِّفتْ به من البطش والسعي وغير ذلك، فكان هو مأمورا ببعثها من هذا الموت، فقيل له «باعث الأموات».

أنت جنة العارفين، وغاية السالكين، وريحان المقرّبين، وسلام أصحاب اليمين، ومراد الطالبين.

قوله: «أنت جنة العارفين»: يقول أنت راحتهم ومتنزّههم بما أعطاك الله من جمال النشأتين، ووجود الصورتين، أي صورة الحق وصورة العالم، والنشأتين أي النشأة الظاهرة والباطنة، وحباك الله من خصائص التجليين: التجلي الظاهر من الاسم «الظاهر»، والتجلي الباطن أي التجلي لباطنك من الاسم «الظاهر» أيضا، إذ كان الاسم «الباطن»

لا يصح فيه التجلي أبدا لأنه يناقضه. وقوله «وغاية السالكين»: أي أنت المقصود. وقوله «وريحان المقرّبين»: أي رزقهم الذي يتغذون به. وقوله «وسلام أصحاب اليمين»: يريد قوله تعالى: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١﴾ [الواقعة: 91]، لمّا سلِم منهم الحق -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فلم يدّعوا في شيء ممّا له، وسلم منهم العالم فلم يزاحموهم فيما هم فيه، وكانوا مع الحق على نفوسهم في وجودهم، وما برحوا منهم، فلهذا سلم منهم كلّ موجود سواهم، فلهذا قال: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١﴾ [الواقعة: 90/ 91]، فأضاف للمُخاطَب السلام من أصحاب اليمين، أي أنت منهم مستريح، فهم أصحاب سلامة. والمقرّب صاحب سلامة وغنيمة، فهو أعلى الخلق. وقوله «ومراد الطالبين» مفهوم.

وأنس المعتزلين، المنفردين المنقطعين، وراحة المشتاقين، وأمن الخائفين، وخَشية العالِمين، وميراث الوارثين.

قوله: «خشية العالِمين»: أراد قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: 28]، والخشية هاهنا بمعنى الحياء، لا بمعنى الخوف، أي بك يستحون من الله لِما يرونه عند مشاهدتك من تحققك بهذه الصفة مع الله تعالى.

وقرّةُ عين المحبّين، وتحفة الواصلين، وعصمةُ اللائذين، ونزهة الناظرين، وريّا المستنشقين، وحمدُ الحامدين.

أنت دُرَرُ الأصداف، وبحر الأوصاف، وصاحب الاتصاف، ومحلّ الإنصاف، وموقف الوُصّاف، ومُشَرّفُ الأشراف، وسرّ الأنعام والأعراف.

قوله: «وبحر الأوصاف»: أي لك الصفات التي لا يُدرَك غوْرُها، ولا يُعلم قعرها. وقوله «وصاحب الاتصاف»: أي صاحب الخُلُق. وقوله «ومحلّ الإنصاف»: أي تنصف من نفسك، فلا يتعلق لأحد عليك حق، فلا تُشهَد في مجلس حاكم أجلسك فيه دعوى مدّع. وقوله «وسرّ الأنعام»: أي التي جعلها الله مراكب ومنها يأكلون. و«الأعراف»: سور باطنه فيه الرّحمة وهو ما عندك من الرّحمة بنفسك حيث تسلك بها مسلك السعادة، وظاهره من قِبله العذاب حيث تُظهِر من المجاهدات ما يكون أشدّ العذاب على النفوس.

طوبى لسرّ وصل إليك، وخرّ ساجدا بين يديك، له عندي، ما خبّأته وراء حدّي، وقد

ناجيتك به في مشهد «المطلع»، عند ارتقائك عن المحلّ الأرْفع[1].

قوله: «طوبي لسرّ وصل إليك»: قد يريد بطوبي من الطِيب، أي طِيبًا لك؛ وقد يريد بها شجرة تسمّى»طوبى» هي في الجنّة لقوم موصوفين، فتكون أنت لهم بمنزلة «طوبى» لأولئك. وقوله «وخرّ ساجدا بين يديك»: أي يلحق هذا السرّ بالملائكة في سجودهم لآدم-عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-، وأنت تلحق بآدم فيما فضله به عليهم. وقوله: «له عندي ما خبّأته وراء حدّي»: أي تجلّيات «المَطْلع».

عبدي أنت سرّي، وموضع أمري، هذا موقف تعريفك، بعلوّك على كلّ الموجودات وتشريفك[2].

قوله: «أنت سرّي وموضع أمري»: أي جعلت صورتك في الظاهر صورة أمثالك، وأنت في الباطن مخالف لهم، فهذا معنى «السرّ». وقوله «وموضع أمري»: أي المخاطَب بأمري، وهم على بيّنة من ربّهم وبصيرة. وقوله «هذا موقف تعريفك، بعلوّك على كلّ الموجودات وتشريفك»: أي هذه الحضرة التي هي «حضرة أوْحى». وهذه الحضرة لها شرفان: شرف المرتبة، وشرف لِما يوحَى في المرتبة، ففي الذي يوحى في المرتبة يقع التفاضل.

أنت روضة الأزهار، وأزهار الرّوضات، ومغرب الأسرار، وأسرار المغرب، ومشرق الأنوار، وأنوار المشرق.

قوله: «أنت روضة الأزهار وأزهار الروضات»: أي أنت منتِجٌ وأنت نتيجة. وقوله «ومغرب الأسرار»: أي فيك تغرب أسراري. وقوله «وأسرار المغرب»: أي إذا بُحثَ عن الأسرار لم توجد مكمّلة إلا منك. وقوله «ومشرق الأنوار»: أي بك تظهر الأنوار. وقوله «وأنوار المشرق»: أي بك تشرق الجهات.

---

(1) يشير الشيخ هنا إلى المخاطبات التي تلقاها في المشهد السادس من كتابه «مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية» المتضمن أربعة عشرة مشهدا. وفي شرحنا لهذا الكتاب بينّا علاقة أبوابه بسور من القرآن، وأنّ السورة المناسبة لهذا المشهد السادس هي سورة يس، وعنوانه: «مشهد نور المطلع وطلوع نجم الكشف».

(2) المخاطَب في كلّ هذه المخاطبات هو الروح المحمّدي، أو الإنسان الكامل.

لولاك ما ظهرت المقامات والمشاهد، ولا وُجد المشهود ولا الشاهد، ولا حُمِدتْ المعالم والمحامد.

قوله: «لوْلاك ما ظهرت المقامات والمشاهد»: أي لمّا كانت المقامات والمشاهد نِسَبٌ لا وجود لها في أعيانها، ولم يكن لها ظهور إلا بالإنسان المتصف بها، فلذلك قال: «لولاك ما ظهرت»، وهي مواضع التجليات. «ولا وُجد المشهود»: لا من حيث عينه بل من حيث هو مشهود. «ولا الشاهد»: لا من حيث عينه بل من حيث هو شاهد. وقوله «ولا حُمِدت المعالم والمحامد»: أي إذا لم يكن لها أثر فلا يصح الحمد.

ولا مُيِّز بين مُلك وملكوت، ولا تدرّع لاهوت بناسوت[1].

أي: لولا الصورة الظاهرة والباطنة ما تميّزت الأشياء، وهذا لا يختص بالإنسان، بل بكلّ موجود حصل في الصورة، وإنما كان للإنسان بهذا شرف من كونه شُرّف بالخطاب وعلم ما لم يكن يعلم من ذلك. فينبغي أنْ لا يغترّ الإنسان ويقول: من مثلي؟ فكلّ العالم هاهنا مثله إذ يجمعهم الحدّ والحقيقة.

بك ظهرت الموجودات وترتّبتْ، وبك تزخرفت أرضها وتزيّنتْ.

يعني هذا الإنسان الذي عمّر الدّنيا وعمّر الآخرة. فيعني بالموجودات عالم الطبيعة خاصة، لا كلّ الموجودات. وإذا أراد جميع الموجودات فيعني به عالم الصوَر، أي بالصور ظهر الترتيب وتميّزت المعاني.

عبدي لولاك ما كان سلوك ولا سفر، ولا عين ولا أثر.

أي لوْلاك من كونك ممكن. فكلّ ممكن داخل معه في هذا الثناء، وهو وصف علمي على ما هو الأمر عليه، ويدخل فيه الشقيّ والسعيد. ويُنظر في الكلام، فإن كان يدلّ على معنى مختص بموجود مّا دون غيره فهو المقصود بذلك، وإن كان يعمّ جميع الموجودات فهو على ما به فليس المقصود به واحدا بعينه. وقد يكون ثناء، وقد يكون وصف علم لا يُراد به الثناء وهو ما يكون على جهة التعريف. والثناء هو ما يقع به التشريف خاص لك، فاعلم ذلك، وبالله التوفيق.

ولا وصول ولا انصراف، ولا كشف ولا إشراف، ولا مكان ولا تمكين، ولا حال ولا

(1) ولا تدرّع لاهوت بناسوت: أي ولا دبّرت الأرواح هياكلها.

تلوين، ولا ذوق ولا شرب، ولا قشر ولا لبّ، ولا عبد ولا ربّ[1]، ولا ذهاب ولا نفْس، ولا هيبة ولا أنس، ولا نَفَس ولا قبَس، ولا فرَسٌ ولا جرس، ولا جَناحُ ولا رفرف، ولا رياح ولا موقف، ولا معراجِ ولا انزعاج، ولا تجلّي ولا تخلّي، ولا جود ولا وجود، ولا حمد ولا محمود، ولا تداني ولا ترقّي، ولا تدلّي ولا تلقّي، ولا هيّن ولا ليّن، ولا غيْن ولا ريْن، ولا كيف ولا أين، ولا فتق ولا رتق، ولا ختم ولا ختام، ولا وحي ولا كلام، ولا وميض ولا برق، ولا جمع ولا فرْق، ولا إصاخة ولا إسماع، ولا لذّة ولا استمتاع، لا سلخ ولا انخلاع، ولا صدق ولا يقين، ولا خفي ولا مبين، ولا مشكاة ولا نور، ولا ورود ولا صدور، ولا ظهر لصفاتٍ عيْن، ولا تحقق وصل ولا بيْن، ولا كان عرش، ولا مُهِّد فرْش، ولا رُفِع غمام، ولا أحرق اصطلام، ولا كان فناء ولا بقاء، ولا قبض ولا عطاء، إلى غير ذلك من الأسرار، ولا أشرقت الأنوار على الأسوار، ولا جرتْ بحار الخلق على الأطوار.

لولاك ما عُبدتُ، ولا وُجدتُ ولا عُلِمتُ، ولا دَعَوْتُ ولا أُجِبتُ، ولا دُعِيتُ ولا أَجبْتُ، ولا شُكِرتُ ولا كُفِرْتُ، ولا بطنت ولا ظهرتُ، ولا قدّمتُ ولا أخّرتُ، ولا نهيتُ ولا أمرتُ، ولا أعلنتُ ولا أسْرَرْتُ، ولا أخبرت ولا أوضحت ولا أشرتُ.

أنت قطب الفلَك، ومعلِّم المَلَك، رهين المحبس، وسلطان المقام الأقدس.

قوله: «وأنت قطب الفلك»: أي عليك يدور الفلك، إذ كان الفلك لا يدور إلا بما تستحقه هذه النشأة، ولا وُجدت المولّدات عن هذه الأفلاك في عالم الطبيعة إلا بحُكم التسخير لهذا الإنسان، كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: 13] دنيا وآخرة. وقوله «وسلطان المقام الأقدس»: يعني الخلافة.

أنت كيميائي، وأنت سيميائي، أنت إكسير القلوب، ورياض حياض الغيوب، بك تنقلب الأعيان، أيّها الإنسان.

قوله: «أنت كيميائي»: أي موضع قلب الأعيان أعيان الصور. وقوله «وأنت سيميائي»: أي أثره في البرزخ، لأنّه قلب عين غير حقيقي بخلاف الكيمياء. وقوله «أنت إكسير القلوب»: أي تردّ القلوب المحجوبة عن الحق بمشاهدة الأكوان بشاهد الحق وتغيب عن الأكوان، أو تشاهده في الأكوان. وقوله «ورياض حياض الغيوب»: أي

(1) أي لا ظهور لأحكام الربوبية إلا بوجود المربوب وهو العبد.

مقرّها، أي كما أنّ الحوض مقرّ الماء. وقوله «بك تنقلب الأعيان، أيّها الإنسان»: يثبته ما تقدّم.

أنت الذي أردتَ، وأنت الذي اعتقدتَ: ربّك منك إليك، ومعبودك بين عينيك، ومعارفك مردودة عليك، ما عرفتَ سواك، ولا ناجيتُ إلا إيّاك[1].

مناجاة التّقديس

وأنا الواحد الذي لا تحيط بي الأفكار، ولا يُنْتَهَى إليّ الإسرار[2]**، ولا تدركني البصائر ولا الأبصار.**

وأنا اللطيف الخبير، الحكيم القدير، وأنا كما كنتُ، عُدِمْتَ أو وُجِدْتَ، أشركتَ أو وحّدتَ، ما طرأ عليّ حال كنتُ عَدِمْتُه، ولا فقدتُ شيئا ثمّ وجدتُه[3].

علمي محيط ببسيطك، وقدرتي ظاهرة في تخطيطك، تنزّهتُ عن التنزيه، فكيف عن التشبيه، في العجز معرفتي على الكمال، فهي حضرة الجلال.

ليس لي مَثَلٌ معقول، ولا دلّت عليّ العقول، الألباب حائرة في كبريائي، والأسرار مطيفون بعرش ردائي.

أنت وأنا حرف ومعنى، بل معنى ومعنى.

قوله: «أنت وأنا حرف ومعنى»: أي أنّ الحرف يتضمّن المعنى، وأنت لا تتضمّن ربّك، فلذلك قال «بل معنى ومعنى»، أي هو أشدّ بيانا وإن دللتَ عليه بحرفيتك، فإنما تدلّ عليه من كونه موجدك فقط، فما دللتَ إلا على نفسك.

أنت المِثْلُ الخفيّ، المنقول اللغويّ، وأنا الواحد الجليّ.

---

(1) أي مع كلّ هذا التشريف الأعلى، فإنّ الإنسان مهما كانت معرفته لا يدرك من العلم بالله تعالى إلا على قدر استعداده، واستعداد كلّ مخلوق محصور، ولا مقارنة بين المقيّد المحصور والحق الذي لا نهاية لكمالاته - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -.

(2) أي أنّ إسرارات كلّ المخلوقات لا تدركني.

(3) أي أنّ ذات الحق تعالى غنيّة عن العالمين.

قوله: «أنت المِثل الخفي»: أي لكونك على الصورة. وقوله «المنقول اللغوي»: أي بإذني ما يقع به التشبيه في مجرّد اللفظ، كقولك: عالِم وعالِم. وقوله «وأنا الواحد الجليّ»: أي الذي لا يقبل التثنية.

أنت الواحد وأنا الواحد، والواحد في الواحد بالواحد، فإذا ضُرب الفرْد في الفرد، بقي الربّ وفني العبد. وهذا السرّ الخارج، لك لا لأصحاب المعارج.

قوله: «هذا السرّ الخارج، لك لا لأصحاب المعارج»: أي هذه معرفة ذاتية، وأمّا أصحاب المعارج فلهم التنقل في الأسماء من حضرة إلى حضرة.

لا تَضَاعُف يظهر لذي عينين[1]**، ولا تكاثف إلا من حيث البيْن**[2].

مناجاة المنّة

عبدي[3]**، خرقت لك الحجاب، وأظهرتُ لك الأمرَ العُجاب، حتى أتيتَ قومك بالكتاب، ﴿فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ٢٤﴾ [غافر: 24].**

قوله: «خرقت لك الحجاب»: أي أشهدتك أسرار الغيب، حتى عرفت ما تعطيه خواص الأشياء في أزمنة مخصوصة.

عبدي، وهبتك أسرار الأخلاق، ومَلّكتك مفتاح اسمي «الخلاّق»، فقال الكافرون: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ٧﴾ [ص: 7].

قوله: «وهبتك أسرار الأخلاق»: وهو ما أُعطِيَ من جوامع الكلِم، إذ كان القرآن معجزته. و«الاختلاق»: الكذب.

عبدي، مَلّكْتك سرّ النون، من قولي: «كن فيكون»، فقالوا: ساحر مجنون[4].

---

(1) أي أنّ الوجود الحق واحد أحد، ولا قيام لوجود المخلوقات إلا بالوجود الحق الواحد.

(2) أي في عالم الكثرة والفرق يظهر الكثيف مخالفا للطيف، أمّا في حضرة النور الخالص لا وجود إلا للطافة مطلقة. والله أعلم.

(3) العبد هنا هو الإنسان المحمدي الكامل.

(4) يشير إلى الآيات الأربعة الأولى من سورة القلم: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾.

قوله: «ملكتك سر النون»: هو ما يظهر من الرّسول من الاقتدار الذي لا ينبغي أن يكون إلا لله تعالى، من إحياء الموتى وأشباهه.

عبدي، أتيتهم بأسرار الكوثر، فقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾﴾ [المدثر: 24].

يريد بأسرار الكوثر علما خاصا، كما أنّ الكوثر خاصية مائه أنّ من شرب منه لا يظمأ، فكذلك هذا العلم الذي هو بهذه المثابة من شرب منه ما يَرْوي.

عبدي أعطتك القوافي زمامها، ورَفعتْ لك المعاني معارفها، فجريْتَ سابقا في حلبة الناظم والناثر، فقالوا: ما هذا رسول بل هو شاعر.

قوله: «أعطتك القوافي زمامها والمعاني، إلى آخر الفصل»: يريد دلالة الألفاظ بحُكم التطابق على المعاني على طريق الإعجاز بعدم المعارضة.

عبدي كشفت لهم عن النور المبين، وأطلعتهم على علم اليقين، فقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال: 31].

يريد بالنور المبين وعلم اليقين قوله تعالى: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾ [فصلت: 43].

عبدي أبرَزْتك في الحضرة الإلهية، ومحوْتك في الكيفيّة والماهيّة، ولو كنتُ مُطْلِعًا عليها أحدا أطلعتك، أو مُوقِفا عليها غيرك أوقفتك، والغير لا يصح فكيف ذكرته؟ أو مَن ذا الذي نهيته أو أمرته؟

قوله: «أبرزتك في الحضرة الإلهية»: أي مقام الخلافة. وقوله «محوتك عن الكيفية والماهية»: أي لم أعطك العلم، ولا ينبغي أن يُعطَى لأحد. وقوله «ولو كنت مطلعا عليها أحد أطلعتك»: هذا يدل على أنّ ثَمّ وصف ثبوتي يتميّز هو به، وينفرد بنظره والاطلاع عليه عَزَّوَجَلَّ. ولمّا كانت العين مجهولة نسَبْنا الأشياء إلى الألوهية. وقد جاء أنه –سبحانه– يرفع القسط ويخفض مع قوله تعالى: ﴿اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: 54]. فهذه كلها أحوال، والأحوال للكيفيات مطلقا، لكن كيفية مطلقة لا مقيّدة، أي مميّزة عن سواها. وقوله «والغير لا يصح، فكيف ذكرته؟! ومن ذا الذي نهيته أو أمرته؟»: أي ليس نحن بأغيار للحق، ولا هو بغير لنا، بل هو هو، ونحن نحن. وانظر إلى ما يستلزمه الدليل، لأنّ إذا تناقضنا في رؤية الفعل من الصوفي ومناقضِه، قد ثبت بالدليل أنّ الفعل لله، فنسبته إليه اقتدار إلهي، إذ لا فاعل سواه، ولا قادر سواه، ولا تصح قدرة بين مقدورين، وما رأينا

الفعل ظهر إلا من العبد، فهو محلّ لظهور عين الفعل، فقام الدليل على أنه فَعَل، وقام الدليل على أنه لم يفعل. فكذلك الغيريّة، فاعلم ذلك، وقل: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

عبدي، أوْقَفْتُك على أنّ العرش ظلك[1]، وَوَبْـل الأسرار طَـلّك[2]، وأنك العرش المجيد، الغني الحميد، فما ظنّ الضانّ بوبْلك، وأين هو من مواقع نَبْلِك. لقد أيّدتك بالأسماء، وعرجتُ بك إلى السماء، وجاوزتُ بك على الرّفرف، وأطلعتك على كل مقام وموقف، وكنتَ بها السيد المُعَلّى، والمَوْرد العذب الأحلى، والصارم العضب[3] المُجْلى. وكلّ من ادعى لك الإمامة في الطريق، فأنت سرّه على التحقيق، وهو ما أوقرْته في نفس الصديق[4]، وهو التوارث المجيد، عند أهل الجمع والوجود. قدْرُك أرفع من الإمامة، لأنها موقوفة على من نظر خلفه وأمامه.

قوله: «قدرك أرفع من الإمامة»، الفصل: أي أنّ الإمامة مقيّدة بمن له خلف وأمام، وأنت أرفع من الجهات من حيث حقيقتك.

والجهات موضع الزيادة والنقصان، ومحلّ الرّبح والخسران، وأنت منزّه عن ذلك، إذ أنت المَلِك والمالك. ثم تجليتُ لك في قاب قوسين، ومحوتُ عنك فيه الأثر والعين، وأعدمتك النجْدين، حتى لم يبق لك من العين إلا إنسانها، وأبرزتك في الموجودات إنسانها، وانتظم الشمل، والتحق الفرع بالأصل، واتحدت الأمور، وذهبت القشور، ولاح كمال الوجود، ورأيت أنّ العابد هو المعبود[5].

عبدي، النعم كلها بين يديك، ولباب التوحيد بين عينيك. طال- وعزّتي- ما كنتَ في

(1) العرش هو المُلك، أي العالم الكبير، وفيه ما تفرق في الإنسان الجامع، فهو كالنسخة منه.

(2) الوبل: المطر الشديد، والطلّ: المطر الخفيف.

(3) العضب: الرجل الحديد الكلام.

(4) يشير إلى الخبر: «ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في صدره» [رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» وأبو يعلى وأحمد، وضعّف سنده بعض أهل الحديث- وقد سبق الكلام عنه.

(5) أي لا قيام للعابد إلا بمعبوده الحق تعالى الذي أقامه ووفقه لعبادته، هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإنّ العابد لا يعبد معبوده إلا بقدر معرفته به التي هي من صنع فكر العبد واعتقاده.

الحضيض الأوْهد[1] والليل المُحْلولك الأرْبد[2]، لا يستقر بك قرار ولا يطلع عليك نهار. فأردت من أجنادك أن يسرعوا إلى حضرة: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ﴾ [الأحزاب: 13]، **فأطلعتُ البدر المرموز في ليلتك الحندسيّة[3]، ومملكتك الندسيّة.**

قوله: «لباب التوحيد بين عينيك»: أي ليكون التوحيد مشهودك أبدا، وتكون مرَاقبا له على الدوام. قوله «طال ما كنت في الحضيض الأوهد»: أي في عالم طبيعتك. قوله «فأردت من أجنادك أن يسرعوا إلى قوله لا مقام لكم فارجعو»: إي إلى وراثة المقام المحمدي. وقوله «فأطلعت البدر المرموز في ليلتك الحندسية»: أراد بالبدر المرموز قوله -عليه الصلاة والسلام- (ترون ربكم كما ترون البدر)[4]. وقوله «في ليلتك الحندسية»: أي في نفسك وذاتك. وقوله «الندسية»: أي الرّفيعة.

فخرق غُدَافيّ إهابَها[5]، ونزع مُحْلَوْلك جلبابها، فصارت كأنها قطعة بلّور، ترفل في غلائل النور.

قوله: «فخرق غدافي إهابها»: «الغداف»: الأسود. وقوله «ونزع محلولك جلبابها»: أي شق ظلمتها كما فعل البدر فرأيته من وراء السحاب، كذلك تجليتُ لك كالبدر، فظهرت لك من وراء طبيعتك، فلذلك قال: «فصارت كأنها قطعة بلور ترفل في غلائل النور»، يعني زهت بهذا التجلي.

ثم جئت بك في ظلل من الغمام، على هشائم دنّسها القَتام، فأمطرت القيعان والآكام، فتعمّم صُلْعُ هامات الرُّبا وبارز الأهضام[6].

قوله: «ثم جئت بك في ظلل من الغمام»: أي لتعلم أني إذا جئت إليك إنما أجي إليك بالحالة التي جئتني بها. وكذلك جاء التجلي لموسى -عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ- على الجبل.

---

(1) الأوهد: المنخفض.

(2) الأربد: الأغبر.

(3) الحندسية: المظلمة.

(4) الحديث أخرجه البخاري ومسلم والترمذي.

(5) خرق غدافي إهابها: أي خرق ظلام جلدها.

(6) هشائم: شجر يابس. القتام: الغبار الأسود. الأهضام: الهضم هو بطن الوادي.

وقوله «على هشائم دنّسها القتام»: أراد الحجب التي هي الشبه في العلوم، أي مررت بك على هذه الهشائم، أي على أمور بينك وبينها حُجُب، فمررتَ عليها وأنت لا تعرفها، ولهذا وطئتها، ولو عرفت قدرها ما وطئتها. وقوله «أمطرت القيعان والآكام»: أي فَسَرَتْ فيهم العظمة، فالقيعان: المنخفض، والآكام: المرتفع. وقوله «فتعمم صلع هامات الرُّبا»: أي أغشيت المقامات العلية بالمعارف، وكذلك المقامات الدنية بقوله بعد ذلك «وبارز الأهضام».

واخترقتُ بك المقامات، وجلّيتُ لقدومك الحضرات، أضرب لك في كل حضرة فُسطاطا، وأنشر لك فيه من الذكر الجميل بساطا. ولم أزل أرقِّيك عن هذه النسب، حتى حجبتك بالمسبِّب عن السبب، فقلت لك: (أنا المريد، وأنا المبديء المعيد)، نبّهتك بذلك عن الرّجوع ممّا وصلتَ، إلى المقام الذي عنه انفصلتَ، رجوع راق[1]، لا رجوع فراق.

مناجاة التعليم

عبدي، أنت من عرائسي الذين خبّأتهم في خزائن الغيوب، غيرة أنْ تطّلع عليهم أسرار أرواح القلوب، فهم لدينا محضَرون، صُمّ بُكم عُمْي فهم لا يرجعون.

قوله: «من عرائسي الذين خبّأتهم»: إنما سّماهم «عرائس» لأنهم محل نكاح الأسماء الإلهية التي تعطي التجليات في الدار الآخرة وحيث ما كان. وقوله «غيرة أن يطلع عليهم»: يعني قلوب الأغيار لئلا يَعرف أحد مقامهم. وقوله «فهم لدينا محضرون»: أي لهم مقام الملائكة المهيَّمين، ويعني بهؤلاء «الأفراد»[2]. وقوله «صم بكم فهم لا

(1) راق: ترقي.

(2) الأفراد هم طبقة من الأولياء قال الشيخ عنهم في الباب 73 ما خلاصته: «الأفراد لا عدد يحصرهم، وهم المقرّبون بلسان الشرع. وهم رجال خارجون عن دائرة القطب، وخَضِرٌ منهم، ونظيرهم من الملائكة الأرواح المهيّمة في جلال الله وهم الكروبيون، معتكفون في حضرة الحق سبحانه لا يعرفون سواه، ولا يشهدون سوى ما عرفوا منه، ليس لهم بذواتهم علم عند نفوسهم، وهم على الحقيقة ما عرفوا سواهم، ولا وقفوا إلا معهم، هم وكل ما سوى الله بهذه المثابة. مقامهم بين الصدّيقية والنبوّة الشرعية، وهو مقام جليل جهله أكثر الناس من أهل طريقنا لأن ذوقه عزيز، =

يرجعون»: أي لا يرجعون إلى الأكوان بغير الحق، والغالب عليهم الاستهلاك في جناب الحق، كأبي يزيد، وأبي عقال المغربي الذي أقام سنين ما أكل ولا شرب حتى مات رحمهما الله تعالى.

من استمسك بزمامهم، وصلّى خلف إمامهم، حصل في عناية خاتمة الطور، ووقف على معاني الكتاب المسطور، وعلى الله قصد السبيل.

قوله: «من استمسك بزمامهم حصل في عناية خاتمة الطور»: أي قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: 48]، «ووقف على معاني الكتاب المسطور»: يعني مَن سلك طريقة الأفراد كان كما قال الله تعالى فيه: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، لأن الحق بعينه في هذا المقام. فكما أنّ الحق عليه قريب في جميع أنفاسه، كذلك هذا على الحق قريب في جميع آثاره، وهو مقام الصدّيق -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فإنه قال: (ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله). فهذه هي مراقبة الله تعالى في آثاره، فلا يُبدي سبحانه شيئا إلا وهو يراه قبل أنْ يبديه.

فمن شاء أن يقف على حقائق المعاني، فليتخلّق بالقرآن العظيم والسبع المثاني: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38]. من أحب أن يفيض على عالم البسيط والتخطيط، فليكن القرآن المحيط: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرّعد: 39].

قوله: «فليتخلق بالقرآن العظيم والسبع المثاني»: يريد بالسبع المثاني أنها ينعطف بعضها على بعض بين حق وخلق، تارة ينعطف الحق على الخلق، وتارة ينعطف الخلق على الحق. والقرآن العظيم يعني المجموع العظيم الذي قد جمع بين الحق والخلق: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38]. قوله «فليكن القرآن المحيط»: أي من أراد أن يكون له إمداد على كل ما سوى الله تعالى فليكن هو عين القرآن، فيأخذ كل عالم منه مشربه. ولا يعرف ذلك إلا من يعرف موازين العالم: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾ [الرّعد: 8].

= هو مقام النبوة المطلقة. وقد يُنال اختصاصا، وقد يُنال بالعمل المشروع، وقد يُنال بتوحيد الحق والذلة له وما ينبغي من تعظيم جلال المنعم بالإيجاد والتوحيد، كل ذلك من جهة العلم. وله كشف خاص لا يناله سواهم. ومحمد -ﷺ- كان قبل أن يُرسل وينبّأ من الأفراد الذين نالوا الأمر بتوحيد الحق وتعظيم جلاله والانقطاع إليه».

بين حمد العارف والوارث، ما بين القديم والحادث: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: 34].

قوله: «قل كل يعمل على شاكلته»: هذه الآية التي ختم بها يعني هي حظ صاحب هذا المقام من القرآن. والوارث الذي يرث الحق وهو الذي يظهر في الخلق بصفة الحق، مع تحققه بصفته لا تزول عنه. والعارف مع نفسه في مقام الحيرة، فإنه طالب نظر. فالعارف متصرّف والوارث مُصَرَّف.

اسمي الأعظم الأمجد، في العبد الأكرم[1] الأنجد: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾ [الذاريات: 21].

أي: هو الإنسان الكامل، وهو صاحب الهمّة، فكل عبد إذا سُئِل الحق به أعطى فهو ذاك. قال بعضهم لبعض تلامذته: «إذا كانت لك إلى الله حاجة فأقسم عليه بي». فهنا أمران: أحدهما وهو الصحيح أنّ هذا الشيخ عرف من هذا التلميذ أنه قد اعتقد فيه هذا القدر الذي نبّهه عليه، وأنّ همّته اجتمعت عليه في هذا الأمر، فعلم قطعا أنّ هذه الهمّة إذا اتجهت إلى الحق بسؤاله باسم هذا الشيخ أنّ الشيء ينفعل له لهمّته، لا لكرامة الشيخ. وقد يكون الشيخ على تلك المرتبة وقد لا يكون.

هو السرّ الفعّال الأوحد، لا يناله إلا من ارتقى ثم أخلد: ﴿ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: 175].

قوله: «هو السر الفعّال»: يريد بالفعّال المؤثر الأوحد، المجتمع الهمّة، ولا ينال هذا

(1) أي أنّ الاسم هو الدالّ على المسمّى، وأعظم دالّ على الله تعالى هو العبد المحمدي الكامل وفي هذا المعنى يقول الشيخ في جوابه عن السؤال 131 من أسئلة الحكيم الترمذي في الباب 73 من الفتوحات: ما رأس أسمائه الذي استوجب منه جميع الأسماء؟الجواب: الاسم الأعظم الذي لا مدلول له سوى عين الجمع، وفيه «الْحَيُّ الْقَيُّومُ» ولا بد. فإن قلتَ فهو الاسم «الله»؟ قلتُ: لا أدري فإنه يفعل بالخاصية، وهذه اللفظة إنما تفعل بالصدق إذا كان صفة للمتلفظ بها، بخلاف ذلك الاسم. ولكن الظاهر من مذهب الترمذي أنّ رأس الأسماء الذي استوجب منه جميع الأسماء إنما هو الإنسان الكبير، وهو الكامل. وإذا كان هذا فهو الأولى في طريق القوم أن يُشرح به رأس الأسماء، فإنّ آدم علّمه الله جميع الأسماء كلها من ذاته ذوقا، فتجلى له تجليا كليّا، فما بقي اسم في الحضرة الإلهية إلا ظهر له فيه، فعلم من ذاته جميع أسماء خالقه.

المقام إلا من ارتقى عن نفسه إلى ربّه، ثم رجع إلى نفسه، وهو الغاية في الكمال. لأنّ من رجع إلى الفقر بعد الغنى فهو الرّجل.

العارف مركزه القطيعة، وخرق حجاب الشريعة، وهو يقول ولا يمنّ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾ [فاطر: 34].

قوله: «مركزه القطيعة»: أي مستقره الصفة التي يتميّز بها عن ربّه. وقوله «خرق حجاب الشريعة»: يريد أنّ الشريعة حجابا في العامّة، وهو سرّها، فمن عمل بالشريعة فقد خرق حجابها، فعلم ما وراءها كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: 282]، فهذا معنى خرقها، أي عمل بها، فكشف ما تنتج. ومن ذلك يقال: «خرقت الماء» إذا مشيت فيه، أو سبحت فيه.

مَن تسلّل لِواذا[1] واعتصم عياذا، واتخذ «لا مقام» ملاذا، وصيّر الأصنام جذاذا، وأمطر وابلا ورَذاذا، وجب أن يقول: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: 43].

قوله: «من تسلل لواذا»: أي من انتزع عن نفسه انتزاعا خفيّا لا يُشعر به في العامّة ولا في الخاصة، ولاذ بالله تعالى كالمتصدِّق بيمينه لا تعرف بها شماله. وقوله «واعتصم عياذا»: أي اتخذ الله من حيث جمعية هذا الاسم أمرا يتعوّذ كما قال: (وأعوذ بك منك)، لأنه لم يرى في مقابلة الحق إلا الحق. وقوله «اتخذ المقام ملاذا»: أراد ميراثا محمديّا. وقوله «وصير الأصنام جذاذا»: أي كل من قال له: «أنا الله» قال: «أنت بالله». وقوله «وأمطر وابلا ورذاذا»: يريد أصناف العلوم يلقيها على قلوب المتعلمين على قدر قواهم؛ فالرذاذ منه هو الرش وهو الخفيف من المطر. والوابل هو كل علم يرد على قلب مريض ذي علة فيبريه من تلك العلة، فكأنه علم مختص بإزالة الشبهات، يقال: «بَلّ المريض وأبَلّ واستبَلّ» إذا صح من مرضه. فتحقق، وبالله التوفيق.

قال ربيب نظر إمامه ووالده حقا إسماعيل- أخذ الله بيده-: لمّا تحقق تمكن إمامه في هذا المقام الذي حضرته الأسمائية حضرة الاسم «المقسط» في أبيات منها في هذا المعنى هذه الأبيات:

في كل يوم لأهل الحق فائدة — من فيضه فهو يلقيها على قدر

(1) لواذا: خفية.

تأتي المعاني على الإجمال موطئة ... وزْنـا بـوزن بلاغـيّ ولا هـدر
مقام من حـقـق الباري وراثـتـه ... وذاك أخطر ما في الإرث فاعتبر
إنْ زاد يطغى، وإنْ أبقى يرتع ولا ... تكليف أعظم من هذا على الـبشر
هذا المـقام الذي جاء المديـح به ... لسيد الكون مَن مولاه في السـور

من قام باللام وحده، ووقف على ما حصل عنده، وجاوز مطلعه حدّه، ولم ير مثله ولا ضدّه، وملك وعيده ووعده، وأمن قربه وبُعده، وعرف أنه لا يأتي أحد بعده، قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: 74].

قوله: «من قام باللام وحده»: يريد أن اللام للفناء، فيكون القائم الحق لا هو، لأنك تقول: «الحمد لله»، فجعلته حامدا لنفسه، قائما بحمده. وإذا قلت: «الحمد بالله» فقد جعلت الباء للاستعانة. فاللام له، والباء لنا: ولذلك قال «العلماء لي، والعارفون بي». وقوله «ووقف على ما حصل عنده»: يعني تميّزت له في نفسه ما كشف الحق له من المراتب. وقوله «ولم ير مثله ولا ضده»: يعني لشغله بربه، أو بموازنة نفسه مع ربه فيما وجد عليها. وقوله «وملك وعيده ووعده»: أي لم تؤثر فيه لا رغبة ولا رهبة، أي لا صفة حكمت عليه، فهو عبد ذات لا عبد صفة. وقوله «وأمن قربه وبعده»: أي لم يتأثر للأسماء المؤثرات في القرب والبعد. وأمّا الوعد والوعيد فلآثار الأسماء. وقوله «وعرف أنه لا يأتي أحد بعده»: بأكمل من هذا المقام. وإنما يتفاوتون في استصحابه أو عدم استصحابه.

من اتبع الخليفة، أمن من كل خيفة، وصارت الأسرار به مطيفة، وحصل بالرتبة المنيفة، وأولي الأمر منكم لا ينسبه إلى العدوان، فلا فاعل إلا الديّان: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: 78].

قوله: «من اتبع الخليفة»: يريد الاتباع الذي يورث العصمة. وقوله «لا ينسبه إلى العدوان»: أي لا ينسب الخليفة إلى العدوان، كما قال الخارجي: «هذه قسمة ما أريد بها وجه الله».

من طعن في الوزير وردّ أمره، سفّه الأمير وجهل قدره: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: 80]، **هو صاحب الصفات والأسماء. واعلم أنّ الوصف يريد الموصوف، والاسم يريد المسمّى:** ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31]، **(وأوتيتُ جوامع الكلم).**

قوله: «هو صاحب الصفات والأسماء»: يعني صاحب هذا المقام إن شاء حَكم بهذه، وإن شاء لم يحكم. وقوله «اعلم أن الوصف يريد الموصوف»: أي هو الذي يمشي بينك وبين الموصوف؛ «والاسم يريد المسمى».

لا يأبى عن أكل الشجرة، إلا الكفرة. مَن أكل من الشجرة، حرم مقامات البرَرَة. شجرَتان تسقى بماء واحد: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ [الإسراء: 20]. في الوفاء بالعهد الأزلي، مفتاح العهد الأبدي: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾ [الرحمن: 60].

قوله: «لا يأبى عن أكل الشجرة إلا الكفرة»: يعني الذين يطلبون التستر بأوصاف الربوبية، إذ لا تصح الصمدية إلا له. وقوله «من أكل من الشجرة حرم مقامات البررة»: يعني بالبررة المحسنين. ومن أكلها لم يؤثر بها غيره لم يكن له مقام في الإحسان لأنه آثر نفسه. ومعنى ذلك أنّ العبد لا يتصف بأوصاف الربوبية إلا بمشاهدة عبودية غيره له، والبار هو المحسن إلى الغير، وهذا إنما أحسن إلى نفسه بإظهار عبوديته، وهو يتوجه للطريقين. وقوله «شجرتان»: كأنه يشير إلى ما قلناه على التخلق بالشيء ونقيضه. فقد تكون الشجرة الواحدة عبارة عن شجرة العبودية، وتكون الشجرة الأخرى عبارة عن مقام الربوبية. ولمّا كان الربّ والمربوب بينهما ارتباط، لذلك قال: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ [الرعد: 4]. وقوله «في الوفاء بالعهد الأزلي مفتاح العهد الأبدي»: أراد بالأزلي ما هو منسوب إلى الحق فيما أخذه، والأبدي إذا وفيت بالعهد الأزلي هو ما يكون لك من عنده إلى غير نهاية. قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: 40].

مناجاة أسرار مبادئ السُّوَر

عبدي، بلِّغ إليّ عني وقوليَ الحق، إذا قلتَ أسمعُ، وخاطب بلساني أهل الجمع والفرق، فأنا المتكلم وأنت اللافظ، وأنا المبلِّغ وأنت الحافظ. قل لهم عني وأنا المخاطَبُ إليّ منّي:

قوله: «بلغ إليّ عني»: أي إذا خاطبتَ أحدا فلا تخاطبه من حيث هو، لكن خاطبه من حيث أنك تخاطبني، أو تخاطبه بلساني ونيابتك في الكلام عني. كما أني خاطبت نفسي فيك، كذلك خاطب نفسك فيّ. أي كلفتك العمل، وأنا العامل الفعّال لِما أريد،

فخاطب نفسي فيك. فكذلك إذا كلمتَ نفسك أو غيرك فاشهد وجودك فيّ وفي كل أحد. «إذا قلتَ أسمعُ» فأسمعُ لك لا لي، وأنت تشهد الوجود فيّ. فتحقق ترشد. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وقوله «وخاطب بلساني أهل الجمع والفرق»: أي أهل المقامين معا. وقوله «فأنا المتكلم وأنت اللافظ»: أي يصدر منك اللفظ الظاهر المحسوس، والمتكلم على الحقيقة الذي خلق الكلام هو الحق. وقوله «وأنا المبلغ وأنت الحافظ»: أي تحفظ صورة ما أمرتك بتبليغه.

إنّ مبادئ السور المجهولة، لأهل الصّوَر المعقولة، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: 54]، **جملتها تسعة وعشرون سورة**[1]، **وذلك كمال الصورة: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾** [يس: 39].

قوله: «إنّ مبادئ السور المجهولة لأهل الصور المعقولة»: يعني معاني سور القرآن تجتمع مع الصور المعقولة التي يأخذها العقل من طريق التعريف الإلهي، لا من طريق فكره، فهي تجهلها الأفكار مثل ما جهلت ما أراد الحق لمبادئ هذه السور. والصور المجهولة كالنبوّة والولاية وكرؤية الحق، وكل ّما لا يستبدّ العقل بإدراكه حتى يقع به التعريف الإلهي. وهي ثمانية وعشرون مرتبة، كمرتبة الحروف؛ واللام ألف هي عبارة عن الحق والعبد، وهي بمنزلة القمر الدائر في المنازل. فالألف للحق من حيث التجلي، فمَشيُه في المنازل هي تجلياته ومظاهره، ونصيب العبد منها قبول ذلك التجلي. واللام للعبد.

أكملتُ فيها العالم بأسره، وفرّقت بيني وبينهم بما لوّحتُ به من نهيه وأمره: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه: 14] **﴿فَٱعْبُدُونِ ۝٥٦﴾** [العنكبوت: 56].

قوله: «وفرقت بيني وبينهم بما لوّحت به من نهيه وأمره»: أي إني وإنْ كنت الفاعل

(1) البقرة: الم/ آل عمران: الم/ الأعراف: المص/ يونس: الر/ هود: الر/ يوسف: الر/ الرعد: المر/ إبراهيم: الر/ الحجر: الر/ مريم: كهيعص/ طه: طه/ الشعراء: طسم/ النمل: طس/ القصص: طسم/ العنكبوت: الم/ الروم: الم/ لقمان: الم/ السجدة: الم/ يس: يس/ ص: ص/ غافر: حم/ فصلت: حم/ الشورى: حم عسق/ الزخرف: حم/ الدخان: حم/ الجاثية: حم/ الأحقاف: حم/ ق: ق/ القلم: ن.

على الإطلاق والفعل لي، فأنت محلّ تعلق الأمر والنهي والوعد والوعيد.

فمنها مُفرد ومَثْنَى، ومنها ما جُمع[1] لمعنى: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾ [إبراهيم: 7].

قوله: «منها مفرد»: مثل «ص» و« ق».

منها ما زيد فيه فاستغـنى، ومنها ما نقص فيه فتعنّى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ﴾ [الرعد: 41]. منها متماثلة الصور ومختلفة، كما منها مفترقة ومؤتلفة: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ﴾ [هود: 118]. غايتها خمسة حروف، وبقي اثنان للواصف والموصوف، من مقام آدم وحوّاء، في جنة الإقامة، ومأوى الإمامة: ﴿فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ [الأعراف: 19]. مبلغها ثمانية وسبعون، فمن كوشف بحقائقها ملك الأعلى والدّون. ﴿فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ٣٢﴾ [الحاقة: 32] ﴿لِكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ٤٤﴾ [الحجر: 44].

قوله: «فيه»: يعني أنّ هذه السور المجهولة جاءت مطابقة لصور الإنسان على المطابقة. فهذه الحروف أربعة عشر حرفا غير مكرّرة، وهي نصف الفلك الظاهر، والأربعة عشر الأخرى الغائبة للنصف الباطن. والحروف إذا نظرتَ مكرَّرَها كانت ثمانية وسبعين، وهي في معنى مراتب الإيمان، كما جاء في الخبر: (الإيمان بضع وسبعون شعبة)[2]. وقوله «فمن كوشف بحقائقها ملك العالي والدّون»: هذا بابه الكشف والذوق. إذا أراد الله تعالى التعريف به أقامه في الكشف، ووهب العلم الضروري للمحل بطريق المعاني المجرّدة[3]. فتعرَّضْ لنيل ذلك من الوَهاب الفتاح - سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ -.

---

(1) المثنى مثل: «طه» و«يس». وما جُمع مثل: «الم»، «المص» «كهيعص».

(2) الحديث أخرجه مسلم.

(3) في الباب الثاني من الفتوحات تكلم الشيخ عن هذه الحروف وعن بعض الإشارات إلى أسرار «الم»، وقال ما خلاصته زيادة على ما ذكره هنا: «فجعلها تبارك وتعالى تسعا وعشرين سورة، وهو كمال الصورة على عدد منازل القمر الثمانية والعشرين، والتاسع والعشرون: القطب الذي به قوام الفلك، وهو علة وجوده، وهو سورة «آل عمران: الم الله». ولولا ذلك ما ثبتت الثمانية والعشرون. وجملتها على تكرار الحروف ثمانية وسبعون حرفا، فلا يُكمّل عبد أسرار الإيمان حتى يعلم حقائق هذه الحروف في سورها. كما أنه إذا علمها من غير تكرار علم تنبيه الله فيها على =

فما أفردتُ منها فلفناء الرسم أزلا، وما ثنّيتُ فلوجوده حالا، وما جمعت فللأبد استمرارا: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ [نوح: 11]. فالإفراد للبحر الأزلي، والتثنية للبرزخ المحمدي، والجمع للبحر الأبدي.

عبدي، انحصر لك وجود هذه الحروف بالجزم، إلى ثلاثة آلاف وخمسمائة واثنين وثلاثين على غاية البحث والجزم[1]. وأوّل التفصيل من «نوح» إلى «شروق يوح»[2]. ثمّ إلى آخر التركيب الذي تنزل فيه الكلمة والروح. فبعد عدد تضربه وتجمعه، وتحط معه طرحا وتضعه، يبدو لك تمام الشريعة حتى إلى انخزام الطبيعة، وهي التي بقيت من «نون والقلم» إلى آخر الكتاب العزيز الأكرم.

فمبعث محمد -ﷺ- من سورة النجم، إلى كافة العرب والعجم.

ومن سورة البقرة إليها، بَعْث الرّسل لديها، وليس لهم في الفاتحة نصيب، ولا رموا فيها بسهم مصيب. فاختص بها محمد -عليه الصلاة والسلام- على جميع الرسل الكرام.

= حقيقة الإيجاد وتفرد القديم سبحانه بصفاته الأزلية. فأرسلها في قرآنه أربعة عشر حرفا مفردة مبهمة. فجعل الثمانية لمعرفة الذات والسبع الصفات منا، وجعل الأربعة للطبائع المؤلفة التي هي: الدم والسوداء والصفراء والبلغم، فجاءت اثنتي عشرة موجودة، وهذا هو الإنسان من هذا الفلك. وجعل أولها الألف في الخط، والهمزة في اللفظ، وآخرها النون. فالألف لوجود الذات على كمالها لأنها غير مفتقرة إلى حركة، والنون لوجود الشطر من العالم، وهو عالم التركيب، وذلك نصف الدائرة الظاهرة لنا من الفلك. والنصف الآخر النون المعقولة عليها التي لو ظهرت للحس وانتقلت من عالم الروح لكانت دائرة محيطة، ولكن أخفى هذه النون الروحانية الذي بها كمال الوجود، وجُعلت نقطة النون المحسوسة دالة عليها. فالألف كاملة من جميع وجوهها، والنون ناقصة. فالشمس كاملة والقمر ناقص لأنه محو، فصفة ضوئه معارة، وهي الأمانة التي حملها، وعلى قدر محوه وسراره إثباته وظهوره: ثلاثة لثلاثة. فثلاثة: غروب القمر القلبي الإلهي في الحضرة الأحدية، وثلاثة: طلوع قمر الإلهي في الحضرة الرّبانية. وما بينهما في الخروج والرجوع قدَما بقدَم لا يختلّ أبدا. فما أفرده من هذه الحروف فإشارة إلى فناء رسم العبد أزلا، وما ثنّاه فإشارة إلى وجود رسم العبودية حالا، وما جمعه فإشارة إلى الأبد بالموارد التي لا تتناهى».

(1) أي في حساب الجمل المشرقي مجموع أعداد هذه الحروف هو3532.

(2) يوح: الشمس.

فهي قوله: متى كنت نبيًا؟ قال: (وآدم بين الماء والطين)[1]، فكان مفتاح النبيين. وقد ملك من سورة النجم إلى آخر القرآن العظيم. وتردّد ما بينهما في أصلاب المقامات إلى عصره الكريم. فصح له الوجود أجمع، واختص بالمحل الأمنع: (أوتيت جوامع الكلم).

فما بقي لك بعد الوضع والطرح، فذلك أوان النزول والفتح، وهو نظير المقدَّس من القرآن الذي يليه الأقدس، تقديسه بالنازل فيه، وقد أشرت لك إلى معانيه، وما يعقلها إلا العالمون[2].

---

(1) أخرجه بهذا المعنى أحمد والطبراني والحاكم.

(2) في هذه الفقرات الملغزة يشير الشيخ إلى تناسب بين الدورات الزمنية وبين ترتيب سور القرآن. وإلى مثل هذا أشار إلى استنباط حوادث الزمان بكيفيات من حساب آيات معيّنة من القرآن، وذلك في حضرة الفتح من الاسم «الفتاح» في الباب 558 من الفتوحات حيث قال: يدعى صاحب هذه الحضرة عبد الفتاح. ولها صورة ومعنى وبرزخ. وما حازها على الكمال إلا آدم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بعلم الأسماء، ومحمد -ﷺ- بجوامع الكلم، وما عدا هذين الشخصين فما ذكر لنا. ومن هذه الحضرة نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾ و﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾. ولقد كنت بمدينة فاس سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، وعساكر الموحّدين قد عبرت إلى الأندلس لقتال العدو حين استفحل أمره على الإسلام، فلقيت رجلا من رجال الله -ولا أزكي على الله أحدا- وكان من أخص أودائي، فسألني ما تقول في هذا الجيش هل يفتح له وينصر في هذه السنة أم لا؟ فقلت له: ما عندك في ذلك؟ فقال: إنّ الله قد ذكر، ووعد نبيّه -ﷺ- بهذا الفتح في هذه السنة وبشر نبيه -ﷺ- بذلك في كتابه الذي أنزله عليه، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾، فموضع البشرى: «فتحا مبينا» من غير تكرار الألف فإنها لإطلاق الوقوف في تمام الآية، فانظر أعدادها بحساب الجمل. فنظرت فوجدت الفتح يكون في سنة إحدى وتسعين وخمسمائة. ثم جزت إلى الأندلس إلى أن نصر الله جيش المسلمين، وفتح الله به قلعة رباح والأركو وكركوى وما انضاف إلى هذه القلاع من الولايات، هذا عاينته من الفتح ممن هذه صفته. فأخذنا للفاء ثمانين، وللتاء أربعمائة، وللحاء المهملة ثمانية، وللألف واحدا، وللميم أربعين، وللباء اثنين، ولللياء عشرة، وللنون خمسين، والألف قد أخذنا عددها، فكان المجموع إحدى وتسعين وخمسمائة، كلها سنون من الهجرة إلى هذه السنة. فهذا من الفتوح الإلهي لهذا الشخص. وكذلك ما ذكرناه من فتح البيت المقدس فيما اجتمع بالضرب في ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢﴾ مع البضع من السنين المذكور فيه بالحسابين الجمل الصغير والكبير، فظهر من ذلك فتح البيت المقدس، وقد ذكرناه فيما تقدم من هذا الكتاب في باب الحروف منه. وهو أنّ البضع جعلناه ثمانية لكون فتح مكة =

عبدي، هذا باب يدقّ وصفه، ويُمنع كشفه. الأعداد حُجب على عينك أيها الإنسان، وإنما هي أسطار نور خضر خلف حجاب الرّحمان، تلوح لمن سبقت له المشيئة بوقوفه عليها، حتى تودعه ما لديها. فاسْتعمِلِ المجاهدة، وتحلّ بالموافقة والمساعدة، عساك تلتذّ بهذه المشاهدة.

عبدي، جعلت ما بعد هذه الحروف في موضع التفسير، ومحلا للتعبير، ومبحثا للناقد البصير، صاحب السر والإكسير، ومن لا يقنع من الوجود بالنذر اليسير. وجعلناها على ضربيْن، لذي عينين: ضرب لا ينقسم، وضرب آخر ينقسم:

عجبا للظاهر ينقسمُ	**ولباطنه لا يتنقسمُ.**
فالظاهر شمس في حَمَل	**والباطن في أسد جَلَمُ[1]**
حقِّقْ وانظر معنى سُتِرتْ	**من تحت كثائفها الظلَمُ**
إن كان خفي هو ذاك بدا	**عجبا والله هما القَسَمُ**

= كان سنة ثمان، ثم أخذنا بالجمل الصغير «الم» ثمانية، فأسقطنا الواحد لكون الأس يطلب طرحه لصحة العدد في أصل الضرب في الحساب الرومي، والفتح إنما كان في الروم الذين كانوا بالبيت المقدس، فأضفنا ثمانية البضع إلى ما اجتمع من حروف «الم» بعد طرح الواحد للأس، فكان خمسة عشر. ثم رجعنا إلى الجمل الكبير فضربنا واحدا وسبعين في ثمانية، والكل سنون، لأنه قال «فِي بِضْعِ سِنِينَ»، فكان المجموع ثمانية وستين وخمسمائة، فجمعناها إلى الخمسة عشر التي في الجمل الصغير، فكان المجموع ثلاثا وثمانين وخمسمائة، وفيها كان فتح البيت المقدس. وهذا العلم من هذه الحضرة. لكن عبد السلام أبو الحكم بن برجان ما أخذه من هذا، فوقع له غلط وما شعر به الناس، وقد بيّناه لبعض أصحابنا حين جاءنا بكتابه، فتبيّن له أنه غلط في ذلك، ولكن قارب الأمر، وسبب ذلك أنه أدخل عليه علما آخر فأفسده. وهذا كله من صورة الفتح لا من معناه ولا من وسطه انتهى». وكمثال آخر في هذا السياق، قال الشيخ في الباب 367 خلال حواره مع إدريس -عَلَيْهِ السَّلَامُ- في السماء الرابعة: فقلت له: فما بقي لظهور الساعة؟ فقال: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾ [الأنبياء: 1]، فكأنه أعطاه الجواب في نفس هذه الآية الأولى من سورة الأنبياء التي لها في الفتوحات الباب 363، ففي آخره عندما بدأ في ذكر علوم بعض آياتها قال مشيرا إلى آيتها الأولى: «وفي هذا المنزل من العلوم علم ما بقي من الزمان لقيام الساعة».

(1) برج الحمل هو برج الشمس في شرفها، والجلم هو القمر، ويعني بالأسد برج الأسد.

فـافـزع لـلـشـمـس ودع قـمـرا | فـي الـوتـر يـلـوح ويـنـعـدمُ
واخـلـع نـعْلَـيْ قـدَمَـيْ كـونـي، | عِـلْـمـي شـفـع، تـكـن الـكَـلِـمُ

لكن انقسامه على ثلاث، وهي حقائق الموائد الثلاث[1]. فأمّا الضرب الذي لا ينقسم بالبرهان فسورة آل عمران[2]. والضرب الذي ينقسم الموصوف، ما عداها من الحروف. والثلاث الذي ينقسم إليها مخاطِب ومخاطَب فيه ومخاطَب به، فاستيقظ أيها الرّاقد من سنة الغفل وانتبه.

ثم تتفرع على اثنتي عشرة عينا، هو كمال العالم الروحاني والجسماني، لكل عالم إلهي. والثالث عشر: الضرب الذي لا ينقسم، وفيه عُلِمت الأسماء وجوامع الكلم.

فمنها ما هو لرفع الشك والريب، فيما ظهر من الغيب، وهي: البقرة وألم السجدة.

ومنها لرفع الحرج، عمّن يأتي ودرج، وهي الأعراف، وطه والشعراء.

ومنها للتعريف بالعناية أزلا، أولياء وأنبياء ورسلا، وهي: يونس ومريم -عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ-.

ومنها للمفترق والمجتمع، والحَجر الذي لا ينصدع، وهي: هود وفصلت والشورى والدخان والمؤمن.

ومنها لتأكيد التبيين في المعقولات، والإخبار بالمفترقات، وهي: يوسف والزخرف والقصص والروم.

ومنها لاعتبار التركيب، لأهل النظر والتهذيب، وهي: قاف والجاثية.

ومنها لتحقق الهداية، في النبوة والولاية، وهي: إبراهيم والنمل ولقمان.

ومنها لتحقق النزول في الإيمان، بالعَمَد الغائب عن العيان، وهي: الرّعد.

ومنها لتأكيد التوجيه، والعصمة بالقسَم في محل التنزيه، وهي: يس ونون وصاد.

---

(1) سبق الكلام عن الموائد الثلاث في حضرة الكرسي.

(2) سبق قول الشيخ أنّ قطب دائرة هذه الحروف الفواتح هي فاتحة آل عمران: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ﴾، والقطب واحد لا ينقسم.

ومنها لطلب الدليل، في مقابلة خصم المقيل، وهي: الأحقاف.

ومنها لتأكيد تبيين التهديد بالوعيد، وهي: الحِجر والعنكبوت.

فسلِّم الألف من هذه الحروف للذات، وَعُد ما بقي لك منها من الصفات: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد: 33].

مناجاة جوامع الكَلِم

مناجاة السِّمْسِمَة:

عبدي، سَمَتْ بك سِمْسِمَةُ سُمُوِّ أسماءِ أسباب سماء السِّمات، على لطف لطافة ذاتها المسخَّرة ذات أفلاك الذوات. فأين أنت من هذه النسبة؟ لقد جادت بأسنى طالع هذه النُّصْبة.

«الشعيرة» في الطريق: هو كل ما يعطيك الشعور بأنّ ثَمّ أمرًا مّا، كحس تسمعه داخل بيت مغلق، فيؤدّيك ذلك الشعور إلى البحث عمّا في البيت. و«السمسمة»: عبارة عمّا خفي ودق عن العلوم الجليّة من المعارف الخفيّة الإلهية التي لا تدرَك بالنظر الفكري، ولا هي نصوص في التعريف الإلهي. فقوله «سَمت بك»: أي ارتفعت بك. وقوله «سمو أسباب سماء السِّمات»: أي المعنى الذي لأجله قبِل الحق هذه الأسماء، هو معنى واحد، وهو المعبّر عنه بالسمسمة. فلا يعلمه إلا الله -عَزَّوَجَلَّ-. واختلف أصحابنا هل في الإمكان التعريف الإلهي به؟ أو خلْق العلم في نفس الإنسان؟ فمنهم من أجاز، ومنهم من منع، والمنع أوْلى، على أنّ الله على كل شيء قدير. وقوله «سمت بك»: أي كان عندك بطريق الجملة ما علمت به أنّ ثم شيئا يتميّز به الحق. فأنت وإن كنت محلا لذلك، فلا يلزم أنك تعلم ذلك ما هو.

وقوله «على لطف لطافة ذاتها المسخرة ذات أفلاك الذوات»: تشير إلى الصفة الثبوتيّة التي انفرد بها الحق -عَزَّوَجَلَّ-، ولا تُعلم إلا بطريق السلوب والسلب، لا تفيد العلم للسالب. فاعلم ذلك، وتحقق بعجزك، ولذلك قال: «فأين أنت من هذه النسبة؟». وقوله «لقد جادت بأسنى طالع هذه النصبة»: أي لكونها أعطتك أنها عزّت عن أن يعلمها غير الله تعالى المتصف بها.

على أنها قد خفيت على الأوهام، وغاية أن يعبّر عن جلي ظاهر أمرها صاحب وحي أو إلهام. فلو تاه التائهون مداد الكلمات في مفاوز العجز والحيرة، وقطع العارفون بحار الهمم على سُفُن، في ظاهر فعلك يقفون، وما يصدر عنك فقط يعرفون.

قوله: «وغاية أن يعبّر عن جلي ظاهر أمرها، الفصل إلى آخره»: أي أنَ غاية ما يعبّر عن ظاهر فعل العبد وفيما يصدر عنه، ولا يعرفوا حقيقة اللطيفة الإنسانية، فأحرى مُوجدها وما اختص به من وصفه العزيز الذي لا يشهده سواه. وأنت أيضا أيها العبد ما عرفت مِن وصفك الثبوتي المعبّر عنه بالسمسمة أيضا، إنما عرفتَ افتقارك، وهو نسبة من النِّسب.

سِمْسِمة جَلَتْ[1] وجالت جولان الحائم، فقُلْتُ وقالت مقالة ذي اللوْعة الهائم: فنيتُ شوقا لا اشتياقا، وقطعتُ مفاوز خفيّات الغيوب حثيثا وإعناقا، ولم أبلغ مِنْ بَعْدُ شفعية مغناك، فمن لي بوترية معناك؟

قوله: «سمسمة جلت وجالت جولان الحائم»: أي تصرّفت تصرّف الحائم الذي يروم تحصيل الأشياء. أراد بهذه السمسمة الثانية اللطيفة الإنسانية، فهي تحوم على معرفة جانب الحق تعالى، أو معرفة ذاتها إذ جُعلت دليلا على المعرفة الربانية. وقوله «فنيت شوقا»: أي أنا موصوفة بالشوق. والتشوّق لا يكون إلا مع غيبة المحبوب، فأنت أنت، وأنا أنا. والاشتياق ليس كذلك، فإنه قد يكون مع الاتصال بالمحبوب، ولهذا قالوا في الشوق أنه يسكن باللقاء، والاشتياق يهيج باللقاء. وقوله «قطعت مفاوز خفيات الغيوب حثيثا وإعناقا»: أي ضرْبين من السير سريعا، وأقلّ منه الحثيث للرياضة، والعَنَق الذي هو

---

(1) يقول الشيخ في الباب 73 خلال تعريفه لمصطلحات التصوف: «فإن قلت وما الدرّة البيضاء؟ قلنا: العقل الأول صاحب علم السمسمة. فإنْ قلت وما السمسمة؟ قلنا معرفة دقيقة في غاية الخفاء، تدق عن العبارة ولا تدرَك بالإشارة، مع كونها ثمرة شجرة. فإن قلت وما هذه الشجرة؟ قلنا: الإنسان الكامل». فالشيخ يقول هنا أنّ من أهمّ ما يتميّز به العقل الأول علم السمسمة التي هي ثمرة الإنسان الكامل. والثمرة هي أهمّ ما في الشجرة. وفي هذا إشارة إلى من أهمّ ما يتميّز به الإنسان عموما والإنسان الكامل بالأخص هو القوة المتخيّلة وأرضها أرض الحقيقة التي خصص الشيخ لمعرفتها الباب الثامن من الفتوحات. بل إنّ في الباب 360 المتعلق بسورة النور طابق الشيخ بين الإنسان الكامل والخيال بمعناه الحقيقي الأوسع، فلينظر التفصيل في ذلك الباب.

دونه للمجاهدة البدنية. وقوله «ولم أبلغ من بعد شفعية معناك»: أي ما وقفت على حقيقة الشفعية، فكيف لي أن أقف على حقيقة الوترية؟

سمسمة تَلِفَتْ فكَشفتْ، ورَاحت فلاحت، وأوْمضت فغَمَضتْ، وهَفَتْ فشَفَت، وسَكنتْ فتمكنتْ، وطالتْ فصالتْ. فلمّا قيل لها: «أنّى لكِ هذا؟»، قالت: إنها تخلّقتْ بهمّة صدرتْ من أثر فعلِ اسم صفة ذاتك. فرَقتْ إلى ما شاهد السائلُ من أثرها عن وجود صفاتك، فغابت عن الأيْن والكيف، ومطالعة العدل والحيْف.

قوله: «سمسمة تلفت فكشفت»: أي صارت في حال الفناء عن نفسها، فحينئذ حصل لها العلم عند فقدها لِرُؤية وجودها. وقوله «وراحت فلاحت»: أي رجعت إلى ذاتها، لأنّ الرّواح: الرجوع، يقرب من الغيبة، لأنّ الرّواح هو الرّجوع بالعشيّ. وقوله «وأومضت»: أي لمع نورها. وقوله «فغمَّضتْ»: أي لـئَلاّ يُذهِب سنا نورها ببصرها إذ لاح لها ما يُغشِّيها. وقوله «وهفت فشفت»: أي تحرّكت نحو محبوبها، فشفت عنها بعض ما تجده من ألم المحبة. وقوله «وسكنت فتمكنت»: معناه ثبتت، ومن ثبت فقد تمكّن، أي ثبتت في عبوديتها وحالها. وقوله «وطالت فصالت»: أي شهدت الطول، وهو ما لا يتناهى من علم الباري، فلذلك صالت أي افتخرت على من ليس له هذا المقام.

فـأيْـنَ، ولا أيْــن فـي عـلمه	وكـيـف، ولا كـيف فـي حُـكـمهْ
سـمـسـمـة ربّـــــة أمـثـالـهــا	جـَلَّـتْ فـمـا تـدركـهـا سمسمهْ
لـمّـا رأت ســرّك يـسـري لـنـا	قـالـت لـه: يـا سيّـدي، سِـمْ سِمَـهْ
فـحـادتْ الـعـيـنُ إلــى دُرّة	تـقـول إعـجـابـا إلـى الـشـمس: مَـهْ

قوله: «سمسمة ربّة أمثالها»: أي أنها عرفت من وجودها ومن وجود الحق ما لم يعرفه غيرها من لطائف الخلق، فكانت سيّدة أمثالها ممّن لم تعرف كما عرفت. وقوله «جلّت فما تدركها سمسمة»: أي عظمت في الخفاء، قال تعالى: ﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: 26]، أي في الصغر. وقوله في البيت الثاني «لمّا رأت سرك يسري لنا»: أي إلينا، «قالت: يا سيدي سِم سِمة»: أي عَلِّم علامة حتى تُعْرَف حدود أهل المسابقة. وقوله «فحادت العين إلى دُرّة»: يريد مقام العقل الأول. وقوله: «تقول إعجابا إلى الشمس: مَه»: أي نوري أعظم من نورك.

مناجاة الدرّة البيضاء

عبدي، دُرّة عذرَاء، غَضَّة بيضاء، أبرزتها من قعر بحر ذاتي، ما عرفتْ قط صفة من صفاتي، ثم خبّأتها في سواد العين، وما عرفت الوصل ولا البين، غَيْرة مِن أنْ تُنال أو تسمّى، أو تُعرَف كشفا أو مُعَمّى.

قوله: «عذراء»: أي لا كفؤ لها، إذ لها الأوّليّة، وكلّ من له الأوّليّة فلا كفؤ له إلا أنْ يقع الموجودين معا. فليس للعقل كفؤ من عالم التدوين والتسطير، لكن له كفؤ من الملائكة المهيّمين. وقوله «غضّة»: أي ناعمة، يريد أنه مُجيب لا جفاء عنده ولا صعوبة. وقوله «بيضاء» أي لم تخرج عن أصلها، ولا لبست غير ملبسها، أي لم يؤثّر فيها شيء. وقوله «من قعر بحر ذاتي»: أي أن للذات أمورا ظاهرة وأمورا باطنة، فهذا من أمورها الباطنة، وكذلك جميع الأفراد. وقوله «ما عرفت قط صفة من صفاتي» أي هي ذاتية ليست من عالم النِّسب. وقوله «ثم خبّأتها في سواد العين»، أي به ينظر العالَم، أي جعلته بصري. واعلمْ أنك إذا تقرّبتَ بالنوافل كان الحق بصرك، فإذا تقرّبت بالفرَائض كنت بصر الحق، أي تكون محلّ النظرة من العالم، يرزقهم لأجلك[1]، وينظرُهم لأجلك. وقوله «ما عرفت الوصل ولا البيْن»: أي ما عرفت النقيضين، ما اتصلت لتَعرف الانفصال، ولا انفصلت لتعرف الاتصال، فكأنه يقول هي لا هي.

واعلم أنّ العقل ما مُدح إلا لكونه لا واسطة بينه وبين الحق، فمتى كنت أنت مع «الوجه الخاص» كنت بمنزلة العقل الأول. واعلم أنّ السبب في وجودك هو الرّوح والوجه الخاص في شهودك. فإذا كنت مع الوجه الخاص غلب شهودك على وجودك، فلحقت بالعقل الأوّل.

---

(1) قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: 251]. وأخرج الطبراني في الأوسط بسند حسن عن أنس قال: قال رسول الله -ﷺ-: «لن تخلو الأرض من أربعين رجلا مثل خليل الرحمن، فيهم تسقون وبهم تنصرون، ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر». وأخرج أحمد في الزهد والخلال في كرامات الأولياء بسند صحيح عن ابن عباس قال: ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض. وأخرج ابن جرير وابن عدي بسند ضعيف عن ابن عمر قال: قال رسول الله -ﷺ- «إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء».

واعلم أنّ الفيض عن العقل الأوّل إنما كان ذاتيًا، لكون العقل مشغول بجانب الوجه الخاص بالكلية، فلا توجّه له إلى الأسباب، بخلاف النفس التي لها وجهان: وجه إلى السبب فمنه يفيض الفيض الإرادي، ووجه إلى الحق فمنه يكون فيضها الذاتي.

وقوله: «غيرة مني أن تنال أو تسمَّى»: أي أن تدرَك، لأنها السبب الأقرب، فلو أُدركتْ تطرَّق الإدراك إليّ، وتطرّق الإدراك إليه محال. فكونها تُنال محال. وقوله «أو تُعرَف كشفا أو مُعَمَّى»: أراد بالمعمّى اللغز؛ واللغز لا يكون إلا بعد الكشف، فقال إنها لا تُعرف لكي تُلغَز.

فلما جذبتك إليّ عناية القَدم السابقة، ورَقيتُ بك إلى جوامع الكلم الصادقة، وحططتُ «كُن» عن قواك، وأدخلتك مَحلِّي وجب عليّ قِرَاك: تعبّر عنك شواهد التحقيق بلسان حالها وأنت ساكت، وتنفعل عنك المكوّنات وأنت مائت.

قوله: «حططت عنك: كن»: أي بأخذي لك عن عالم الكون الذي يقع فيه التكليف، فيكون عقلك عندي في المرتبة التي فيها العقل الأول. فقوله «حططت»: أي حططت عنك التكليف[1]. وقوله «حتى تعبّر عنك شواهد التحقيق وأنت ساكت»: أي تفيض الفيض الذاتي كما هو فيض العقل، كما قيل: مَن أولياء الله؟ قال: الذين إذا رُؤوا ذكِر الله. وقوله «وتنفعل عنك المكوّنات وأنت مائت»: أي كالطبيعة الذي تظهر عنها الآثار الكونية وهي ميّتة، أي غير مريدة ولا حيّة، وهي تحت النفس وفوق الهيولى. واختلف الحكماء في الطبيعة، فاختلفوا فيها ستة أوجه. وعندنا أنّ أصلها الماء، ويَنصرُ ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[2].

---

(1) أي أصبحت قائما بما أنا به مكلّف بلا تكلّف، فتصدر من ذاتك تلقائيا، عابدا لله تعالى به وبتوفيقه عَزَّوَجَلَّ، كما ورد في الدعاء النبوي: «ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين».

(2) مسألة: ما هو العنصر الأول الذي تفرعت منه بقية العناصر؟ يجيب الشيخ عن هذا السؤال فيقول في الباب 295 -وهو الباب المخصوص بمنزل سورة «الفجر»-: «والماء كان أول العناصر، فما كثف منه كان أرضا، وما سخف منه كان هواء، ثم ما سخف منه كان نارا وهو كرة الأثير. فأصل العناصر عندنا الماء... والحكماء في هذه المسألة على ستة مذاهب، خمسة منها خطأ والواحد منه صواب، وهو الذي وافق الكشف والتعريف الإلهي لأهل خطابه من ملك ونبي وولي. وكان وجود هذه العناصر ببرج السرطان»انتهى. والسرطان هو البرج الذي بيد ملكه مفتاح خلق الدنيا وهو مائي.

=

ومَدْرَكُ هذه الرتبة العليّة الفرديّة، باتصال الحياة الأزليّة بالحياة الأبديّة، مع وجود الحَبْس، في قيد اليوم والأمس.

= لكن هل كلام الشيخ هذا مناقض لقوله في الباب 361: «والهواء يعمّ جميع المخلوقات فهو حياة العالم... هو الأسطقس الأعظم أصل الأسطقسات كلها والماء أقرب أسطقس اليه»؟انتهى. وهل كلامه هذا مناقض لقوله في الباب 11: «الأركان من عالم الطبيعة أربعة... واختلفوا في ذلك على ستة مذاهب... وقالت طائفة الأصل أمر خامس ليس واحدا من هذه الأربعة... وهذا المذهب بالأصل الخامس هو الصحيح عندنا»؟

الجواب: يمكن التوفيق بين هذه الأقوال الثلاثة للشيخ التي تبدو في الظاهر كأنّها متناقضة بقول إنّ الأصل الخامس الذي هو الطبيعة الكلية هو أصل جميع الأركان، وبالنسبة للعالم الأعلى الروحاني الملكوتي الهواء هو الأصل الأوّل فهو الأنسب لنفَس -بفتح الفاء- الرحمن الذي ظهرت به وفيه مراتب الوجود. أمّا بالنسبة للعالم الطبيعي فالماء هو الأصل. وقد ذكر الشيخ في الباب 198 أنّ المتوجه على إيجاد الهواء هو اسمه تعالى «الحي»، والمتوجه على إيجاد الماء هو «المحيي»، فالعلاقة بين الهواء والماء وأوليتهما هي نفس العلاقة بين «الحي» و«المحيي»: فالحيّ اسم ذاتي فله توجّه لعالم الأرواح، وبالنسبة للملكوت: الأرواح هي الأصل ولها البدء ولولاها لما وُجدت الأجساد، فالهواء هو الأصل. أمّا «المحيي» فهو اسم فعل فله توجه لحضرة الأفعال ولعالم الأجسام، وبالنسبة لعالم الأجسام الجسم هو الأصل ولولاه لما كان للروح ظهور، أي أنّ الماء هو الأصل.

لكن حاصل الأقوال هو أنّ الركن الخامس هو الأصل المبدئي الأول الذي منه ظهرت بقية الأركان، فهو عين المسمى بالطبيعة في اعتدالها الأصلي المبدئي، وصرّح الشيخ بهذا في الباب الثاني من الفتوحات حيث يقول: «ثمة موجود خامس هو أصل لهذه الأركان، وفي هذا خلاف بين أصحاب علم الطبائع عن النظر، ذكره الحكيم في الأسطقسات، ولم يأت فيه بشيء يقف الناظر عنده. ولم أعرف هذا من حيث قراءتي علم الطبائع على أهله، وإنّما دخل به عليّ صاحب لي وهو في يده، وكان يشتغل بتحصيل علم الطب. فسألني أن أمشيه له من جهة علمنا بهذه الأشياء من جهة الكشف لا من جهة القراءة والنظر. فقرأه علينا فوقفت منه على هذا الخلاف الذي أشرت إليه، فمن هناك علمته، ولولا ذلك ما عرفت هل خالف فيه أحد أو لا، فإنّه ما عندنا فيه إلّا الشيء الحق الذي هو عليه، وما عندنا خلاف. فإنّ الحق تعالى الذي نأخذ العلوم عنه بخلّوّ القلب عن الفكر، والاستعداد لقبول الواردات، هو الذي يعطينا الأمر على أصله من غير إجمال ولا حيرة، فنعرف الحقائق على ما هي عليه» انتهى. وقد توسعنا في تفاصيل الأركان الأربعة وأصلها الخامس في كتابنا «الحقائق الوجودية الكبرى في رؤية ابن العربي».

قوله: «ومدرك هذه الرتبة باتصال الحياة الأزلية بالأبدية»: أراد زوال الواسطة من الطريق، والواسطة عبارة عن كل ما سوى الله تعالى، لأنّ الموجود الكوني ما دام مشهودا في الوسط قِيلَ بالنظر إليه: هذا أوّل وآخر، وأزل وأبد. وقوله «مع وجود الحبس في قيد اليوم والأمس»: أي مع كونه في جسده وعالم التقييد يصدر عنه ما صدر عن العقل الأول من الأحكام.

وهذه بين يديك موائد الأقصَى، عليها صُحن الأمد الأمضَى، فتناول منها إحصاء ما لا يُحصَى.

قوله: «وهذه موائد الأقصى»: أي الحدود التي بها تتميّز الأشياء، فيَبْعُد بعضُها بذلك عن صاحبه بُعداً ذاتيًا وإنْ تشابها في الصورة. وقوله «عليها صحن الأمد الأقصى»: أي زمان الحال الذي لا يتصف بالعدم دائما. فالحال هو الحقيقة المتصفة بالدوام، والمتغيّر هو الحالّ في الحال الذي هو الآن. فالآن والحال -أيهما شئت- هو عبارة عن أمر واحد، وأنت المسافر في ذلك المتحرّك، والحال مقيم، وأنت لا تفقد الحال أبدا، فهو حقيقة واحدة لا تتبدّل ولا تفقد، وأنت متنقل فيها، فهو بالنظر إلى الزمان آن، والآن حدّ الزمانيْن، ولا يخلو أبدا أن يكون الآن موجودا دائما، وبه يتميّز الماضي من المستقبل. والماضي والمستقبل لا يزالان أبدا من حقيقتهما معدوميْن متميّزيْن. فالآن أبدا لابدّ أنْ يكون موجودا مميّزا. وإذا كنت غير موجود فحالك العدم. فالحال مستصحب لك وجودا وعدما. فاعلم ذلك.

وقوله «فتـتناول منها إحصاء ما لا يُحصَى»: أي تناهِي ما لا يتناهَى كما تقول: (لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك). فهذا إحصاء ما لا يُحصَى، لأنك إذا عرفت حقيقة ما لا يُحصى فقد أحطت بما لا يُحصى أنه لا يُحصى.

فكُلْ من طعام الذات بالذات. فكثير من الطالبين أرادوا بقاء الرّسوم لوجود اللّذات. فاسبح وحدك في نهرك، وأقرأ ما سطّرْتَه في مَهْرك.

قوله: «فكلْ من طعام الـذات بـالـذات»: أي كن غير مقيّد بصفة، كما قال أبو يزيد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «أمسيت لا صفة لي». وقوله «فكثير من الطالبين أرادوا بقاء الرسوم لوجود اللّذات»: أي لذة شهود المشهود. وهاهنا كان أبو مدين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يقول ببقاء الرّسوم لوجود اللذة، وخالفه السيّاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- حيث يقول: (ما التـذ عاقل بمشاهدة

قط). والسياري صاحب التحقيق فيما ذهب إليه في هذه المسألة. وسبب الخلاف أنّ بعضهم يلتذ بالشاهد، ويتخيّل أنه يلتذ بالمشهود، وليس كذلك. وقوله «فكل من طعام الذات بالذات»: أي قابلها بالذات، فما تُعرَف الذات إلا من الذات، ولا الصفة إلا من الصفة، ولا النسبة إلا من النسبة، فلا يُعرف الشيء إلا من نفسه، حتى لو عُرفتْ الصفة لَما عُرفتْ إلا من كون ذاتها.

وقوله «فاسبح وحدك في نهرك»: أي ما لك في هذا العلم مشارك. وقوله «وأقرأ ما سطرته في مهرك»: أي في هذه المرتبة المخصوصة التي ابتنيت بها في جلوتك وسرّك. وأراد بالمهر ما يأتي ذكره من قوله:

«أنكحتك درّة بيضاء، فردانية عذرَاء، لم يطمثها إنس ولا جان، ولا أذهان ولا أعْيان، ولا شاهدها عِلم ولا عِيان، ولا انتقلت قط من سرّ الإحسان. لا كيف ولا أين، ولا رسم ولا عين. اسمها في غيب الأحد: (نُعْمَى الخُلد، ورُحْمَى الأبد). فادخلْ بخير عروس قبّة التقديس. فهذه البكر الصهباء، واللجّة العمياء، خذها من غير مهر عملي، ولا أجر نبوي.

قوله: «البكر الصّهباء»: أي التي لا تحيض، أي ما يتغيّر عليها حال. وقوله «اللجّة العمياء»: أي التي لا تدرَك، فمن دخل فيها غرق ولا يهتدي فيها. وقوله «خذها من غير مهر عملي، ولا أجر نبوي»: أراد قضية موسى مع شعيب -عليهما الصلاة والسلام-؛ أي هذا ليس كذلك، فإنه لا يُنال لا بالسِّعايات ولا بالهمم.

قال السالك:

فافتـضضتها في سرّ غيب ذاته، بسرّ الوهم اليثربيّ، فإذا بها مُهْرَة النبي.

قوله: «فافْتَضَضْتُها في مجلس سرّ غيب ذاته»: أي حصل بها لذة في نفسي. وقوله «بسر الوهم اليثربي»: أي المقام المحمديّ. وقوله «الوهم»: أي بقوله «لا مقام لكم». وقوله «فإذا بها مهرة النبي»: أي مَرْكب النبي، وهو حقيقة الوراثة التي ورثناها عنه-ﷺ- وهي قوله: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: 13].

فتهتُ فرحًا، وسحبتُ ذيلي مرَحًا، وقلت[1]: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه: 14].

قوله: «فتهتُ فرحا، وقلت لا إله إلا أنا؛ فاعبدني»: أي لمّا كان «المقام» تنزيه، والحق سبحانه لا يُدرَك إلا في أوصاف التنزيه، فلهذا تلى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه: 14]، أي كما هو سبحانه منزّه في ربوبيته، أنا منزّه في عبوديتي. فأنا العبد المحض، وهو الربّ. فكما أنه في مقام ألوهيته لا يدركه أحد ولا يُعَيّنه، فكذلك أنا في مقام عبوديتي لا وصف لي، ولا يدركني فيها شيء. فتحقق ذلك.

فخرّتْ غوامضُ الأسرار ساجدات، وقامت صفات الصمدية متهجّدات، وصحّ لي في ذلك الإفلاس، المقامُ الذي نبّه عليه بعد قوله -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾[2] [الناس: 2].

قوله: «فخرّت غوامض الأسرار ساجدات»: أي أنّ كل سرّ مقيّد، إلا مثل هذه المسألة فإنها مطلقة، فلهذا سجدت الأسرار لها. وقوله «وقامت صفات الصمدية متهجّدات»: أراد بصفات الصمدية التجاءات العالَم الذي يلجأ إليها. وإنما كثّرها لاختلاف أغرَاض القاصدين. وصفات الصمدية هي كما لو جاءك ملك يتبرّك بك فإنما جاء إليك لما تخيّل فيك من التقرّب بدعائك إلى الله تعالى، فقد نزل عن ربوبيته، والوصف الذي قصده ليس فيك، إنما هو من حيث طلبه أنشأ لك وصف الصمود، وأنت من حيث عبوديتك لا صمدية لك. وكذلك أوصاف الحق، إنما قامت بالتجائك إليها، فبك ظهرت أحكامُها، وهو صمد لذاته لا لصفة زائدة. والفرق بيننا وبينهم أنهم أثبتوا صفة زائدة، ونحن أثبتنا ذلك للذات، وقلنا بنا ظهر ذلك الحُكم، وهو سبحانه لم يزل كاملا لذاته، والسلام.

قوله: «وصحّ لي في ذلك الإفلاس، المقام الذي نبه عليه بعد قوله ملك الناس»: أي مرتبة الملك، وذلك الإفلاس هو الذي جعل لي المنزلة عند الحق. ومنزلتي عند الحق هي التي اقتضت أنْ صرتُ مَلِكا عند من قصدني وصمد لي.

---

(1) أي تلوت قول الله تعالى عن نفسه عَزَّوَجَلَّ. فكلام الحق تعالى هذا جار على لسان السالك، كقول المصلي: «سمع الله لمن حمده».

(2) أي سيّد الناس، والسيادة الأصلية الكلية هي للعبد الكامل سيدنا محمد-ﷺ-، وللورثة المحمديين قبس منها بمقدار تحققهم بخالص العبودية.

مناجاة إشارات أنفاس النور

وهي تمحيص متفرّقات الأسرار

بسم الله الرحمان الرحيم؛

قال السالك:

ثم قال لي: ما يقول مَن هو أنا في أنا؟ قلت: وجود البُغية والمُنى، والخيبة والعناء[1].

قوله: «ما يقول من هو أنا في أنا»: يقول الحق تشريفا لعبده: «يا أنا»، كما يقول قيس المجنون «أنا ليلى»، يشير إلى غاية القرب والاتصال. فقال: ما تقول في أنا؟ أي إذا سمعتني أقول «أنا» فقال العبد: ذلك غاية البغية والمُنى، أي هو الذي كنت أتمناه أي يعطيني إيّاه. فيقول الحق: ما تعني بالبغية في هذه القضية؟ هو أن جعلتك مثلي في قولي «يا أنا»، أو كوني قلت لك «أنا»؟ فقال: كونك قلت «أنا». قال وما فيه من البغية؟ قال العبد: إذا قلت «أنا» لتسمعني فقد عرفت أنك أنت، وأنا أنا، فتميّز العبد من الربّ، وفي ذلك شرفي وهو بغيتي، وهو كونك مخاطِبٌ لي، وأنا مخاطَب، فحصل في هذا المقام العلم بعبوديتي، وانفردتَ أنت بربوبيتك، وفي قولك «يا أنا» أضفتني إلى ذاتك، وحجبتني عن عبوديتي، فخطابك لي هو بغيتي لأتميّز عنك. ثم قال بعد ذلك «والخيبة والعناء»: أي في حق من كان يطلب أن يكون أنت. فلمّا قلت «أنا» وميّزته خاب مقصده، فلذلك كان في حقه خيبة إذ كان مقصده الاتحاد، فخاب منه.

قال: ما تقول في «هو» و«ذلك»؟ قلت: هما صفتا السالك.

يريد أنه لمّا كان «هو» للغيبة، وما هو في الغيب فلا يزال مطلوبا، وليس الطلب شيء زائد على السلوك، فإذا ظفر بذلك الغائب صار له ذلك، فتعيّنتْ فيه الإشارة، ولاح له من كونه مشار إليه أنّ ثم هو آخر لم يصل إليه، فلا يزال يسلك ويبدو، فيعطيه ما يبدو

---

(1) أي أنّ من شهد إنّيات المخلوقات لا وجود لها ولا قيام لها إلا بالوجود الحق، فهو على حق، أمّا من توهّم إمكانية اتحاد إنّيّة المخلوق الحادث بإنّيّة الحق الذي ليس كمثله شيء، فهو توهم باطل.

له سلوكا آخر، هكذا أبد الآبدين.

غيبة وحضور، وظلام ونور، ومُخدّرات وخُدور.

قوله: «غيبة وحضور، وظلام ونور، ومخدرات وخدور»: يشير إلى أنّ المشهود من كل صفتين هو المعبّر عنه بـ«ذا»، والآخر الذي هو غير مشهود المعبر عنه بـ«هو». فإذا كان حاضرا لم يكن غائبا من حيث ما هو حاضر، وكذلك في الطرف الآخر.

قال: فما تقول في التحام الجسمانية؟ قلت: نتيجة التحام الروحانية.

أي لمّا كانت الروحانية مرتبطة بعالم الطبيعة، يريد الجسم الطبيعي، أعطت للطبائع أن يلتحم بعضها ببعض، فلذلك قال «التحام الروحانية». وقوله «التحام الجسمانية» هو كل معنى لا يظهر إلا في الجسم، فهو المعبّر عنه بالجسمانيّ، فليس له ظهور في عينه إلا في الجسم، كالألوان والحركات، والمقادير والجسم المؤتلف.

قال: فما تقول في التوالد والتناسل؟ قلت: أدلّة التواصل والتفاصل.

قوله: «أدلة التواصل والتفاصل»: أي يدلّ على أنّ بين العالم الروحاني والجسمي اتصال وانفصال، يظهر عنه هنا هذا التناسل، لأنه لو لم يكن في هذا المنفصل اتصالات لم يجد الانفصال على ما يرد، وهذا هو دليلنا على إثبات الجوهر الفرد. وهذا بيننا وبين الفلاسفة، فإنهم يقولون إنّ الجسم ما فيه اتصالات إنما هو ذو كمّية، ثم كلما قسّمته حدثت له الكميّات والمقدار إلى ما لا يتناهى، وهذا لا يقول به المحققون.

قال: فما تقول في النشأة البرزخية؟ قلت: تلك الإلهية.

أي فيها تظهر المظاهر الإلهية. والخيال هو برزخ يظهر من تركيب مخصوص، وهو تركيب الأرواح والمعاني في عالم الحس، فيحدث الخيال. وهو حضرتان: منها حضرة مطلقة وهو حقيقة الخيال، فما رأيته متجسدا ظاهرا، كتجسد جبريل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- في صورة دحية، فهو الخيال الصحيح. وإذا رأيته في خيالك أنت الذي هو نسخة من الحقيقة الخيالية، كان إدراكك لذلك قوّة في الدماغ. وقوله «تلك الإلهية»: أي لمّا كان للحق في عالم النوم، والقوّة المتخيّلة للخواص، لا يحجبها الحس عن النظر في الخيال، هذا خصوص لهم. فاعلم ما أشرت إليه[1].

(1) لمعرفة بقاء الناس في البرزخ ينظر في الفتوحات الباب 63. ولمعرفة الفرق بين الخيال المتصل =

قال: فهل الإعادة أشرف منها؟ قلت: لا تصح الإعادة فيها، فلا يُتحدَّث بذلك عنها. إنما ذلك في برزخ الحافرة، المنصوب بين الدنيا والآخرة.

قوله: «لا تصح الإعادة فيها»: أي لأنه لا ثبات لها، والإعادة عالم الثبات. وقوله «إنما ذلك في برزخ الحافرة»: أراد بالحافرة الخلقة الأولى. وقوله «بين الدنيا والآخرة»: أي ذلك حُكم البرزخ، فيه تكون المظاهر الخياليّة خاصة.

قال: فهل تصح العَوْدِيّة على البَدْئيّة؟ قلت: لا يكون غير ذلك في الحكمة العَدْليّة.

قوله: «لا يكون غير ذلك في الحكمة العدلية»: أي أنّ النشأة الآخرة في عالم حُكمها حُكم نشأة الدنيا في الأصل. والحقيقة -وإنْ تباينت الأعراض فيما جاء عن صفاء المحلّ وغيره- فإنّ الله تعالى يقول: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝٢٩﴾ [الأعراف: 29]. فما عرف الناس -أو أكثر الناس- هذه النسبة في قوله «كما»: ما المقصود به؟ فالناس يحملونه على الصورة، والشرع يخالف ذلك. ومن الناس من حمله على التوالد كما كان في حق كل شخص، وليس الأمر كذلك. والذي هو الحق ويعوّل عليه أنه كما بدأنا على غير مثال سبق، كذلك يُنشئنا على نشأة الآخرة على غير مثال سبق، أي ليس يشبه النشأة الآخرة نشأة الدنيا. وهذا ما رأيت عليه مساعدا. وأعني أنّ المزاج الخاص في الدنيا، لو عاد في الآخرة، لعادت معه جميعًا، كالمشي مثلا مسيرة ميل في بعض نهار. وأنت في الجنة تقطع بخطوتك مسيرة أعوام إذا مشيت. فأعطاك تأليف الآخرة، أو التركيب الخاص الذي اقتضته، نشأة موطنها أمرًا آخر اختصت به النشأة الآخرة. فاعلم ذلك[1].

قال: هل تعقل على أوان إخراج الذرّ من الظهر؟ قلت له: وكيف لا أعقل وأنا أوّل الشهود في المَهْر.

قوله: «وكيف لا أعقل وأنا أوّل الشهود»: قال الإمام الرّاسخ عند شرحه لهذا: هو أمر خاص لنا ولأمثالنا[2].

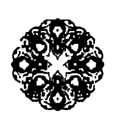
= والخيال المنفصل ينظر الباب 177 وهو في معرفة مقام المعرفة.

(1) لمعرفة كيفية البعث ينظر في الفتوحات الباب 64.

(2) يقول الشيخ في الباب 72 المتعلق بأسرار الحج، خلال كلامه عن حج الطفل: (فالإيمان أثبت في حق الرضيع، فإنه ولد على فطرة الإيمان وهو إقراره بالربوبية لله تعالى على خلقه حين الأخذ من الظهر الذرية والإشهاد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ =

قال: وهل تعرف قبل ذلك ميثاقا ثاني؟ قلت له: في أوّل وجود التداني. قال: فأرى ميثاقين، قلت: لا يكون غير هذين.

قوله: «في أوّل وجود التداني»: ميثاق الأنبياء -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ﴾. وقوله «فأرى ميثاقين: قلت: لا يكون غير هذين»: يعني حتى يمتاز التابع من المتبوع، والرسل خلفاء الله في الأرض فلا بد لهم من ميثاق خاص في التبليغ.



= عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف: 172]. فلو لم يعقلوا ما خوطبوا ولا أجابوا. يقول ذو النون المصري: «كأنه الآن في أذني». وما نقل إلينا أنه طرأ أمر أخرج الذرية عن هذا الإقرار وصحته. ثم إنه لمّا وُلد وُلد على تلك الفطرة الأولى، فهو مؤمن بالأصالة).

قال السالك:

ثم خاطبني بلغة آدم -عَلَيْهِ السَّلَامُ-.[1] وقال لي: أيها الغلام، من أين قالت الملائكة بالفساد في حال شهودها؟ قلت: من نفس وجودها.

قوله: «الإشارات الآدمية»: أي المنسوبة إلى مقام آدم -عَلَيْهِ السَّلَامُ-. وإذا نسب اللغة إلى من ذكره، كائنا من كان، فهو عبارة عن المقام الذي خاطبه منه. وقوله «من أين قالت الملائكة بالفساد في حال شهودها؟ قلت: من نفس وجودها»: يعني أنّ ذلك لتنوّعهم في الصور، فبظهورهم في صورة فسدت التي كانوا فيها قبل إذ كان الجوهر واحدا[2].

قال: فلِمَ جَهلت الأسماء؟ قلت لأنهم ما برحوا من السماء[3].

أي: ما برحوا من المقام الذي هم عليه، وهو قوله تعالى عنهم: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات: 164].

قال: فلِمَ وقعوا له ساجدين؟ قلت: لتصحيح مبايعة التعيين.

قوله: «لتصحيح مبايعة التعيين»: أي السجود نزول عن رفعة. ولمّا كان آدم متحققا

(1) اللغة هنا عبارة عن التعبير الخاص بمقام النبيّ المذكور. يقول الشيخ في «رسالة الأنوار»: «وغاية كلّ سالك مناسبة لطريقه الذي عليه سلك، فمنهم من يُناجَى بلغته. وكلّ من نوجي بلغة أيّة لغة كانت، فإنه وارث لنبي ذلك اللسان، وهو الذي تسمعه على ألسنة أهل هذه الطريقة أنّ فلانا موسوي وعيسوي وإبراهيمي وإدريسي. ومنهم المناجَى بلغتين وثلاثة وأربعة فصاعدا. والكامل من يناجى بجميع اللغات، وهو المحمدي خاصة».

(2) أي أنّ نشأة الملائكة هي أيضا تحت حكم الطبيعة مع غلبة الروحانية والنورانية فيهم، والطبيعة متضادّة الأحكام: الحرارة ضد البرودة، واليبوسة ضد الرطوبة. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍۭ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [ص: 69].

(3) أي أنّ آثار تجلّيات الأسماء الإلهية في الأرض وفي سكّانها -خاصة الإنسان- والعالم السفلي لا علم للملائكة السماوية بها لأنّ مقاماتهم في السماوات.

في العبودية، لذلك وُصفوا بالنزول إليه من رفعتهم، فكنّى عنه بالسجود. وذلك أنّ المقام الأعلى في حق العبد هو الخفض والذلة والافتقار، إذ هو وقوف عند حقيقة العبودية. فلذلك قيل للملائكة: شرَفكم في أن تنزلوا إلى مقامه وتقتدون به.

قال: فلِمَ أبى مَن أبى واستكبر؟ قلت: لحجابه بالطّينيّة عن النور الأزهر.

قال: لِمَ لَمْ يكن النجم وكان الشجر؟ قلت لوجود الخلاف الذي ظهر.

أي: أن الشجر من التشاجر والخلاف.

قال: ألمْ نسْقهما من ماء واحد؟ قلت: بلى ولكن فضل بعضها على بعض في الشاهد.

أي: ما كلّ منهم يظهر على الصورة، لأنّ للمزاج أثرا، والغذاء واحد وتستمد منه القوى على اختلافها، فيظهر في كل موطن ما تقتضيه حقيقة ذلك الموطن، وكل إناء بالذي فيه ينضح.

قال: فلِمَ اقتحم النهي مع العصمة؟ قلت: لظهور هذه الحكمة.

قال إسماعيل -أخذ الله بيده-: سمعت شيخي وإمامي يقول: قال الشيخ أبو مدين -رحمه الله تعالى-: لو علم آدم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أنه يرجع إلى الجنة بمائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي سوى المؤمنين، وفي الأنبياء مثل محمد-ﷺ- وعليهم أجمعين-، لأكل الشجرة كلها من أوّلها إلى آخرها. وسمعت شيخي وإمامي أبو العباس العريبي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: لمّا كان آدم محلا جامعا للعصاة والطائعين من بنيه، فكانت المخالفة لتحرّك الطائفة المخالفة مِن بنيه، فمن تلك الحقيقة تحرّك. ولهذا جاء في الإسراء أن على يسار آدم نسم بنيه الأشقياء، وعلى يمينه نسم بنيه السعداء.

قال: فما سرّ ظهور سوءاتهما؟ قلت: معاينة مَكْمَنات غاياتهما.

يريد بمعاينة مكمنات غايتهما: أي علم سرّ التكوين الإلهي.

قال: فلم طفقا يخصفان عليهما من ورق الجَنة؟ قلت: ليكون لهما من ملاحظة الأغيار جُنّة.

أي: أن خصفهما من ورق الجنة لستر ذلك المقام عن غير الأكابر، أي لِئلا ترَاهما الأغيار.

قال: فما نظيرُها في الوجود؟ قلت: القلم واللوح المشهود.

أي آدم هو القلم، وحوّاء هي اللوح المشهود -عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ-.

قال: فلِمَ أفرد آدم بالمعصية دون أهله؟ قلت: لأنها بعض من كلّه.

أي لأنه يتضمّنها، وهي جزء منه إذ كانت مخلوقة منه.

قال: لِمَ حَجَر النعيمَ عليهما؟ قلت: لتثبيت عبوديتهما.

قوله: «لتثبيت عبوديتهما»: أي إذ هما بحُكم غيرهما. فلابد من ظهور سطوة الأمر، وظهر التحجير عن حقيقة إلهية، وهي سبْق العلم بما حَكم به على الاختيار. فلمّا كان التحجير حقيقة، ظهر أثره في الكون. فالاختيار للألوهية، والحكم الواحد للذات.

قال: لِمَ أضيف الزّلل للشيطان، وقد عُلِم أنه ليس له على ذلك سلطان؟ قلت: لجعلك إيّاه في الشاهد صفة نقص دليل خسران.

أي: لمّا جعل الزّلل صفة نقص، نزّه الجناب العالي أنْ يُضاف إليه، أو إلى من شهد له بالكمال كالأنبياء -صلوات الله عليهم-.

قال: لِمَ جعل بعضهم لبعض عدوّا في هذه الدار؟ قلت: ليستعينا بتأييدك فيصح منهما الافتقار، ويتفرّد جلالك بالعزيز القهار.

قوله: «ليستعينا بتأييدك فيصح منهما الافتقار»: يعني قوله: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾ في حق إبليس.

قال: لِمَ تاب عليه بتلقّيه الكلمات العليّة؟ قلت: لأنه تلقاها من حضرة الربوبية.

يريد بحضرة الربوبية الإصلاح[1].

قال: لِمَ قُبل قربان الابن الواحد دون أخيه؟ قلت: لأنك جعلتهما أصل بنيه، وهما قبضتان فلابد أن يختص أحدهما بالرضا والآخر بالخسران. قال: لِمَ كان الغراب له معلِّما؟ قلت: لأنك ألبسته ثوبا من الليل مظلما. فأعطاه العلم فعلا وحالا، فكساه من ظلام القبر سربالا.

قوله: «ألبسته ثوبا من الليل مظلما»: أي أنّ الغيب يعلم الشهادة، ولذلك كان الليل غيبا والسواد غيبا. قوله «فأعطاه العلم فعلا وحالا»: أي فعلا ببحثه الأرض، وحالا بما تقدّم من إشارة السواد، وهو صفة الغيب المفيد لعالم الشهادة، فلذلك قال «وكساه من

(1) يعني الآية: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾ [البقرة: 37].

ظلام القبر سربالا»: أي لمناسبة الظلام إلى السواد[1].

قال: لِمَ أضاف خلقه ليديه؟ قلت: لمّا لم يتقدّم مثله عليه[2].

قال: لِمَ أتى إبليس ابن آدم، من جميع جهاته إلا من أعلاه؟ قلت لئلا يحترق بنور تنزل الأمر من مولاه. قال: فهلاّ أتاه من أسفله فيُغويه؟ قلت: إليه يدعوه فلا فائدة فيه.

قال: لِمَ تمكن إبليس من آدم في دار الاتصال؟ قلت: لأنّ في آدم جزءا من الصّلصال[3]. قال: والحَمإ المسنون؟ قلت: إشارةُ سرّ برزخيّ بين الأعلى والدّون.

الحمأ المسنون أي الهواء المتغيّر الرّائحة. وقوله «بين الأعلى والدون»: أي بين النار والماء.

قال: فلأيّ معنى قال: ﴿لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٍ﴾ [الحجر: 33]، وهو حقيقته؟ قلت: لامتزاجه ببقيّة العناصر فاختلّت عنده طريقته.

قوله: «من صلصال وهي حقيقته»: يعني النارية. وقوله «لامتزاجه ببقية العناصر فاختلت عنده طريقته»: أي لمّا غلبت الترابية على آدم، وهي ضد النارية، من كونها كثيفة، لم تصح مقابلته له ولا مناسبته.

قال: لِمَ جمع له بين لا يجوع ولا يعري، ولا يظمأ ولا يضحى، والترتيب على خلاف ذلك، فما الحكمة أيها السالك؟ قلت: الحرارة سبب الظمأ فلذلك قرنه مع الضحى، والجوع تعرية باطن الحيوان فلذلك قرنه بتعرية باطن الأبدان.

قال: فلم اجتُبي قبل أنْ يُتاب عليه؟ قلت: سابقة قَدَمه سبقت إليه.

قال: مِن أين صحّ له أحسن تقويم؟ قلت: لأنه على صورة القديم.

قال: فلِمَ رُدّ إلى أسفل سافلين؟ قلت: إشارة إلى الطين.

(1) سواد الغراب يشير إلى ظلمة نفس القاتل لمّا قام بجريمته واغترب عن الاستقامة.

(2) أي لم يفز بالخلق بيدي الحق تعالى إلا الخليفة الجامع لكلّ الثنائيات الوجودية، وهو الإنسان المخصوص وحده بالخلافة وخلقه على كمال الصورة.

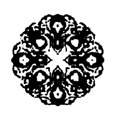
(3) الطينة الآدمية ما أصبحت صلصالا، أي يابسة إلا بفعل الحرارة النارية، والعنصر الأغلب على إبليس هو النار، فمن هذه النسبة كان الاتصال.

قوله: «فلم رد إلى أسفل سافلين»: إشارة إلى عالم طبيعته.

قال: فلِمَ استثني برُقيّه بالصلاح؟ قلت: إشارة إلى صفة الأرواح، الواهبة علّة الصلصال القائمة بالأشباح[1].

قال: نِعْمَ ما به أجبتَ. قلتُ: بك تكلمت.

قوله: «فلِمَ استثني برقيّه بالصلاح»: يريد رجوعه إلى أحسن تقويم. وقوله «قلت إشارة إلى صفة الأرواح»: أي من أجل روحه ولطيفته التي هي محل النور وعالمه. وقوله «الواهبة علّة الصلصال القائمة بالأشباح»: أي أنّ بين النور - وهي اللطيفة - وبين النار مناسبة، فلذلك قبل وهبه.



(1) صفة الأرواح هي النور، ومن اشتداد النور تكون النار، التي حرارتها تجعل الطينة الآدمية صلصالا.

قال السالك:

ثم خاطبني بلغة موسى -ﷺ-، وقال: ما يقول العبد المستسلمُ: لِمَ فُتن قوم موسى من بعده؟ قلت ضيافة السيد لعبده.

أي أنّ ابتلاءَه بذلك هو ضيافته، ولا يُبتلى مثل الأنبياء إلا في ربّه. فلمّا قرّبه نجيًّا، ودخل حضرته وخاطبه، لا بد للقادم من كرامة، فكانت كرامته ما أصابه من الغيرة في حق الله حين رجع إلى قومه، فوجدهم قد عبدوا غيره، فكانت منزلته على قدر غيرته، فتلك ضيافته سبحانه لعبده.

قال: لِمَ ظهر من قبضة الأثر في العجل خوار؟ قلت تنبيه على أنّ الحياة في سلوك الآثار.

يشير إلى أنّ حياة القلوب في اتباع الشرائع. وذلك أنه إذا اتبعها رزقه الله علما يحيا به قلبه.

قال: لِمَ ضرب له ميقات؟ قلت: ليعلم أنه تحت رق الأوقات.

أي لمناسبة السير، إذ الأمر غيبيّ، والحق سبحانه احتجب في الدنيا عن التجلي العام، فلهذا ما ذكر أنه رأى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- ربّه إلا بعد خروجه عن هذه الدنيا ليلة إسرائه.

قال: لِمَ جاء العدد بالليل ولم يجئ بالنهار؟ قلت: لاحتجابك عن الأبصار.

قوله: «لِم جاء العدد بالليل ولم يجئ بالنهار»: أي لمناسبة.

فجعلته يسلك أربعين ميقاتا من مغيّبات الأسرار، فصحّ له الاتصال عند الأسحار، وانتظم بها في شمل أمّة محمد «ﷺ» الدّاعي من مقام الأرواح، في تخلّقه بالأربعين صباح، فهو ميقات الوارثين، فشرف بذلك كليم رب العالمين.

قوله: «في تخلقهم بالأربعين صباح»[1]: يريد أنّ موسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- كان له تجلي

(1) سبق الكلام عن هذا الخبر وتخريجه: «ما أخلص عبد أربعين صباحا إلا ظهرت ينابيع الحكمة =

الكلام بعد أربعين ليلة مقامات أسرار غيبيّة، أنتجت ما ذُكِر. ثم جاء في هذه النبوّة أربعون صباحا، وهو الذي يتلو الليل من النهار، فكأنه ينبّه على أنّ نتيجة ليالي موسى هي بدايات المحمديّ، فتكون منازله وأنواره أوضح وأبْيَن. فإنه ليس يكون عند الصباح إلا طلوع الشمس، وهو التجلي، فامتاز المحمدي عن الموسوي، ولذلك كان منه مع محمد -عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ- في أمر الصلاة ما شهر، لأنه في أمّته يطلب الرفق بإخوته كما ذكِر. وذلك لمّا وقع هنالك في حدسه أنّ محمدًا -عَلَيْهِٱلسَّلَامُ- سيقول: (لا يكمل إيمان العبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[1]. ألا تراه -ﷺ- قال في موسى: (لو كان حيّا ما وسعه إلا أنْ يتبعني)[2]. فأوضح لنا المعنى، وتبيّن لنا حقيقة أنه منّا.

قال: لِمَ ضرب بعصاه الحجر فانفجر؟ والبحر المغلق فانفلق؟ قلت: سر الحياة في العصا، فلذلك انفجر الحجر ماء، وسرّ القيوميّة فيها، فلذلك أظهرتْ في البحر يبساً[3].

قوله: «لأن سرّ الحياة في العصا»: أي سر الحياة في النبات. وقوله «سر القيومية فيها فلذلك أظهرت في البحر يبسا»: أي أنّ القيومية تعطي التفرقة بدليل قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرّعد: 33]، وهذا مقام تفرقة، فلذلك انفرق البحر.

قال: فلِمَ خُلعَتِ النعلان؟ قلت: إشارة لزوال شفعيّة الإنسان.

قال: فلِمَ خُصّ بالكلام؟ قلت: ليتقرّر في نفسه نيلُ حظه من ميراث محمد عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، ولذلك كان في ألواحه تفصيل كلّ شيء عُلِم، في مقابله جوامع الكَلِم.

قوله: «فلم خُصِّص بالكلام؟ قلت: ليتقرّر في نفسه نيل حظه من إرث محمد عَلَيْهِٱلسَّلَامُ»: أي أنّ محمدا -عَلَيْهِٱلسَّلَامُ- كانت معجزته الكلام، بقوله: (أوتيت جوامع الكلم)، وكان القرآن معجزته الكبرى.

= من قلبه على لسانه».

(1) رواه البخاري ومسلم.

(2) رواه أحمد والبيهقي في كتاب شعب الإيمان، والدارمي وابن أبي شيبة.

(3) أي أنّ أصل العصا من شجرة، ومن الحياة النباتية في الأشجار تعيش الحيوانات والإنسان. وشكل العصا القائم كشكل الألف قيّوم الحروف، إشارة إلى الاسم الأعظم: «الله الحي القيوم»، أي القيومية الإلهية التي بها قيام كلّ شيء.

قال: فلِمَ سأل الرّؤية وهو يعجز عن النظر؟ قلت: حتى لا يبقى له من الميراث أثر.

أي: أنّ الرّؤية للنبي -ﷺ-. وقد اختُلِف في رؤية النبي -ﷺ- بقلبه أو بعيني رأسه؟ وانظر إلى كثرة سواده في الآخرة لقرب نسبته من الرسول -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ-[1].

قال: فلِمَ أمرْناه أن يكون من الشاكرين؟ قلت: ليزيد في القرب والتمكين، حتى يراك بعين محمد ليلة إسرائه في علّيين[2].

قال: فلِمَ ألقيناه في التابوت؟ قلت: فهل ظهرت الحكمة إلا بوجود الناسوت[3].

قال: لِمَ ألقيناه في اليمّ؟ قلت: إشارة إلى العلم. قال: وكيف يصح اليمّ مع العلم؟ قلت: ولولاه ما صح عند ذوي الفهم.

قوله: «كيف يصحّ اليمّ مع العلم؟ قلت: ولولاه ما صح عند ذوي الفهم»: يريد قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: 30]. وكذلك العلم تحيى به القلوب. وأمّا نهر العسل فهو نهر الوحي بقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: 68]. وأمّا الخمر وهو علم الأسرار والسرور والابتهاج، وهو مشروب الآخرة، ولذلك قيل له في الإسراء لمّا عُرِض عليه الخمر واللبن، فشرب اللبن فقيل له: «لو شربت الخمر لغوت أمتك» فهو علم الضّلال والحيرة في الدنيا، وهو في الآخرة علم السرور والابتهاج والطرب. وأمّا اللبن فعلم الفطرة، وهو العلم الذي يحصل عقيب المجاهدات[4].

---

(1) سبق الكلام عن الرؤية الموسوية عند صعقه لمّا وقع التجلي للجبل. أمّا كثرة سواده، ففي الحديث النبوي الصحيح: «عُرِضتْ عليّ الأممِ، فرأيتُ النبيَّ ومعه الرَّهيْط، والنبيَّ ومعه الرجلُ والرجلان، والنبيَّ وليس معه أحدٌ؛ إذْ رُفِع لي سوادٌ عظيم فظننت أنهم أمّتي، فقيل لي: هذا موسى وقومُه، ولكن انظر إلى الأفقِ، فنظرتُ فإذا سوادٌ عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لي هذه أُمّتُك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنّةَ بغير حسابٍ ولا عذابٍ»...

(2) يقول الشيخ في الباب 540 من الفتوحات: «رؤيتنا الله في الصورة المحمدية بالرؤية المحمدية، هي أتمّ رؤية تكون. فما زلنا نحرّض الناس عليها مشافهة وفي كتابنا هذا».

(3) أي كأنّ التابوت يشير إلى الناسوت. والناسوت عبارة عن جسم الإنسان وجانبه البشري الكثيف، واللاهوت عبارة عن روحه وجانبه العلوي اللطيف. والحكمة الإلهية تظهر في تدبير الروح للجسم.

(4) يقول الشيخ في الباب 249 وهو في معرفة الشرب ما خلاصته: «واعلم أن الشرب يختلف =

قال: فلم طلب العون بأخيه؟ قلت رحمة لمخاطبيه لِئَلا يذهبوا عند مشاهدة الكلام من فيه، إذ من كلّمك برفع الوسائط، كيف تحمل كلامه كثائف أو بسائط؟

أي: أن سلطان الكلام من موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- قويّ قاهر لِما أعطاه مشهد الخطاب الإلهي من العزّ. وإلى ذلك أشار موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بقوله: ﴿وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص: 34]، أي أفصح لمناسبته للسامعين، وبسطه لهم وتنزّله إليهم. وأمّا مقامي الذي ورثته من كلامك يُعطي الإجمال والعزة، ولذلك قال في آخر الكلام «إذ من كلّمك برفع الوسائط كيف يحمل خطابه كثائف أو بسائط».

= باختلاف المشروب. فإنْ كان المشروب نوعا واحدا فإنه يختلف باختلاف أمزجة الشاربين، وهو استعدادهم. فمن الناس من يكون مشروبه ماء، ومنهم من يكون مشروبه لبنا، ومنهم من يكون مشروبه خمرا، ومنهم من يكون مشروبه عسلا، بحسب الصورة التي يتجلى فيها ذلك العلم. فإنّ هذه الأصناف صور علوم مختلفة قد ذكرناها في جزء لنا سميناه: «مراتب علوم الوهب». ودليلنا على ما قلناه إنها علوم رؤيا النبي -ﷺ- فإنه قال: «أريت كأني أوتيت بقدح لبن فشربت منه حتى رأيت الري يخرج من أظافري، ثم أعطيت فضلي عمر، قالوا: فما أوّلته يا رسول الله؟ قال: العلم». فهذا علم تجلى في صورة لبن. كذلك تتجلى العلوم في صور المشروبات. ولما كانت الجنة دار الرؤية والتجلي، وما ذكر الله فيها سوى أربعة أنهار: ﴿أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: 15] علمنا قطعا إن التجلي العلمي لا يقع إلا في أربع صور: ماء ولبن وخمر وعسل. فالعلوم وإن كثرت فإنّ هذه الأربعة تجمعها، وهي مجال إلهية في منصات ربانية في صور رحمانية، وهي في حق قوم مع الأنفاس دائما، وهم الذين لا يقولون بالرّي، وفي حق قوم إلى أمد معيّن وهم الذين يقولون بالرّي. ومنهم من يتنوّع في المشروبات وهو الأتم. وكان رسول الله -ﷺ- يحب مزج الماء باللبن فيشربه، ومزج العسل باللبن. وما بقي إلا الخمر، وليست دار الدنيا بمحل لإباحته في شرع محمد -ﷺ- الذي مات عليه، فلم يمكن لنا أن نضرب به المثل بالفعل. واعلم أنّ من أعطاه الله المعاني مجرّدة عن الخطاب أو النصوص في الخطاب فهو عن تجليه في صورة الماء غير الآسن، وهو العلم الإلهي الذي لا تعلق له بالطبيعة. ومن إعطاء الله العلم بأسرار الشرع وأحكامه فذلك من علم تجليه في صورة اللبن، أعني الحليب منه الذي لم يتغيّر طعمه بعقده أو مخضه أو تربيبه. ومن أعطاه الله العلم بالكمال والأحوال والجمال فإنه عن تجلي العلم في صورة الخمر. ومن أعطاه الله العلم بطريق الوحي والإيمان وصفاء الإلهام، وعمّ علمه كل شيء ممّا يصح أن يُعلم حتى يُعلم أنه ما لا يصح أن يُعلم لا يُعلم، فلذلك العلم عن التجلي في صورة العسل.

قال: فلِمَ قُلبتْ العصا ثعبان؟ قلت: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: 40]، ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾ [الرحمن: 60].

أي جاءهم بما يناسب ما كانوا عليه. وكذلك معجزة كل نبيّ هي ما يناسب قومه.

قال: لِم خاف وهو معنا في حال التمكين؟ قلت: عقابا لقوله: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢﴾ [الشعراء: 62].

قوله: «عقابا لقوله: إنّ معي ربّي سيهدين»: أي لكونه قدّم نفسه بقوله «معي»، ثم قال بعد ذلك «ربّي»، فلمّا قدّم نفسه كان الخوف مصاحبا له.

قال: فلِمَ أخرج يده من جيبه بيضاء من غير سوء؟ قلت: تنبيه للإنسان أنه عند خروجه من غيبه من العلل برئ.

أي أنّ الإنسان ما خرج من الغيب إلا طاهر نقيّ، وما تدنّس إلا بمصاحبة الكون والحدث. ولذلك قيل: (كل مولود يولد على الفطرة)[1].

قال: فلِمَ قال: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ٢١﴾؟ قلت: بشرى لموسى بمقام الفناء، وتصحيح اللقاء.

يريد بالعود الرّجوع إلى الأصل، فإنه منه خرجنا وإليه نعود.

قال: فلم ألقى الألواح؟ قلت: إذا فُتح الباب ما يصنع بالمفتاح؟

يريد إذا حصل الكلام كفاحا، فلا حاجة للكتب، كما قيل: «وتلقَى عن الأيدي الرسائل والكتب».

قال: فلِمَ كانت البقرة جبروتية؟ قلت: لأنها سرَحت في مروج الحضرة البرزخية.

قوله: «جبروتية»: أي عالم الوسط، لأنها فوق الكبش ودون البدنة في الأجر. وقوله «لأنها سرحت في الحضرة البرزخية»: أي أنها كانت سببًا في نقل حياتها إلى حياة البرزخ، وهو أحيا هذا الميّت، فإنّ الميّت في عالم البرازخ، فوقعت المناسبة.

قال: وهل الشرف إلا في الملكوت الأعلى؟ قلت: جَمْع الطرَفين في حق الإنسان أسدّ وأوْلى.

---

(1) الحديث أخرجه البخاري ومسلم.

قوله: «الطرفين أوْلى»: يريد أنّ كل برزخ يجمع الطرفين، وهو أوْلى بالإنسان لأنه بين عالم الأرواح وعالم الطبيعة.

قال فلِمَ حيي الميّت ببعضها؟ قلت: إشارة إلى شطر الجنة من جهة عَرْضها.

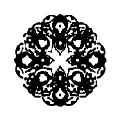
يريد أنّ الميّت ما حيي منه إلا شطره، وهو حياته الطبيعية التي بها يسبّح كل شيء، وبها تشهد الجلود والأيدي والأرْجل.

قال: لِمَ كانت الحياة بالضرب؟ قلت: حجاب على القلب عن معاينة القرب.

يريد بالضرب قول النبي -ﷺ-: (فضرب بيديْه بين كتفيّ، فوجدتُ برْدها بين ثديي، فعلمتُ علم الأوّلين والآخرين)[1]. فأضاف العلم إلى الضرب باليد الإلهية، وهي الحياة المعنوية؛ فظهرت الحياة الحسية أيضا بالضرب للمناسبة، ولذلك قال «حجاب عن القرب»، لأنه يبقى ليتلقى العلم من موضع بعيد وهو الضرب، فيكون حجابًا له عن رؤية القرب الإلهي، وعن المسبّب الأوّل عَزَّوَجَلَّ.

قال: كيف استشاط غيضا على أخيه، وفي نسخته الهُدى والرحمة؟ قلت: إنما أعْطيتَها إيّاه بعدما سكت عنه الغضب لطلب النقمة.

يريد أن موسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- لم يكن قرأ الألواح حتى غضب وألقاها، ثم بعد ذلك أخذها فوجد فيها الهُدى والرحمة وذلك ليُتِمّ الله مراده. فلو كان وقف على ذلك ابتداء لما استشاط غضبا. والله أعلم.



(1) الحديث أخرجه أحمد والترمذي وعبد الرزاق.

قال السالك:

ثم خاطبني بلغة رُوحه[1]، وأمدّني بفيضان يُوحِه[2]؛ ثم قال لي: لِم كان عيسى كمثل آدم -عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ- قلت: لأن الآخِر نظير الأوّل في أكثر الأقسام[3].

قوله: «لأن الآخِر نظير الأول»: أي إذا كان الأمر دوْريًا كان الآخِر مثل الأول، لأنه مجمع الطرفين، ولذلك كانت الخاتمة عين السابقة. والنهاية في الدائرة أقرب شيء إلى البداية، إذ عندها يقع الختم.

قال: لِمَ لمْ يكن والد؟ قلت: لأنه من أركان الدليل على المفتري الجاحد.

أراد أنّ الخصم يقول: لا ولد إلا من والد، ولا بيضة إلا من دجاجة، وهم يُنكرون آدم، فأرَاهم الله تعالى عيسى حُجّة عليهم. إلاّ أنّ عيسى -عَلَيْهِٱلسَّلَامُ- كوّنه الله تعالى في الرّحم، وكوّن آدم -عَلَيْهِٱلسَّلَامُ- في الأرض. ولذلك قام لها الشاهد بهذا الجذع، لأنّ المناسبة موجودة لكون النخل لا ينتج إلا بتذكير، فلمّا هزّت الجذع اليابس أنتج تذكيرًا للحين، كما فعل الله تعالى بعيسى -عَلَيْهِٱلسَّلَامُ-.

قال: كيف قلت أنه الآخِر وبعده خاتم النبيّين؟ قلت تلك بَداءةُ نشأة السيادة على العالمين، إذ قد كان وآدم بين الماء والطين، فلا مناسبة بين السيد والعبد إلا من حيث العناية والوجود.

قوله: «تلك بدأة نشأة السيادة»: أي ليست هي دورة المُلْك. وإنما دورة المُلك انتهت بعيسى -عَلَيْهِٱلسَّلَامُ-، وكان آخر الرسل في دورة المُلك. وإنما النبي -عَلَيْهِٱلسَّلَامُ-

(1) روح الله: أي عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ.

(2) يوح: هي الشمس.

(3) يشير إلى الآية: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران: 59].

فهو في طور آخر، فلا يناسَب ولا يقارَب، بل هي دورة سيادة، كان في رأسها وأوّلها، ولذلك قال: (إنّ الزمان قد استدار)[1].

قال: لِمَ أيّد عيسى بالرّوح؟ قلت: ما رقمه قلمٌ في لوْح، فقُذف في الرّحم من غير شهوة، فلم يكن له عن طرح الأكوان سلوة.

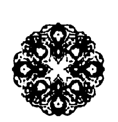
قوله: «ما رقمه قلم في لوح»: أراد بالقلم واللوح الفرْجين الحسّيين الذيْن هما سبب إيجاد أعيان الحيوان والأرواح. فما رقمهما هذا القلم الحسي. قوله «فقُذِف في الرحم من غير شهوة»: يريد أن عيسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- منزّه في أصل نشأته عن الشهوات الطبيعية.

فقال: فمِن أين صدر هذا الرّوح؟ قلت: من حضرة «قدّوس سبّوح».

قوله: «صدر من حضرة قدّوس سبّوح»: أراد قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: 171]. والتقديس: التطهير؛ والتسبيح: التنزيه.

قال فلِمَ تكلم في المهد؟ قلت: شاهد ثاني على أهل الجحد. قال: وهل تقدّم قبله شاهد في العلّة؟ قلت: هزّ مريم جذع النخلة.

قوله: «لِمَ تكلم في المهد قال شاهد ثاني»: يعني أنّ النخلة شاهد أوّل، ونُطق عيسى الشاهد الثاني. فحصل الشاهدان المشرُوعان.



(1) الحديث أخرجه البخاري ومسلم. وللتوسع في معرفة دورة المُلك ودورة السيادة المحمدية واستدارة الزمان كهيئته يوم خلقه الله تعالى عند مبعث سيدنا محمد -ﷺ- يُنظر في الفتوحات الباب 12.

قال السالك:

ثم خاطبني بلغة خليله، وقال: عليك بحسن الجواب وقِيله: إيـهِ ما وجود الكوكب والقمر والشمس؟ قلت اطلاعه على الروح والعقل والنفس.

أي لكل عالم كوكب بقدر ما يناسبه من التفاضل في النوريّة، التي هي عين الدلالة. فمن نوره قال: «إنه ربّي»، ومن أفوله قال: «ليس ربّي»، إذ كان من أسمائه سبحانه «النور»، ولم يكن من أسمائه الأفول. ولذلك أنه ما تجلّى الحق قط ثم احتجب بعد تجليه. ومن ادّعى أنه تجلّى له الحق ثم احتجب فقد غلط في دعواه الأولى. وإنما إذا حصل التجلي بقيت العين مشهودة، ثم تتنوّع المظاهر كالحرباء إذا تلوّنت. وكذلك ما كتب الحق شيئا قط في القلب ثم محاه. وأمّا الكتابة في النفس فتُمحَى. وإنما كان خوف الخاتمة حذرا أن لا يكون الإيمان كُتب في القلب، وإنما يكون كُتب في النفس. ولذلك قيل في أولئك الذين يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، فلم يصفه بأنه في قلوبهم. فاعلم ذلك.

قال فلم أثبت لهم الربوبية؟ قلت: لما لحظ لهم القهر على النشأة الترابيّة.

قال الشيخ في معنى قوله «لمّا لحظ لهم القهر على النشأة الترابية»: وقد تقدّم ذلك في تأثير الأنوار، فإنّ النور مؤثر في الظلام يدفعه ويقهره.

قال: فلِمَ قال: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام: 79]؟ قلت لمّا رأى بعضهم يفضل على بعض.

أي لمّا رأى التفاضل في ذوات النيّرات قال: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾، فإنه لا شيء أدلّ من الشيء على نفسه.

قال: تُرَاه نظر في النجوم فقال «إني سقيم»[1] قلت: إشارة إلى حكمة علويّة صدرت له من اسمه «الحكيم».

(1) أي الآية: «فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم»88-/ -89.

أراد بما صدر له من اسمه «الحكيم» تجليًا إلهيًا ظهر له عرفه بنفسه، وهو الذي عبّر عنه بالسّقم.

قال: لِمَ طلب رؤية الإحياء مع ثبوت الإيمان؟ قلت: ليجمع بين العلم والعيان. وفي مثل هذا قال الحسن[1] وقد أحسن:

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ... ولا تسقني سرّا إذا أمكن الجهر
وبُحْ باسم من تهوى ودَعني من الكنى ... فلا خير في اللذات من دونها ستر

قال: لِمَ دللناه على أربعة من الطير؟ قلت: إشارة للعناصر لا غير[2].

قال: فلِمَ اتخذ ابنه قربانا؟ قلت: ليصح كرمه حقيقة وبرهانا.

قال: ما قصد بذلك؟ قلت: قِرَى الواحد المالك، وذلك أنه لمّا نزل إلى قلبه، تعيّن عليه ضيافة ربّه.

قال: فهلا أضافه بنفسه دونه؟ قلت: لم يكن له فيها منازع ينازعونه.

أي أن نفسه لم يكن له فيها منازع، وأمّا الولد فكانت أمّه تنازعه فيه، والنفس تنازع فيه من نسبة الأبوّة. والعجلة من الشيطان إلا في خمسة[3]: تجهيز البنت إذا أدركت، وتقديم الطعام للضيف قبل الكلام، والمبادرة إلى الصلاة في أوّل وقتها، وتجهيز الميّت. فلذلك بادر إبراهيم إلى ضيافة ربّه بولده.

قال: فلِمَ كان الوحي في المنام؟ قلت: حتى لا يكون للحس بساحته إلمام.

أي أن البرزخ أقرب إلى الغيب من الحس، وأبعد من التأويل. وذلك أنّ الأنبياء يعطوا في مرائيهم العلم في نفس الرّؤيا، فيستغنوا عن التأويل لوجود النص في الخطاب البرزخي. ولذلك لم يحتج إبراهيم إلى تأويل، بل قال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ [الصافات: 102].

---

(1) الحسن: هو الحسن بن هانئ، أبو نواس.

(2) أي العناصر الأربعة: التراب والماء والهواء والنار.

(3) ذكر الغزالي في الإحياء عن حاتم الأصم قال: العجلة من الشيطان إلا في خمسة، فإنها من سنة رسول الله -ﷺ-: «إطعام الطعام، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب».

قال: فلِمَ ابتليناه بالكلمات، وقد تلقاها للتوْب صاحب السِّمات[1]

قلت له: ألـم تقل إنّ الابتلاء أفضل الكرَامات.

قال: لِمَ أمر إبراهيم وإسماعيل بتطهير البيت للطائفين؟ قلت عناية محمد -ﷺ- سيّد المرسلين.

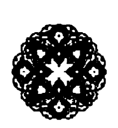
قال: لِمَ لَمْ يكن إسحاق دون غيره؟ قلت: لمّا لم يكن محمد -عَلَيْهِ السَّلَامُ- في ظهره.

يريد أنّ إكرَامهما ببناء البيت وتطهيره إنما كان لكونهما حملا النبي -ﷺ- في ظهورهما، فأُكرِما، واختص إسماعيل دون بنيه بذلك وبالابتلاء، لكونه كان من آباء النبي -عَلَيْهِ السَّلَامُ- قال: (أنا ابن الذبيحين)[2]. وإنما كانت الفضيلة لهما في البيت لكونهما طهّرَاه وبنوه عن أمر إلهيّ. فاعلم ذلك.

قال: فلِمَ دعى لمكة بالبركات؟ قلت: إذا بُورك في الأمّ بورك في البنات.

قال: حين رفع إبراهيم القواعد من البيت لِمَ دعا إسماعيلُ بالقبول؟ قلت: أظهر النقص ليصحّ كمال الخليل، إذ الواجب على كل نبيه أنْ يضع من قدره عند قدر أبيه.

يريد أن إسماعيل أظهر صفة الافتقار، وظهر بها احتراما لأبيه وأدبا معه.



(1) صاحب السمات هو آدم-عَلَيْهِ السَّلَامُ- الذي علّمه الله تعالى الأسماء كلها، وقال تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ [البقرة: 124]، وقال: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: 37].

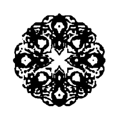
(2) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك عن الصحيحين.

قال السالك:

ثم خاطبني بلغة يوسف ابن يعقوب،: ما يقول الفطن المصيب لِمَ قال النسوة: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١﴾ [يوسف: 31]؟ قلت لاختصاصه عموما بأحسن تقويم.

قال: لِم بيع بثمن بخس؟ قلت: ليُعلم أنّ الإنسان -من حيث ما هو- صاحب نقص، فإنْ غلا ثمنه وعلا، فلصفة زائدة على ذاته خصه بها المَلك الأعلى.

قال: فلم جعل الصُّواع حجابا؟ قلت: قرّع بذلك للاتصال بالأحبة بابا.



قال السالك:

ثم خاطبني بلغة محمد -ﷺ-، وقال لي: يا من طلب الطريق إليه، ليرث ممّا كان في يديه، ما تقول في الأفق المبين[1] قلت: محلّ كشف المقرّبين.

أراد به الوضوح والبيان والنص الجلي الذي لا يتداخله شك ولا ريب، وهو نصيب المقرّبين.

قال: لِمَ كان التجلي بالأفق؟ قلت: تنبيه على علوّ الخُلُق.

أي كل حالة تبقي الإنسان على حالة اعتداله بغير انحراف، لأنّ الأفق هو ما قابل نظرك على الاعتدال، وهي أكناف السماوات، ولذلك سُمِّيت حركة البهائم «أفقية»، لأنّ رأسها يطلب الأفق، وسميت حركة الإنسان «مستقيمة» لكون رأسه يطلب العلو، وسميت حركة النبات «سفلية» لأنه يطلب برأسه السفل.

قال: وما ينطق عن الهوى؟ قلت: أسرار الاستواء.

يريد الاستواء في المنطق. والهوى هو المضاف إلى النفس بطريق الذمّ، كما قال تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠﴾ [النازعات: 40].

قال: وفي قسمة الفاتحة[2] قلت: العبودية الواضحة.

أي لأنه ميّز العبد في الفاتحة بحقيقته عن الربّ. فكل عبد له حظ من صفات الربوبية فما هو داخل في هذه القسمة، لأنه لا ينطق عليه اسم العبد خالصا.

قال: فلِمَ اختُصّت الرّحمة بالثنا[3] قلت: ليتبيّن من أنت ومن أنا.

---

(1) يشير إلى الآية: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣﴾ [التكوير: 23].

(2) يشير إلى الحديث القدسي: «قسمت الفاتحة بيني وبين عبدي».

(3) أي أنّ الآية: «الحمد لله ربّ العالمين» مكتنفة بالاسم «الرحمن الرحيم» قبلها في البسملة، وفي =

قوله: «يتبين من أنت ومن أنا»: أي لأنه لا يثنى عليه إلا بما هو عليه، ولا يثنى عليك أنت إلا بما تعطيه حقيقتك. فإذا رحمك ردّك إلى عبوديتك، واعتقدتَ أنّ الربوبية له وحده سبحانه. فكل من أثنى عليه بوصف مشترك فما أثنى عليه. إنما ينبغي أنْ يُثنى على الموجود بما لا تقع فيه المشاركة. فإذا رحمك مَنّ عليك بثناء يتـفـرّد به؛ ومتى أشركت معه غيره في الثناء فما خصصته بل شركته بغيره.

قال: والمُلكُ بالتمجيد[1] قلت: لتصحيح التوحيد.

أراد بالتمجيد التشريف بالوحدانية في الألوهية، فلا إله إلا هو.

قال: فلِمَ وقع الشرْك في العبادة والعون؟ قلت: لتتميّز القدرة من عجز الكون.

أراد بالشرك آية: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾؛ فهو سبحانه المقصود بالعبادة، والعبدُ العابدُ هو المقصود بالاستعانة، والعبدُ المستعين. فالاشتراك في الآية كلمة للربّ وكلمة للعبد. قال إسماعيل: سمعت شيخي يقول في أثناء شرحه لهذه الآية: وعندي في الفاتحة أنّ نصفها الذي للعبد ثلاث آيات بقوله: «ولهؤلاء لعبدي» إلا على جماعة. ولو كانت اثنيْن لقال: «وهاتان لعبدي». فاعلم ذلك فهو من الأسرار. وأمّا تمييز القدرة من عجز الكون فإنه لمّا طلب العبد المعونة دلّ على عجزه.

قال: لِمَ اختص العبد بنصفها الثاني؟ قلت: ليصحّ عليها اسم المثاني.

قال: قد ساوى موسى لمحمد -ﷺ- في الفرقان، فكيف صحّت له السيادة؟ قلت: لاختصاصه بالقرآن والعبادة.

قوله: «بالقرآن والعبادة»: أراد بالقرآن الجمع. ومن حصل له الجمع فقد عمّ الحضرات كلها، ولذلك قال: «أوتيت جوامع الكلم». ومقام الفرقان لموسى خاصة.

قال: قد شاركه في العبودية نوح وزكرياء الوجيه؟ قلت: الواحد عبد نعمة، والآخر عبد ربوبية، ومحمد-ﷺ- عبد تنزيه[2].

= الآية التي بعدها مباشرة. وفي حديث قسمة الفاتحة: «إذا قال العبد: الرحمن الرحيم، يقول الله تعالى: أثنى عليّ عبدي.

(1) في حديث قسمة الفاتحة: إذا قال العبد: ملك يوم الدّين، يقول الله تعالى: مجّدني عبدي.

(2) أي قال الله تعالى عن نوح-عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ-: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ۝٣﴾=

قوله: «ومحمد -ﷺ- عبد تنزيه»: يعني أن النبي -عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ- اختُبِر فوُجد نبيًا صادقا في اختياره، فلمّا قيل له«إنْ شئت مَلِكا وإن شئت نبيًّا عبدا» فقال: (نبيًا عبدا). قال: (ولو قلت نبيا ملكا لصارت الجبال معي ذهبا وفضة). وانظر إلى سليمان -عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ- كيف قال: ﴿وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ [ص: 35]. وكذلك لو خُيِّر بقية العباد لاحتمل الأمر في عبوديته وخرج عن الاحتمال، ومحمّد تنزه في عبوديته عن أوصاف الربوبية. فاعلم ذلك.

قال: وقد شاركه يحي في السيادة الفاخرة؟ قلت: تلك السيادة الظاهرة. ولهذا صرّح بها في الكتاب المبين، وأخفى فيه سيادة محمد سيد العالمين، ثم صرّح بها على لسانه في الشاهدين. فهذا سيّدُ عُموم، وهذا سيّد رسوم.

قوله: «تلك السيادة الظاهرة»: أراد بالظاهرة سيادة الدنيا، وأراد بالباطنة سيادة الآخرة بقوله: (أنا سيد ولد آدم)، و(أنا سيد الناس يوم القيامة). ثم قال: (أتدرون ماذا؟) وذكر حديث الشفاعة. ولذلك صرّح بسيادة يحي -عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ- في القرآن لمناسبتها للظهور، فظهر الوصف. ولمّا كانت سيادة النبي -ﷺ- باطنة، أي محل ظهورها في الدار الآخرة، لذلك بطن ذكرها في الكتاب العزيز.

قال السالك:

ثم قيل لي: قف هنا ولا تبرح، وقد أُعطيتَ المفتاح فمن شاء فليفتح. والحمد لله على ما فتح. وصلى الله على سيدنا محمد الأغرّ الأصبح.

قال المؤلف -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ-: جميع ما في هذه الأسرار من النظم لي، سوى أربع أبيات: بيتان في مناجاة الرّياح وهما:

تسترت عن دهـري بظل جناحـه	**فعيني تـرى دهـري ولـيس يراني**
فلو تسأل الأيـام ما اسمي ما درت	**وأيـن مكاني مـا دريـن مكانـي**

= [الإسراء: 3] أي شكورا لما أنعم الله عليه بالنجاة في السفينة وجعل ذريته هم الباقين. وقال تعالى عن زكرياء -عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ-: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢﴾ [مريم: 2] فهو عبد ربوبيّة. أمّا سيدنا محمد -ﷺ- فقرن عبوديته بالتنزيه في فاتحة سورة الإسراء: «سبحان الذي أسري بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى».

والبيتان الآخران في الإشارات الإبراهيمية وهما:

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمـــر	**ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهـــر**
وبح باسم من تهوى ودعني من الكنى	**فلا خير في اللذات من دونها ستر**

وقد انتهى الأصل بكماله وشرح مشكله، إلا قليلا منه في مناجاة أسرار مبادئ السُّوَر إلى مناجاة السمسمة، ولذلك أشار في هذه المناجاة، فقال: «وقد أشرت لك إلى معانيه وما يعقلها إلا العالمون». ثم نبّه على حُكم هذه الحضرة فقال: «عبدي هذا باب يدقّ وصفه، ويُمنع كشفه. الأعداد حُجب على عينيك أيها الإنسان، وإنما هي أسطار نور خَضِر خلف حجاب الرحمة، تلوح لمن سبقت له المشيئة بوقوفه عليها، حتى تودعه ما لديها؛ فاستعمل المجاهدة، وتحلّ بالموافقة والمساعدة، عساك تلتذ بهذه المشاهدة». والحمد لله على ما منح وفتح، وشرح له الصدور إذ شرح، وكان فضل الله عليك عظيما، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا؛ والحمد لله وحده.

